



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية



المجلس الأعلى للغة العربية



أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية
والفاعل الثقافي، وهران

أعمال شهر الترجمة في طبعته الثانية، بعنوان:
الترجمة والذكاء الاصطناعي بين
متطلبات التغيير وآفاق التطوير
احتفاءً باليوم العالمي للترجمة تحت شعار:
تلاقح الثقافات لبناء الحضارات

منشورات المجلس 2025

الترجمة والذكاء الاصطناعي بين متطلبات التغيير وآفاق التطوير



الإيداع القانوني: جوان 2024
ردمك: 6-07-681-9931-978

52 ، شارع فرنكلين روزفلت

ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر العاصمة

الهاتف: 023.48.72.78

الفاكس: 023.48.72.72

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

موبيليس



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية



أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي، وهران/الجزائر
أعمال شهر الترجمة في طبعته الثانية، بعنوان:

الترجمة والذكاء الاصطناعي بين متطلبات التغيير وآفاق التطوير
احتفاء باليوم العالمي للترجمة تحت شعار:
تلاقح الثقافات لبناء الحضارات

إشراف:

أ.د. صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية/الجزائر

أ.د. سعاد بسناسي، جامعة وهران1، عضوة لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للغة العربية،
رئيسة أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي، مديرة مخبر اللهجات
ومعالجة الكلام، وهران،/الجزائر.

30 سبتمبر 2025؛ بمقر المجلس.

منشورات المجلس 2025

أعمال الملتقى الدولي:

الترجمة والذكاء الاصطناعي بين متطلبات التغيير وأفاق التطوير

احتفاء باليوم العالمي للترجمة تحت شعار:

تلاقح الثقافات لبناء الحضارات.

تنسيق وتوضيب النصوص والتدقيق اللغوي فريق المجلس الأعلى لـ لغة العربية:

أ. حسن بهلول؛

أ. آمال حمزاوي؛

أ. آمال روابج.

قياس الصفحة: 29.7/21

عدد الصفحات: 251

الإيداع القانوني: السادس الثاني 2025

ردمك: 978-9931-681-68-7

المجلس الأعلى للغة العربية

العنوان: 52، شارع فرنكلين روزفلت.

ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: +213 23 07 16/17

الفاكس: +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



فهرس الموضوعات

الرقم	العنوان	الصفحة
	تقديم	05
01	الكلمة الترحيبية (بمختلف اللغات)	11
02	الكلمة الافتتاحية	23
03	كلمة رئيس التظاهرة	27
04	كلمة ضيف شرف التظاهرة	45
05	التعدد والائتلاف "الترجمة في مواجهة تحديات العولمة". أ. سعاد بسناسي	47
06	الخصائص الرياضية للغة العربية واستغلالها في الترجمة بالذكاء الاصطناعي. أ. نوار عبيدي	79
07	الترجمة: جسر الحضارات وتلاقح الثقافات د. عبد القادر فيدوح	93
08	الترجمة والأفق العالمي الجديد أ.د. الطيب بودربالة	111
09	خطاب الترجمة: نشاط لغوي وفعل تأويلي إبداعي وموقف إيديولوجي د. أمين محمد الطاهر عثمان	123
10	الإعلام الجديد واللغات علاقة متبادلة. اللغة العربية لأغراض خاصة أنموذجاً. أ. د. هداية تاج الأصفياء حسن البصري	141
11	Traduire l'intraduisible : Enjeux et défis de la traduction littéraire et coranique à l'ère de la mondialisation طالي فايزة	157
12	الترجمة وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي د. ليلي بوعكاز	171
13	من الفهم إلى التوليد: دراسة تطبيقية في ترجمة السياق عبر الذكاء الاصطناعي د. حليلة بولحية	187

205	الذكاء الاصطناعي وثورة الترجمة الحديثة ترجمة المصطلحات اللسانية: رؤية تطبيقية معاصرة د. العربي بوعمران بوعلام د. عيوش نعيمة	14
217	الهوية الأدبية والثقافية في زمن الترجمة الآلية: دراسة نقدية مقارنة لترجمات نصوص عربية - بين الإنسان والآلة في ضوء الذكاء الاصطناعي التوليدي- د. حفيظة سليمان	15
231	إشكاليات وتحديات الترجمة الآلية للنصوص الأدبية- دراسة تطبيقية لترجمة آية لنص "وعظمتي نفسي" لجبران خليل جبران- د. طه الأمين بودانة	16
239	ترجمة الشعر باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي: تحليل نقدي لإمكانيات Google Translate وChatGPT د. فاطمة عمروش	17
251	التعليمية الترجمة في ظل الذكاء الاصطناعي: مسارات التحوّل وملامح التجديد. ط. د. هاجر مدلل	18

الترجمة والهوية في زمن التحوّلات الكونية

أ.د سعاد بسناسي

يُعدّ هذا الكتاب ثمرةً من ثمار "شهر الترجمة" في طبعته الثانية، الذي انعقد تحت إشراف المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر وأكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي، احتفاءً باليوم العالمي للترجمة، وفي ظلّ شعارٍ بليغ الدلالة: تلاقح الثقافات لبناء الحضارات. وقد جاء هذا المشروع العلمي والثقافي استجابةً لرهانات العصر الزاهن؛ حيث لم تعد الترجمة مجرد أداة تقنية لنقل النصوص والمعارف؛ بل غدت فعلاً حضاريًا مركزيًا يتجاوز النقل اللغوي إلى تأسيس فضاءات التفاعل والتثاقف بين الشعوب والأمم.

يضمّ هذا المؤلف بين دفتيه أعمالاً متنوّعة لباحثين وأكاديميين من الجزائر ومن مختلف الجامعات العربية والدولية، تناولوا قضايا الترجمة في تقاطعها مع ثنائية العولمة والهوية، وحدودها وأفاقها في ضوء التطور التكنولوجي والذكاء الاصطناعي. وقد تنوّعت المداخلات بين البعد الفلسفي والثقافي الذي يعيد للترجمة دورها كجسرٍ للتواصل الإنساني وتلاقح الحضارات، والبعد التقني الذي يحلّل إسهامات الذكاء الاصطناعي في تطوير آليات الترجمة، وما يطرحه من تحديات أخلاقية ومعرفية. كما أولت بعض الدراسات عناية خاصة بالترجمة الأدبية والشعرية في زمن الترجمة الآلية، مستعرضةً ما يطرحه هذا المجال من إشكالات تتعلق بالدلالة، والإيقاع، وأمانة النقل الفني.

إنّ هذا الكتاب لا يقتصر على كونه تجميعاً لأعمال أكاديمية متفرقة؛ بل يمثل مرجعاً علمياً يسهم في بلورة رؤية شاملة للترجمة في سياق التحوّلات الراهنة، ويؤكد على ضرورتها الحضارية في بناء وعي إنساني مشترك قائم على الحوار والتفاعل والاعتراف بالآخر. وهو بذلك يكرّس الترجمة باعتبارها أفقاً للتجديد الثقافي، ووسيطاً للتواصل بين المعارف واللغات، وأداةً لإعادة إنتاج الهوية في مواجهة اختراقات العولمة وأحادية الثقافة.

لقد حرص القائمون على هذا المشروع على أن يكون الكتاب وثيقة جامعة، تُسجّل اللحظة الفكرية الراهنة في مسار الترجمة، وتفتح في الوقت ذاته آفاقاً رحبة للباحثين والمهتمين بدراسة العلاقة المركبة بين اللغة والثقافة والتكنولوجيا. فهو دعوة صريحة للتأمل في إمكانات الترجمة لا باعتبارها نشاطاً لغوياً

فحسب؛ بل باعتبارها فعلاً ثقافياً وإستراتيجياً يسهم في صياغة مستقبل أكثر عدلاً وتوازناً في عالم تتشابك فيه الهويات وتتقاطع فيه المصائر.

ومن هنا، فإنّ هذا العمل يقدّم للقارئ والباحث على حد سواء، بوصفه محاولة جادة لإبراز راهنية الترجمة ومكانتها المتجددة في ظلّ التحوّلات الكونية، وإسهاماً في النقاش الأكاديمي المفتوح حول أبعادها المتعددة، ورهاناتها الكبرى في بناء حضارة إنسانية جامعة؛ فضلاً عن ذلك، يشكّل هذا الكتاب مساهمة علمية رصينة في حقل دراسات الترجمة؛ إذ: يطرح إشكالية جوهريّة تتمحور حول موقع الترجمة في عصر العولمة، وما تثيره من رهانات ثقافية ومعرفية وأخلاقية. فالترجمة، في منظور المؤلّف، ليست نشاطاً ميكانيكياً يقتصر على نقل الكلمات من لغة إلى أخرى؛ بل هي ممارسة حضارية مركّبة، تتجسّد فيها أبعاد التواصل والتفاعل والتثاقف، بما يجعلها أداة مركزيّة لإعادة بناء المعنى وصياغة الهوية في عالم شديد التعقيد.

ينطلق هذا العمل من مسلّمة أساسية مفادها أنّ الثقافات لا تنمو في عزلة، وأنّ الحضارات الكبرى لم تبلغ أوجّها إلّا عبر الانفتاح على الآخر والاحتكاك به، وأنّ الترجمة كانت دائماً الوسيط الذي أتاح هذا التلاقح. من هنا، يتابع الكتاب كيف تجاوزت الترجمة حدود التقنية إلى أن غدت مشروعاً معرفياً وإنسانياً يعيد إنتاج النصوص في سياقات جديدة ويمنحها حيوات متعددة، بما يسمح بخلق فضاءات رحبة للحوار المتبادل.

وتتجلّى أهمية هذا المؤلّف في كونه يضع الترجمة في قلب النقاش حول العولمة والهوية الثقافية؛ إذ يبرز ما تفرضه العولمة من تحديات تتمثّل في هيمنة لغات كبرى، وضغوط ثقافية تسعى إلى فرض أنماط موحّدة من التفكير والمعيش مهدّدة بذلك التعدّد والتنوّع. وفي مواجهة هذه التحديات؛ حيث يبرز دور الترجمة كآلية مقاومة ناعمة، تحفظ للغات المهمّشة حضورها، وللثقافات الخصوصية أصالتها، وفي الوقت نفسه تتيح لها المشاركة الفاعلة في صياغة الوعي الكوني المشترك.

ينتقل الكتاب عبر فصوله إلى تحليل قضايا محوريّة مثل: أثر الترجمة الأدبية في نقل الرّؤى والقيم الثقافية مشكلات الاقتراض اللّغوي والتّغريب في النّصوص المترجمة، صناعة المصطلحات في ظلّ العولمة إضافة إلى الأبعاد المؤسسية التي ترسم دور الجامعات ودور النّشر والمنظّمات الثقافية في ترسيخ وظيفة الترجمة كجسر للحوار والتّبادل. هذه المحاور تجعل الكتاب ليس فقط دراسة نظريّة؛ بل أيضاً مرجعاً عملياً يقدّم تصوّرات حول آليات تطوير الترجمة بما يخدم مشروعاً إنسانياً يقوم على الاحترام المتبادل والتّكامل الحضاريّ.

إنّ هذا العمل، بما يقدّمه من تحليل فلسفيّ معمّق ورؤية شاملة، يضع التّرجمة في موقعها الحقيقيّ كوسيط حضاريّ لا غنى عنه، ويؤكد أنّ التّرجمة ليست فعلاً ثانويّاً أو تابعاً؛ بل هي بنية تحتية للمعرفة وشرط من شروط بناء عالم متعدّد الثقافات، قائم على الحوار، ومؤمن بأن الاختلاف مصدر غنى لا سبب صراع.

من هنا، يمكن القول إنّ الكتاب يُسهم في إثراء المكتبة العربيّة بدراسة تُعيد التّفكير في التّرجمة من منظور ثقافيّ وحضاريّ، وتجعل منها أفقاً لمستقبل أكثر إنصافاً وتوازناً؛ حيث تُستعاد للتّرجمة مكانتها كأداة للتّجديد، وقوّة فاعلة في صياغة الوعي الإنسانيّ في زمن العولمة.

تبعاً لذلك، يضمّ هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة من الأبحاث والدّراسات التي تلتقي حول إشكاليّة مركزيّة تتمثّل في التّرجمة وما يحيط بها من رهانات ثقافيّة، معرفيّة، وتقنيّة في عصر العولمة والذكاء الاصطناعيّ. تتوزّع هذه الأبحاث على محاور متكاملة تسعى إلى تعميق النّظر في التّرجمة بوصفها فعلاً حضاريّاً متعدّد الأبعاد، يتجاوز حدود النّقل اللّغويّ إلى فضاء أرحب يتقاطع فيه البعد الفلسفيّ والثّقافيّ مع البعد التّكنولوجيّ والمعرفيّ.

تفتتح الأستاذة الدّكتورة سعاد بسناسي أعمال الكتاب بمداخلة موسومة بـ التّعدد والائتلاف: التّرجمة في مواجهة تحديات العولمة؛ حيث تُبرز كيف تتحول التّرجمة إلى فعل مقاومة ثقافيّة قادر على صون الهويّات ومنع ذوبانها، وفي الوقت نفسه تهيئة فضاءات للائتلاف والحوار.

ويأتي بحث الأستاذ الدّكتور نوار عبيدي الخصائص الرّياضيّة للغة العربيّة واستغلالها في التّرجمة بالذكاء الاصطناعيّ ليؤكد أنّ اللغة العربيّة، بما تحمله من نظام رياضيّ وصرفيّ فريد، تمتلك إمكانات هائلة لتطوير أنظمة التّرجمة الآليّة، شريطة أن تُستثمر خصوصيّاتها اللّغويّة بدقّة علميّة.

أمّا الأستاذ الدّكتور عبد القادر فيدوح في دراسته التّرجمة: جسر الحضارات وتلاقح الثقافات، فيُبرز البعد الإنسانيّ والحضاريّ للتّرجمة باعتبارها وسيطاً للتّفاعل بين الشّعوب، ورافعة للتّبادل المعرفيّ والفكريّ، بما يجعلها جسراً متيناً لتلاقح الرّؤى الثّقافيّة عبر العصور.

ويعالج الأستاذ الدّكتور الطّيب بودريّالة في بحثه التّرجمة والأفق العالميّ إشكاليّة توسيع دور التّرجمة لتواكب حركة العولمة؛ حيث تصبح أداة لإعادة صياغة الأفق الكونيّ المشترك، عبر إبراز قيمة التّنوّع والتّعدّد في إثراء الإنسانيّة.

ويتناول الدكتور أمين محمد الطاهر عثمان موضوع خطاب الترجمة: نشاط لغويّ وفعل تأويليّ إبداعيّ وموقف إيديولوجيّ، كاشفًا عن الترجمة بوصفها خطابًا متشابهًا يتجاوز التّقنيّة إلى الفعل التّأويليّ والإبداعيّ، مع ما يحمله من خلفيّات فكريّة وإيديولوجيّة.

أمّا الدّكتورة ليلى بوعكاز فتسلّط الضّوء على التّرجمة وأخلاقيّات الدّكاء الاصطناعيّ، مبرزة ضرورة إدماج البعد الأخلاقيّ في ممارسات التّرجمة الآليّة الحديثة، بما يحفظ القيم الإنسانيّة ويحدّ من الانزلاقات التي قد تنشأ عن الاستخدام المفرط للتّقنيّة.

وتواصل الدّكتورة حليلة بولحيّة عبر بحثها من الفهم إلى التّوليد: دراسة تطبيقيّة في ترجمة السّياق عبر الدّكاء الاصطناعيّ استكشاف إمكانات الخوارزميّات التّوليديّة في التّعامل مع السّياق النّصيّ، وما تتيحه من إمكانات للفهم العميق وتوليد المعنى.

ويأتي بحث الدّكتور العربيّ بوعمران بوعلام الدّكاء الاصطناعيّ وثورة التّرجمة الحديثة - ترجمة المصطلحات اللّسانيّة: رؤية تطبيقيّة معاصرة لبيّن كيف غيّرت التّقنيّات الحديثة آليّات التّعامل مع المصطلحات، وما تفرضه من تحديّات في ضبط المفاهيم ونقلها بدقّة.

كما تقدم الدّكتورة حفيظة سليمان دراسة نقديّة بعنوان الهوية الأدبيّة والثّقافيّة في زمن التّرجمة الآليّة تستعرض من خلالها مآلات النّصوص العربيّة حين تنتقل بين التّرجمة البشريّة والآليّة في ضوء الدّكاء الاصطناعيّ التّوليديّ، وما ينشأ عن ذلك من تحولات في الهوية الثّقافيّة والأدبيّة.

ويتناول الدّكتور طه الأمين بودانة في بحثه إشكاليّات وتحديّات التّرجمة الآليّة للنّصوص الأدبيّة دراسة تطبيقيّة لترجمة آليّة لنص جبران خليل جبران "وعظمتي نفسي"، كاشفًا عن الثّغرات التي تعترض التّرجمة الأدبيّة في ظلّ الآلة.

كما تقدّم الدّكتورة فاطمة عمروش مقارنة تطبيقيّة بعنوان ترجمة الشّعرباستخدام تقنيّات الدّكاء الاصطناعيّ: تحليل نقدي لإمكانات Google Translate و ChatGPT، توضّح فيها مكان القوة والضعف في تعامل الآلة مع النّصوص الشّعريّة ذات البنية الرّمزيّة والإيقاعيّة.

وفي السّياق نفسه، تعرض الباحثة هاجر مدلل في عملها تعليميّة التّرجميّة في ظلّ الدّكاء الاصطناعيّ. مسارات التّحوّل وملامح التّجديد، آفاق تدريس التّرجمة في زمن التّقنيّة، وما يفرضه من إعادة بناء للمناهج والمسارات البيداغوجيّة.

أما الدّراسة الأخيرة، التي كتبها الباحثة Tali Faiza بالفرنسيّة بعنوان Traduire l'intraduisible : Enjeux et défis de la traduction littéraire et coranique à l'ère de la mondialisation، فتتناول الرّهانات العميقة لترجمة ما يوصف بـ "اللامترجم"، وخاصّة النّصوص الأدبيّة والقرآنيّة، وما يطرحه ذلك من أسئلة معرفيّة ودينيّة وثقافيّة بالغة الحساسيّة في زمن العولمة.

بهذا التّنوّع والثّراء، يغدو الكتاب بمثابة لوحة معرفيّة متكاملة ترصد تحولات التّرجمة في رايها المتشابك بين معطيّات العولمة المتسارعة وتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ الآخذة في الاتّساع. إنّ عمل يُعيد الاعتبار للتّرجمة في صورتها المركّبة، فهي من جهة فعل ثقافيّ وإنسانيّ، يُعيد إنتاج المعنى ويصونه من الاندثار، ويضمن حضور الهويّات اللّغويّة والثّقافيّة في ساحة الحوار الكوني، ومن جهة أخرى هي ممارسة تقنيّة وتطبيقيّة، تتغذّى من ثورات العلم والمعرفة وتستند إلى خوارزميّات الذّكاء الاصطناعيّ وما تتيحه من إمكانيّات غير مسبوقّة في معالجة اللّغة وفهم السيّاقات.

لقد جمع هذا الكتاب بين دراسات تنتمي إلى أفق إنسانيّ فلسفيّ عميق، يُبرز التّرجمة باعتبارها مشروعًا حضاريًا ينهض على قيم التّلاقح والائتلاف، وبين بحوث أخرى ذات بعد تطبيقيّ تقنيّ، تشتغل على أدوات الذّكاء الاصطناعيّ محلّلة حدودها ومكامن قوّتها وإخفاها في التّعامل مع النّصوص الأدبيّة والفكريّة. بهذا التّلاقح، يكشف المؤلّف عن التّرجمة باعتبارها جسرًا مزدوج الاتّجاه: فهي تُطلّ على الماضي باعتباره ذاكرة ثقافيّة تحفظ التّراث وتعيد إحياءه بلغات أخرى، وتفتح على المستقبل بما يحمله من تحديّات تكنولوجيّة تستوجب استيعابها وتطويرها لخدمة الإنسان لا العكس.

كما أنّ الكتاب يؤكّد أنّ التّرجمة ليست مجرد وسيط بين لغتين؛ بل هي مجال خصب لإعادة التّفكير في علاقة الدّات بالآخر؛ إذ لا يمكن لأيّ ثقافة أن تزدهر في عزلة، ولا لأيّ لغة أن تحافظ على حيويّتها من دون انفتاح. بهذا المعنى فإنّ التّرجمة تعكس جدليّة التّفاعل والتّمايز: فهي تحفظ للدّات خصوصيّتها، وفي الوقت ذاته تمنحها فرصة الائتلاف مع غيرها ضمن أفق إنسانيّ جامع، لا ينفي الاختلاف؛ بل يحتضنه كشرط للإثراء والتّكامل.

من هنا، يُعدّ هذا الكتاب مرجعًا مهمًا لتتبّع كيف تتجلّى التّرجمة كأفق للحوار بين الثّقافات، وكعمل لاختبار إمكانيّات الذّكاء الاصطناعيّ في إعادة تشكيل فعل التّرجمة ذاته. وهو بذلك يضع القارئ أمام حقيقة أساسيّة مفادها أنّ التّرجمة ستظلّ، مهما تغيّرت الأدوات وتحوّلت الوسائط، جسرًا حيويًا يعبر الزّمن والمعنى، يربط بين الماضي والمستقبل وبين الدّات والآخر، في مشروع إنسانيّ يتطلّع إلى التّوازن والعدالة والعيش المشترك.

الكلمة الترحيبية باللغة العربية:

سماح حيدة، جامعة باشن بأمریکا.



"يرحب المجلس الأعلى للغة العربية برئاسة الأستاذ الدكتور صالح بلعيد، وكذا أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي برئاسة الأستاذة الدكتورة سعاد بسناسي، بكل الهيئات المنسقة والمشاركين والحاضرين وكل الطاقم العلمي والتنظيمي في النسخة الثانية من شهر الترجمة 2025 ونرجو للجميع حضوراً علمياً ممتعاً وثرياً.

الكلمة الترحيبية بالأمازيغية:



د. ربّعة برباق، جامعة العربيّ التّبسي، تبسة/الجزائر.

[illegible][illegible]

0E3D0J:K0.2Λ.0ΣΠ:G+DΣJG.O0.0,Λ.0ΞΙΣΣ0H.0.Λ0I2.0ΞIΧΣΣ0I.0X,
 0Π.0HΣ.0H0.0I:0+DΣH.0ΞI0H0.0I,0I0:HΣ0000:0Ξ+D.0XΣΣΛIΣΣΛIΣG+ΣG+2.
 G.0Σ0.0XI0:00G,0Σ+D0:0+0ΛJ.0Σ00:K0.0G040:G.0H,0Σ00.0.0.0.
 40:0ΞH,0Σ.0H0.40.0+.(00:00.0H00I)0Σ.0H0ΞG40.0H0ΞG(I.0I+
 ΛJ.0Σ0).0IΣ4.0K:00+0:0:0.0.0.400000:2.0E.0I0H02+,0:0I.0IΣ4.0K
 00H0Σ:00+0:0:0.0.0.400000:2.0E.0I0H02+,0:0I.0IΣ4.0K00H0Σ:00
 +0:0:0.0.0.400000:2.0E.0I0H02+,0:0I.0IΣ4.0K00H0Σ:00+0:0:0.0.0.
 400000:2.0E.0I0H02+,0:0I.0IΣ4.0K00H0Σ:00+0:0:0.0.0.400000:2.
 0E.0I0H02+,0:0I.0IΣ4.0K00H0Σ.0E.0I0H02+:00+0:0:0.0.0IΣ4.0K0.0
 :00+0:0:0.0E.0,Λ0IΣ4.0K0.0:00+0:0:0.0E.0,Λ0IΣ4.0K0.0:0
 +0:0:0.0E.0.

الكلمة الترحيبية باللغة الإنكليزية:

أ د حيدر جبرغبين/ اليمن.



The Higher Council of the Arabic Language, under the chairmanship of Professor Dr. Saleh Belaid, together with the Oran Academy for Scientific Studies and Cultural Interaction, under the chairmanship of Professor Dr. Souad Besnaci, cordially welcomes all coordinating bodies, participants, attendees, as well as the entire scientific and organizational staff to the second edition of Translation Month 2025. The Council and the Academy extend their best wishes for a fruitful and intellectually enriching event.

الكلمة الترحيبية باللغة الفرنسية:

د ساجية بوخالفي، جامعة تيزي وزو/الجزائر.



Le haut conseil de la langue arabe, présidé par le professeur Salah Belaïd, ainsi que l'Académie oranaise des études scientifiques et de l'interaction culturelle, présidée par le professeur Souad Besnaci, souhaitent la bienvenue à toutes les instances coordinatrices, aux participants, aux présents, ainsi qu'à toute l'équipe scientifique et organisatrice, à l'occasion de la deuxième édition du mois de la traduction 2025, qui se déroulera du 1 septembre au 28 du même mois.

Nous espérons à tous une présence scientifique, agréable et enrichissante.

Et c'est avec un immense plaisir que je prends la parole pour souhaiter en mon nom personnel la bienvenue à tous nos participants, comme je tiens à remercier vivement tous ceux qui ont contribué à la réussite du lancement de la deuxième édition du mois de traduction, entre autres, les deux comités, scientifique et d'organisation, et au professeur Souad Besnaci pour ses efforts grandioses.

Mes salutations les plus distinguées .

الكلمة الترحيبية باللغة التركية:

د.محمد شوش، جامعة ماردين أرتقلو/تركيا.



"Bugün, dilin ve düşüncenin aydınlığında bir araya gelerek 2025 İkinci Çeviri Ayı'nı onurlandırıyoruz.

Prof. Dr. Salih Belid'in başkanlığındaki Arap Dili Yüksek Konseyi ve Prof. Dr. Souad Besnası'nın başkanlığındaki Oran Bilimsel Araştırmalar ve Kültürel Etkileşim Akademisi, bütün katılımcıları, değerli kurumları, araştırmacıları, konukları ve bilimsel ile idari ekibi en içten saygı ve sevgiyle selamlamaktadır.

Bu buluşma yalnızca bilginin ve dilin bir kutlaması değil; aynı zamanda kültürlerin buluşması, düşüncelerin kaynaşması ve ufukları genişleten bir köprü inşasıdır. Dileriz ki bu toplantı, tüm katılımcılar için hem verimli bir bilimsel deneyim hem de zengin kültürel kazanımların kaynağı olsun".



الكلمة الترحيبية باللغة الفارسية:

د. رضا الموسوي، مشرف قسم الدراسات اللغوية والترجمية، بيت الحكمة/العراق.

امروز در پرتو اندیشه و زبان گرد آمده‌ایم تا دومین دوره ماه ترجمه ۲۰۲۵ را گرامی بداریم. شورای عالی زبان عربی به ریاست استاد دکتر صالح بلیعد، همراه با آکادمی وهرانی مطالعات علمی و تعامل فرهنگی به ریاست استاد دکتر سعاد بسناسی، با نهایت احترام و افتخار به همه میهمانان گرامی، نهادهای همکار، پژوهشگران، شرکت‌کنندگان و کادر علمی و اجرایی خوشامد می‌گویند.

این گردهمایی نه تنها جشن دانش و زبان است؛ بلکه فرصتی است برای هم‌افزایی، برای هم‌نشینی فرهنگ‌ها و برای بازآفرینی پلی که اندیشه‌ها را به هم پیوند می‌دهد. امید است حضور همگان در این آیین سرشار از بهره‌های علمی و بارور از دستاوردهای فرهنگی باشد.

الكلمة الافتتاحية



كلمة أ.د سعاد بسناسي ، جامعة وهران1،
عضو لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للغة العربية،
رئيسة أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي،
مديرة مخبر اللهجات ومعالجة الكلام، وهران،/الجزائر.

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل البدء أقول :

بسم الله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من نزل عليه القرآن
بلسانٍ عربيٍّ مبين، فكان أول المترجمين عن الحق إلى الخلق.

نقفُ اليوم على عتبة الترجمة، في حضرة الكلمة؛ حيث تتلاقى الأرواح قبل الألفاظ، لا كمجرد
نقلٍ لغويٍّ؛ بل كرحلةٍ في المعنى، وسفرٍ في الروح، وتأملٍ في تجليات الحكمة بين اللغات. إن الترجمة
ليست عبورًا من لغة إلى أخرى فحسب؛ بل هي عبورٌ من ظاهر النص إلى باطنه،
هي فنّ التأويل، وسرّ التوصيل، وجسرٌ بين الثقافات، ووسيلةٌ لفهم الآخر؛ بل لفهم الذات حين
تنعكسُ في مرآة اللغة.

السيدات والسادة، الحضور الكريم من مختلف أقطار العالم،

نلتقي في هذا اليوم البهّي، وفي رحاب الجزائر البيضاء نلتقيكم بقلوب بيضاء ... ومن البهجة لنحتفي
وإياكم بكلّ بهجة، ومن الباهية وهران بيضاء يليق بكم.... من بلد المليون ونصف مليون شهيد ... إنكم في
رحاب الجزائر، أرض التاريخ والمقاومة، أرض الشهداء والعلماء كذلك

من منبر العلم والعلماء وتحديدًا المجلس الأعلى للغة العربية بعناية كريمة من رئيسه الموقر
البروفيسور صالح بلعيد لنحيي معًا النسخة الثانية من التظاهرة الدولية شهر الترجمة في الجزائر، تحت
شعارٍ يحمل في جوهره رسالة إنسانية عميقة: "تلاقح الثقافات لبناء الحضارات."

ويطيبُ لنا، في مستهلّ هذا اللقاء، أن نُوجّه أسى آيات الشكر والعرفان إلى السيد رئيس المجلس
الأعلى للغة العربية، البروفيسور صالح بلعيد، على رعايته الكريمة لهذه التظاهرة في نسختها الثانية،
وعلى دعمه المتواصل، وتحفيزه الدائم لكلّ المبادرات التي تُعلي من شأن اللغة العربية، وتُكرّس الترجمة

كفعل حضاريّ جامع. لقد كان حضوره المعنويّ والفكريّ سندًا لهذه الفعاليّة، ورافدًا أساسيًا في ترسيخ رؤيتها، التي تسعى إلى جعل الترجمة أداةً للتّقارب، ومنصّةً للحوار، وجسرًا للتّفاعل بين الثقافات. كما نُسدي ترحيبًا مستحقًا، لنُحيي المؤسّسات الشّريكة والدّاعمة:

- المجمع الأكاديميّ العالميّ، العراق، ممثلاً في رئيسه الأستاذ صباح علي السّليمان؛
- مركزُ الابتكار والريادة، الجامعة الإسلاميّة الفرع الرّئيس بأمريكا، ممثلاً في مديره الأستاذ عاصم مفلح زاهي العطرور؛
- أكاديميّة مينسوتا لتعليم اللّغات، تركيا، ممثّلة في الأستاذ جاسم علي جاسم؛
- بيت الحكمة، قسم الدّراسات اللّغويّة والترجميّة، العراق، ممثلاً في الأستاذ رضا كامل الموسوي، جامعة التّبيان، العراق، ممثّلة في الأستاذ حيدر جين غبن؛
- مركز البحوث والدّراسات الأندونيّسيّة، جامعة قناة السّويس، مصر، ممثلاً في مديره الأستاذ حسن يوسف، جامعة الأنډلس للعلوم والتّقنيّة، اليمن، ممثّلة في رئيسها الأستاذ أحمد محمّد برقعان،
- المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، ممثّلة في مديرها الأستاذ رابح طبجون، جامعة تلمسان، مخبر المعالجة الآليّة للغة العربيّة، الجزائر، ممثلاً في مديرته الأستاذة سليمة دالي.
- جامعة وهران1، مخبر الترجمة وتعليميّة اللّغات، الجزائر، ممثلاً في مديره الأستاذ خليل نصر الدّين،
- جامعة الوادي، كلّية الآداب واللّغات، الجزائر، ممثّلة في عميدتها الأستاذة دلال وشن، مرحبًا بكم جميعًا، في هذا الفضاء الثّقافيّ الذي يجمعُ المترجمين، والمفكرين، واللّغويّين، من الجزائر ومن مختلف أنحاء العالم، نقول:
- مرحبًا بكم في الجزائر؛ حيث تتلاقى الثقافات، وتُبنى الحضارات، وتُكتب فصول جديدة من التّفاهم الإنسانيّ.
- السّيّدات والسّادة، الحضور الكريم،

تطلّ الترجمة جسرًا نابضًا بالحياة، في زمن تتسارع فيه التّحوّلات، وتتشابك فيه الهويّات، يعبرُ بنا من ضفّة إلى أخرى، لا لننقل الكلمات فحسب؛ بل لننقل روح الشّعوب، وذاكرة الأمم، ونبض الإنسانيّة. إنّنا اليوم لا نحتفي بفعل الترجمة كأداة لغويّة؛ بل نحتفي بها كفعل حضاريّ، كوسيلة للتّقارب، وكقوّة

ناعمة قادرة على نسج خيوط التفاهم بين الثقافات، وتفكيك الصور النمطية، وبناء جسور الاحترام المتبادل.

إن شعار هذه النسخة -تلاقح الثقافات لبناء الحضارات - ليس مجرد عبارة؛ بل دعوة مفتوحة للانفتاح، وللايمان بأن الحضارة لا تُبنى إلا حين تتلاقى الأفكار، وتتجاوز اللغات، وتتفاعل الرؤى، في فضاء من التعددية الخلاقة.

نجدد الترحاب القوي بكم جميعاً، في هذا العرس الثقافي الذي يجمع المترجمين، والمفكرين، واللغويين وصناع المعنى. مرحباً بكم في الجزائر؛ حيث تمتزج الأصالة بالانفتاح، وحيث نكتب معاً فصلاً جديداً في كتاب الترجمة العالمية.

وفي ختام هذه الكلمة الافتتاحية، لا يسعنا إلا أن نرحب بحرارة واعتزاز بكوكبة المحاضرين والباحثين الذين لبوا دعوة التظاهرة من مختلف جامعات وطننا الحبيب الجزائر، ومن جامعات العالم قاطبة حاملين معهم زاداً علمياً ثرياً، ورؤى بحثية عميقة، تجسد بحق روح التلاقح الثقافي الذي ننشده، وتسهم في إثراء النقاش الأكاديمي حول الترجمة، واللسانيات، وتعليمية اللغات.

إن نوعية البحوث التي ستعرض خلال هذه الأيام من الفاتح إلى 28 سبتمبر 2025 وتوصيات الشهر وصولاً إلى المؤتمر الدولي يومي: 29- 30 سبتمبر 2025 وتوصياته كذلك، وما تحمله من جدة وعمق، تُعد شهادة حيّة على حيوية الفكر، وقدرة الترجمة على أن تكون أداة للتجديد، ومنبراً للحوار، ورافعة للمعرفة العابرة للحدود.

ولا يفوتنا أن نثمن عالياً الجهود الجبارة التي بذلتها لجان التظاهرة، وفي مقدمتها وحدة اللسانيات وتعليمية اللغات بأكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي، برئاسة الدكتورة خديجة مرات التي قادت هذا المشروع بحكمة واقتدار، مدعومة بفريق نشيط ومتفان، نحب أن نسميه بكل فخر: خلية النحل، لما أبداه من انسجام وتفان في العمل، ونخص بالذكر:

الدكتورة بوداود زينب، الدكتورة بوعمراني نسرين، الدكتورة فاطمة كجعوط، الدكتورة إيمان مقداد، الدكتور أمين عليوة، الأستاذ خير الدين عسلي، واللجان العلمية والاستشارية، ولجان التنظيم والبت التقني، وكل جنود الخفاء الذين عملوا بصمت، وبإخلاص، ليخرج هذا الحدث في أبهى صورة.

كما نحني بكل تقدير الأسرة الإعلامية التي سترافق التظاهرة، ناقلة تفاصيلها، وموثقة لحظاتها ومُسهمّة في إيصال رسالتها إلى أوسع جمهور.

فشكرًا لكم جميعًا، لأنكم آمنتُم معنا بالفكرة لتحقيق: مشروع شهر الترجمة في الجزائر، بكلّ ما يحمله من أمل، وطموح، وتطلّع إلى مستقبلٍ تُبنى فيه الحضارات على أسس الحوار، والتّفاهم، والتّنوّع الخلاق.

فلكم مئة ألف سلام وسلام

والله الموفق والمستعان، والسلامُ عليكم ورحمته تعالى وبركاته



كلمة أ.د صباح علي سليمان،
رئيس المجمع الأكاديمي العالمي/ العراق.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد؛

فالسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بادئ ذي بدء أشكر القائمين على محفل الترجمة ، وأخص بالذكر أكاديمية الوهراني للدراسات
العلمية والتفاعل الثقافي في الجزائر برئاسة الأستاذة الدكتورة:

سعاد بسناسي المحترمة؛

والمجلس الأعلى للغة العربية برئاسة الأستاذ الدكتور: صالح بلعيد المحترم؛

وإلى معالي رؤساء الهيئات العلمية المحترمين ، والشكر موصول إلى الباحثين والحضور المحترمين
فلکم مني كلّ التقدير والاحترام.

تعدّ الترجمة لسان حال للعلوم في العالم فمنها عرفت مبادئ الإنسانيّة في العالم ، والعلوم الإنسانيّة
والعلميّة ، وثقافات الشعوب ، وأنواع الدراسات، فهي ليست مهنة؛ بل علماً قائماً بذاته، وعلم الترجمة
قديم فمنذ بداية دراسة العلوم دأب العلماء إلى ترجمة دراسات العلماء؛ للنظر فيها، والاستفادة منها،
وكانت بغداد والأندلس راعية للترجمة في العالم ، وهذا يحسب للمسلمين.

وفي نهاية المطاف أتمنى لمحفلکم العلميّ كلّ الازدهار والتّوفيق . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



كلمة أ.د عاصم زاهي مفلح العطرور،
مدير مركز الابتكار والريادة،
الجامعة الإسلامية منيسوتا/ أمريكا.

أستاذ الأدب والنقد العربي بالجامعة الإسلامية بمنيسوتا الأمريكية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى العربية لتكون لغة الدين الحق والكتاب المبين، فوقت به لفظا ومعنى وجلته تبياناً وحكما، وأبلغته غايةً وقصدا. وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على المبعوث بالحق رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

يُسعدنا ونحن نلتقي في هذا المؤتمر العلمي الدولي القيم، الموسوم بـ(شهر الترجمة في الجزائر)، والذي عُقد احتفاءً باليوم العالمي للترجمة، وخدمة لهذه اللغة الجليّة، تحت شعار: تلاقي الثقافات لبناء الحضارات، مؤطرا بوعي أمتنا بأهمية التكامل الفكري مع الأمم الأخرى؛ سبيلا للخروج من مأزق القصور الثقافي والحضاري الذي يخلفه الانغلاق على الذات. فمعلوم أن الترجمة قديمة قدم اللغات؛ بل إنها أقدم من اللغات؛ حيث إنها وسيلة للتواصل بين الشعوب المتباينة في العرق واللغة والثقافة، وعامل للحوار والتواصل والتعارف بين الأمم.

يسعدني أن استهلّ حديثي بالشكر والتقدير والعرفان لكل من أسهم في هذا المؤتمر العلمي القيم فكرة وإعدادا وإنجازا، ممثلين براعي المؤتمر المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، وأكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي، وأخص بالشكر رئيسة الأكاديمية الأستاذة الأدبية المتألّفة البروفيسور سعاد بسناسي، والشكر موصول إلى جميع المؤسسات المنسقة والمتعاونة من داخل الجزائر وخارجها، وإلى جميع الأساتذة الأعزاء القائمين على إنجاح فعاليات هذا المؤتمر، ولا سيما رؤساء وأعضاء اللجنة العلمية والتنظيمية للمؤتمر، فبارك الله في جهودكم جميعا، والمتحدّث إليكم من الأردن الأستاذ الدكتور عاصم زاهي العطرور أستاذ النقد الأدبي، ومدير مركز الابتكار والريادة بالجامعة الإسلامية بمنيسوتا الأمريكية فباسمي وباسم الجامعة الإسلامية بمنيسوتا الأمريكية نرحب بكم جميعا أجمل ترحيب.

أيها السادة الباحثون الأعزاء.... أيها الحضور الأفاضل؛ لقد كانت الترجمة منذ أقدم العصور، ولا تزال من أهم القنوات المعرفية التي اهتدى إليها الإنسان للتعرف على ثقافة غيره من الشعوب التي احتك بها بوجه من الوجوه؛ حيث كان للترجمة دور بارز في مدّ جسور التواصل المعرفي بين سائر الأمم والشعوب وقد شكّلت حركة ثقافية رائدة جديدة بالبحث والاعتبار. لما ينتج عنها من فوائد جمدة بصفتها رافد النقل لخبرات السابقين وتجاربهم، بكافة الميادين.

وتعدّ الترجمة من أهم وسائل تلاقح الحضارات والثقافات، وسبيلا لتلاقي المعارف والأفكار، وإن المتأمل في تاريخ الترجمة ومسار تطورها يلحظ بأن الأداء الترجمي تتداخل فيه العديد من المجالات العلمية والمعارف، وهو ما يجعل عملية الترجمة تكتسي طابعا فكريا وعلميا بامتياز، ولا سيما حينما يتعلق الأمر بالترجمة الأدبية أو الإبداعية، التي تعد من أصعب الترجمات وأكثرها تعقيدا؛ لما تتمتاز به من طابع خيالي لا محدود، وبالتالي بتفسيرات وتأويلات لا حصر لها.

وفي ختام هذه الكلمة فانه ليشرفنا أن نجدد فائق الترحيب ونكرر خالص الشكر والعرفان لكم جميعا.. راجيا للجميع التوفيق والسداد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



كلمة الأستاذ الدكتور جاسم علي جاسم
نائب رئيس أكاديمية منيسوتا لتعليم اللغات/ تركيا
عميد كلية علم اللغة التطبيقي بالأكاديمية



بسم الله الرحمن الرحيم

تعدّ الترجمة إحدى فروع علم اللغة التطبيقي، لها نظرياتها ومناهجها وأساليبها وأدواتها الخاصة بها¹. وتشكّل جزءاً مهماً من التفاعل الثقافي بين الأمم. وهي مصدر غني وفريد للمعلومات لبني البشر. ويتحتّم استخدامها لمعرفة ما يعرفه الآخرون، وما يحسّون به، على الرغم ممّا يعترضها من النقص والتناقض والغموض والصعوبة وغير ذلك من المشاكل التي تصادف المترجم أثناء عمله. ولقد اهتم العرب بها اهتماماً بالغاً؛ وفي هذا الخصوص يقول (جاسم وجاسم², 1995): إنّ "الترجمة العلمية موضوعٌ عزيزُ الجانب عند العرب، سواء أكانوا حكاماً أم علماء، ولقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، فتعلمها في سبعة عشر يوماً... ولقد كان العرب يدفعون للمترجم وزنَ الكتاب ذهباً، بعد أن يقوم بترجمته، وذلك إبان الخلافة العباسية".

اهتمّ الجاحظُ بهذا الموضوع في مؤلفاته القيّمة، وبَيّن أنها مهمّة صعبة وشاقة على المترجم. خاصّة إذا كان المترجم يترجم من لغة ندر من تخصّص فيها. وها هو يحدثنا عن صعوبة ترجمة الشعر والقرآن الكريم، مبيناً من خلالها خصائص وشروط المترجم، وذاكراً مزاياها ومثالبها، وأنّها ضرورية لا بد منها في الصناعات وغيرها، على الرغم ممّا يعترضها من المشاكل.

1- الشّميمري. نقلاً عن: كوك، فاي. 2008م. علم اللغة التطبيقي. ترجمة الشّميمري، يوسف بن عبد الرحمن. الرياض: جامعة الملك سعود، النّشر العلمي والمطابع. ص:ز.

2- Jassem, Z.A. & Jassem, J.A. 1995. Translating scientific Terms: An Arabic example and case study. Proceedings 5th international conference on translation "Theme: translation in the global perspective" 21-23 November. Pp.13.

- ابن الأثير. 1377هـ. أسد الغابة في معرفة الصّحابة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. المجلد2، ص222.

صعوبة ترجمة الشعر: يقرّ الجاحظ بصعوبة ترجمة الشعر، وأنه لا يمكن ترجمته إلى اللغات الأخرى، لأنه يفقد وزنه وإيقاعه ومعناه، وهو ليس كالنثر الذي يمكن ترجمته ونقله، ويؤكد الجاحظ هذا بقوله³:

"والشعر لا يستطيع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطّع نظمُه وبطلَ وزْنُه، وذهب حسْنُه وسقطَ موضعُ التّعجب، لا كالكلام المنثور".

يُقرّ الجاحظ هنا بصعوبة ترجمة الشعر؛ لأن فيه معاني خفية، وكنائيات بليغة، وتشبيهات بليغة، وصور بديعة. فمتى تُرجمت ذهبت كلّ هذه الصور الفنية القيّمة منه، وأصبح الشعر لا فائدة منه؛ لأن المترجم مهما حاول جاهداً لن يكون أبداً مثل الشاعر أو المؤلف الذي نظم كلّ هذا، عالماً بالمعاني، وتصاريّف الألفاظ، وتأويلات المخرج، وغيرها من الأمور الدّقيقة في اللّغة. حيث يقول⁴:

"ثم قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتجّ له: إن التّرجّمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفّيها حقوقها، ويؤدّي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجري، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقّها وصدقها، إلا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريّف ألفاظها، وتأويلات مخرجها، ومثل مؤلّف الكتاب وواضعه..."

يعترف الجاحظ هنا؛ بأن ترجمة الشعر مهمة عسيرة، لأنها تتضمن معاني خفية، ودقائق بليغة، لا يقدر عليها إلا من كان ضليعاً باللّغتين، وأنّى يكون هذا؟! ويؤيد هذا القول في العصر الحديث نيوبرت وشريف⁵: "... أنّ مقدرة التّرجمة على التّغلّب على الحواجز التّاريخيّة والثّقافيّة الاجتماعيّة مقدرة محدودة... فلا توجد هناك نصوص مكافئة في اللّغة الهدف. وفي هذه الحالات تكون المواقف التّرجميّة غير منسجمة بعضها مع بعض (بين النصّ المصدر والنّص الهدف)".

شرائط التّرجّمان: يذكر الجاحظ جملة من الشّروط لعمل المترجم؛ منها:

- معرفته باللّغة المنقولة والمنقول إليها معرفة تامّة؛

- كثرة عدد المترجمين الذي ينقلون من لغة إلى أخرى لكي يشدّ بعضهم إزر بعض؛

3- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. 2003م. الحيوان. وضع حواشيه: عيون السّود، محمد باسل. الطّبعة الثّانيّة، بيروت: دار الكتب العلميّة. ج1، ص53 وما بعدها.

4- الجاحظ. 2003م. الحيوان. ج1، ص53-54.

5- نيوبرت، ألبرت، وشريف، غريغوري. 2008م. التّرجمة وعلوم النّص. ترجمة: حميدي، محي الدين. الطّبعة الثّانيّة، الرّياض: جامعة الملك سعود، النّشر العلميّ والمطابع. ص33.

- معرفته بإصلاح سقطات الكلام، وإسقاط النّاسخين للكتب. لأن إنشاء الألفاظ أهون من إصلاح كلمة سقطت من الكتاب؛

- لا يمكن ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفيّة، وإنّما تنقل معانيه وتقرب إلى أذهان النّاس⁶.

ويرى الجاحظ⁷ أنّ ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفيّة مهمّة مستحيلة. وأنّ الخطأ في الدّين أضّرّ من الخطأ في العلوم الأخرى، خاصّة إذا كان المترجم غير كفؤ لهذه العمليّة.

ويقول القلقشندي عن صعوبة نقل القرآن وترجمته ما ملّخصه⁸: "... فقد نُقِلَ ما قاله حكماء العجم والفلاسفة إلى العربيّة، ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن إلى لغته، لكمال لغة العرب، على أنّ الكثير من النّاس حاولوا ذلك فَعَسُرَ عليهم نقله، وتعدّرت عليهم ترجمته؛ بل لم يصلوا إلى ترجمة البسملة إلا بنقل بعيد".

ويدعم كوك هذا الرّأي أيضاً حيث يقول⁹: "... الدّرجة التي يجب أن يحاول المترجم في إطارها الالتزام بما يقال أو التّدخل لجعل تدفق النّص الجديد أكثر سلاسة أو تحقيق نفس الأثر مثل الأصل المترجم، هذا الأمر ليس سهلاً بالتّأكيد، كما أنّ التّرجمة الحرفيّة (كلمة بكلمة) تعدّ مستحيلة إذا كان الهدف هو ترجمة ذات معنى، يتضح هذا الأمر جلياً عند ترجمة حتى أكثر العبارات مباشرة وبين لغتين متشابهتين".

ويقول الأستاذ الدّكتور زيدان علي جاسم عن ترجمة القرآن الكريم:- في إحدى محاضراته في الجامعة الإسلاميّة العالميّة بماليزيا عام 1994م- لابد من إشراك كلّ من أساتذة الشّريعة واللّغة العربيّة والعلوم والطّب والهندسة وغيرها من العلوم، لكي يقوموا بترجمة القرآن الكريم؛ لأنّ لكلّ علم من العلوم مصطلحاته ومفاهيمه الخاصّة به، يعرفها أهل التّخصّص الذين هم أدري بها.

يؤكد الجاحظ على أنّ التّرجمة عمليّة صعبة للغاية ولكّنها حتميّة، ويجب على المترجم أن يكون عالماً وكفؤاً في كلّ من اللّغتين التي يترجم منها وإليها، وأن يكون عالماً بالمعاني والأفكار والعادات والتّقاليد وغير ذلك. وأن يكون عارفاً بإصلاح سقطات الكلام من النّصوص التي يقوم بترجمتها، وأن ترجمة القرآن الكريم والشّعْر ترجمة حرفيّة مستحيلة وصعبة، ولكن التّرجمة المعنويّة مقبولة إلى حد ما، كما أنّ التّرجمة ليس لها قواعد مضمونة لمعرفة نجاحها من عدمه، وأنّ المترجم أيضاً لا يستطيع أن يضمن ترجمة جيدة بشكل مضبوط ودقيق جداً كذلك.

6- الجاحظ. 2003م. الحيوان. ج1، ص54.

7- الجاحظ. 2003م. الحيوان. المصدر السّابق. ج1، ص54-55.

8- القلقشندي، أبو العباس أحمد. 1922م. صبح الأعشى. القاهرة: دار الكتب المصريّة. ج1، ص149.

9- كوك. 2008م. المرجع السّابق. ص68 وما بعدها.



كلمة: أ.د رضا كامل الموسوي

رئيس قسم الدراسات اللغوية والترجمة - بيت الحكمة



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السيدات والسادة:

من بيت الحكمة العراقي أقول لكم : إنه لشرف عظيم أن نفتح معاً شهر الترجمة في الجزائر، تحت شعارٍ بليغ: تلاقح اللغات لبناء الحضارات. فليست اللغة مجرد أداة تواصل، وليست الترجمة مجرد تحويلٍ للعبارات؛ بل هما فضاءٌ رحب تُصاغ فيه معاني الإنسانية المشتركة.

لقد عرفت الإنسانية منذ فجرها أن الحضارة لا تُبنى على الانغلاق ولا على الانكفاء بالذات؛ بل على الانفتاح، على اللقاء، وعلى التبادل العميق للمعرفة والرؤية. فالحضارات العظمى لم تزدهر إلا حين مدت يدها إلى لغات الآخرين، تستنطقها وترجمها وتغرسها في تربتها، لتثمر إبداعاً جديداً. أليست بغداد بيت الحكمة، وقرطبة الأندلس، وسامراء ومرو ونيسابور، شواهد حيّة على أن الترجمة كانت رئةً تتنفس بها الحضارة؟

الترجمة ليست عبوراً آلياً من لغة إلى أخرى؛ بل هي لقاء إنساني، هي حوار العقول عبر الزمن والجغرافيا. إنها ليست استنساخاً؛ بل إبداعٌ ثاني، توليد للمعنى، وإعادة بعث للنص في حياة جديدة. ولهذا كانت الترجمة فعل حب، وفعل مسؤوليّة، وفعل بناء.

إننا إذ نحتفل اليوم بالترجمة؛ فإنما نحتفل بالإنسان نفسه: بالقدرة على الإصغاء، على التعلّم، على استضافة الآخر في لغتنا من غير خوف، وعلى منح ذاتنا للآخر بلا تردد. فاللغات إذا تلاقحت، تكوّنت الحضارات، وإذا انعزلت، ذبلت وماتت.

فلنجعل من هذا الشهر مناسبةً للتأمل في مسؤوليتنا كترجمين، وباحثين، ومثقفين، عن أن نكون الجسور التي تُبقي العالم متصلاً، والقلوب متقاربة، والمعرفة حيّة نابضة. فالترجمة ليست مهنةً فحسب؛ بل قدرٌ إنساني، ورسالة حضاريّة، وبوابة نحو مستقبلٍ لا مكان فيه للعزلة والانغلاق.

فلنُجَيِّ التَّرجمة، لا بوصفها وسيلةً بين النّصوص فقط؛ بل باعتبارها مشروعًا إنسانيًا جامعًا، يتّسع للجميع، ويُعيد تشكيل الوعي البشريّ في أفقٍ أرحب؛ حيث يلتقي الشّرق بالغرب، والشّمال بالجنوب، ليكتبوا معًا سطور الحضارة المقبلة.



كلمة أ. د. حيدر جبن غبن، جامعة التبيان/ العراق



بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية؛

السيدة رئيسة أكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي؛

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يشرفني بصفتي عميد كلية التربية في جامعة التبيان ، العراق وأستاذًا في الأدب المقارن وأدب ما بعد الاستعمار أن أشارككم الإحتفاء باليوم العالمي للترجمة تحت شعار: " تلاقح الثقافات لبناء الحضارات "

لقد أثبت التاريخ أن الترجمة كانت ولا تزال حجر الأساس في نهضة الأمم، فهي التي حفظت إرث الحضارات، وفتحت آفاق المعرفة وجعلت من بيت الحكمة في بغداد مثالًا خالدًا على التفاعل الخلاق بين الثقافات. واليوم وفي ظلّ التحديات العالمية تتجدد الحاجة إلى الترجمة باعتبارها جسرًا للحوار وأداة للتفاهم ومصدرًا لتجديد الفكر الإنساني.

إنّ الترجمة ليست مجرد نقل لغوي؛ بل هي فعل حضاري يحقق الثقافة، ويعيد صياغة العلاقة بين الشعوب على أساس التعددية والتكامل. وهنا أستذكر قول المفكر إدوارد سعيد " الثقافة لاتزدهر إلا في تواصلها مع الآخر وفي قدرتها على الترجمة وإعادة التأويل "

من هذا المنطلق فإن تعزيز مكانة المترجمين ودعم البحث العلمي في مجالات الترجمة والدراسات المقارنة يظلّ واجبًا أكاديميًا وإنسانيًا لبناء عالم أكثر عدلًا وسلامًا.

ختامًا؛ أتوجّه بالشكر الجزيل للقائمين على تنظيم هذه الفعالية العلمية المميّزة، متمنيًا لفعاليتها النجاح والتوفيق.



جامعة قناة السويس/ مصر. كلمة أ.د حسن يوسف

مدير مركز البحوث والدراسات الإندونيسية العميد الأسبق لكلية الآداب والعلوم
الإنساني.

العميد السابق لمعهد الدراسات الأفرو آسيوية للدراسات العليا

مستشار رئيس الجامعة لشئون معهد الدراسات الأفرو آسيوية



بسم الله الرحمن الرحيم

بكل فخر واعتزاز، نحتفي اليوم بانطلاق فعاليات شهر الترجمة في الجزائر، تزامناً مع اليوم العالمي للترجمة، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 30 سبتمبر من كل عام، تكريماً للمترجمين ودورهم الحيوي في تعزيز التفاهم بين الشعوب والثقافات، والمساهمة في بناء عالم أكثر تواصلاً وتسامحاً.

إن الترجمة لم تكن يوماً مجرد نقل للكلمات من لغة إلى أخرى؛ بل كانت ولا تزال فعلاً ثقافياً وإنسانياً عميقاً وجسراً حضارياً يربط بين الأمم، ويسهم في تبادل العلوم، ونقل المعارف، وتعزيز الحوار الإنساني. ولطالما لعب المترجم الجزائري دوراً ريادياً في هذا المجال، سواء في الترجمة الأدبية، أم العلمية، أم الفورية مجسداً بذلك انفتاح الجزائر على الثقافات الأخرى، وحرصها على الإسهام الفعال في الحضارة الإنسانية.

ويأتي هذا الشهر ليكون مساحة للاحتفال، ولتقدير جهود المترجمين، وفرصة للتفكير في تحديات المهنة وسبل تطويرها وتحقيق الاعتراف المجتمعي والمؤسساتي بأهميتها. كما يمثل مناسبة لتعزيز تعليم الترجمة وتوسيع آفاقها، وتشجيع الشباب على الانخراط في هذا المجال النبيل، بكل ما يتطلبه من التزام، ودقة وثقافة واسعة، وإحساس عالٍ بالمسؤولية.

في هذا السياق، نسعى من خلال تنظيم المحاضرات، والورشات، والتدوات، والمعارض، إلى تسليط الضوء على قضايا الترجمة في الجزائر، واستعراض تجارب روادها، وفتح النقاش حول دورها في التنمية اللغوية، والثقافية، والعلمية.

فلنجدد العهد على دعم الترجمة والمترجمين، والعمل على ترسيخ ثقافة الاعتراف بعطائهم، إيماناً بأن الترجمة ليست ترفاً فكرياً؛ بل ضرورة حضارية في زمن تتقاطع فيه اللغات، وتتسارع فيه وتيرة المعرفة. كل عام وكل مترجم بخير.



كلمة أ.د أحمد محمد البرقعان،

رئيس جامعة الأنديلس للعلوم والتقنيّة/ اليمن.



بسم الله الرحمن الرحيم

السيدات والسادة، الأستاذ الدكتور صالح بلعيد - رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر
الأستاذة الدكتورة سعاد عبدالقادر بسناسي - رئيسة أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة والتّفاعل
الثّقافيّ، الأخوة الباحثين من مختلف البلدان العربيّة والإسلاميّة، ضيوفنا الكرام جميعاً.

يسعدني في افتتاحيّة هذه الفعاليّة المائزة بمناسبة "شهر التّرجمة في الجزائر احتفاءً باليوم العالميّ
للترجمة" تحت شعار "تلاقح الثقافات لبناء الحضارات"، أن أرحب بكم جميعاً في هذا الجمع المبارك. إنّ
شهر التّرجمة يمثّل فرصة سانحة لتبادل الثقافات وتقريب وجهات النّظر بين مختلف الشّعوب، وهو ما
يعكس أهميّة التّرجمة في بناء جسور التّواصل بين الحضارات. إنّ فعاليّة شهر التّرجمة التي تنظمها
أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة والتّفاعل الثّقافيّ، والتي تتوج بمؤتمر علمي يضم نخبة من الباحثين
والمترجمين، تعكس الاهتمام الكبير بالتّرجمة ودورها في تعزيز التّبادل الثّقافيّ بين الشّعوب. إنّ هذا الحدث
يمثّل فرصة ثمينة لتبادل الخبرات والرّؤى حول أهميّة التّرجمة في بناء الحضارات وتطوير المعرفة.

أود أن أثني على أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة والتّفاعل الثّقافيّ على دورها الرّائد في
استضافة هذه الفعاليّة والإشراف عليها، كما أثني على الأستاذة الدكتورة سعاد عبدالقادر بسناسي على
جهودها المتميّزة في هذا الصّدد. إنّ هذا العمل يعكس التّزاماً حقيقياً بتعزيز دور التّرجمة في خدمة
المجتمع، والإسهام في بناء الحضارات الإنسانيّة في ظلّ عصر التّكنولوجيا الرّقميّة.

ختاماً، أود أن أوكد على أهميّة التّرجمة في تقريب الثقافات وتعزيز التفاهم بين الشّعوب، وأن أثني
مرة أخرى على أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة والتّفاعل الثّقافيّ على دورها المتميز في هذا المجال.
أتمنى لكم جميعاً التّوفيق والنّجاح في فعاليّات هذا الشّهر، وأن يخرج المؤتمر العلميّ بنتائج مثمرة تعود
بالنّفع على الجميع. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



كلمة: أ.د خليل نصر الدين جامعة وهران1، مدير مخبر الترجمة

وتعليمية اللغات/الجزائر، على لسان الأستاذة: د. ليلي عالم، جامعة وهران/الجزائر.



بسم الله الرحمن الرحيم

تحت الرعاية السامية للمجلس الأعلى لغة العربية؛ رئاسة أ.د صالح بلعيد؛

وأكاديمية الوهراني للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي بالجزائر؛ رئاسة أ.د سعاد بسناسي؛

وبالتنسيق مع مخبر تعليمية الترجمة وتعدد اللسن؛ رئاسة أ.د خليل نصر الدين؛ هذا المخبر الذي يعود تأسيسه الى سنة 2000، وهو المخبر الذي احتضن فعاليات ترجمة دولية عديدة امتدت الى ما ينيف عن الربع قرن من الزمان.

نرحب بصانعي هذا المؤتمر، مؤسسيه ومؤطريه، منظميه، مسيري، محاضريه، تقنييه و....و...

نرحب بكل ما ستقدمونه في هذا الشهر، شهر الترجمة هذا الذي نستقبله في طبعته الثانية بحلذة جديدة مميزة و متميزة معا.

مرحبا بالجميع ...

هذا ويهدف المؤتمر الى تسليط الضوء على قضايا الترجمة وانشغالاتها و عوالمها عبر محاضرات و مداخلات مهمة و جادة يلقيها مبدعوها وصانعوها.

يقرّ جهابذة الترجمة بانها كتابة وصناعة وتعريب. تستند الى الدلالات صرفا ونحوا وتركيبا ولفظا ودلالة و تهتمّ بالبلاغة معنى وتبياننا لنحصل على بلاغة الترجمة؛ بل على براعة بلاغة الترجمة . فما احوجنا الى الترجمة من العربية واليها !!!

إنّ عوالم الترجمة كثيرة، تجمع الأدب والفنّ والتقنيّة والعلوم وما إليها. يلجها المترجم وهو مسلّح ببعض أسلحتها تلك التي تتفاوت قدرة و متانة من مترجم الى آخر. ذاك الذي يحاول ان يبحر بنصه الى جزيرة اخرى . ولكن أيّ سفينة تلك التي ينبغي أن يمتطئها؟ وكيف يبحر؟ ومتى؟

وإذا قلنا ترجمة (الادب) فهذه معضلة أخرى بين المؤيّد والمعارض ، بين كافكا و جون كوهين زعماء المعارضة و بين غيرهم من المؤيدين و المناصرين.

وإذا قلنا الترجمة العلمية والتقنية ، فثمة أيضا اشكالات أخرى.

نحن إذن أمام عملية هجرة النصوص وتهجيرها، حين ينزح النص من إلى ، أمام فعل الترجمة ،
أمام المخاطرة مثلما لقبها هايدجر

الترجمة مثلما قال أحدهم هي ليلي التي يدعي وصلها الكثيرون .لكن هل تدعي هي وصلا لهذا اولذاك ؟

كلّ يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لذي وصل وصلا

إن خبراء الترجمة هم الذين عاينوها وخبروها ومارسوها ونظروا لها باحثين عن الجودة والجدة
فيها. تلك التي تخضع الى مقاييس ومعايير ينبغي إن تحترم وتتبع.

ونحن إذ نطرح هذه القضايا، ليس من باب المجاز طبعا ، لكن من باب الفضول العلمي ومن باب
ترجمي جادّ، تتواشج فيه خيوط الترجمة الأصيلة . التي نرنو إليها دوما.

شكرا للجميع

وأهلا وسهلا بالجميع، موفقون جميعا، ممنونين لكم جميعا، أرجو أن تروقكم كلماتي.



أ. د. صالح بلعيد، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية/الجزائر



بسم الله الرحمن الرحيم

إنّها الطّبعة الثّانية التي تقيمها (أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة والتّفاعل الثّقافيّ) برعاية المجلس الأعلى للغة العربيّة. وبهذا يفتتح دخوله العلميّ في الأوّل من شهر سبتمبر احتفاءً وتحضيراً للفعاليّة العالميّة التي تكون بتاريخ 30 سبتمبر 2025 بمناسبة اليوم العالميّ للترجمة. ويأتي هذا التّحضير العلميّ استكمالات للفعاليّات العالميّة وهي:

- اليوم العالميّ للغة الأمّ 21 فيفري من كلّ سنة؛

- اليوم العالميّ للعيش معاً بسلام 16 مايو من كلّ سنة؛

- اليوم العالميّ للتنوّع الثّقافيّ 21 مايو من كلّ سنة.

إضافة إلى بعض الفعاليّات ذات العلاقة بالعلم والعلماء، وما يدخل في مسألة الترجمة التي لا تعني فقط نقل العلم من لغة إلى أخرى؛ بل تعني الأخذ والعطاء والمثاقفة وبداية حضارة حيث توقفت حضارة، واستكمال مسار حركة التّفاعل الحضاريّ بين اللّغات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تصبح الترجمة جسراً عابراً للحدود بين السّابق وما يأخذ به اللاحق. وهكذا التّفاعل المطلوب الذي نروم أن يكون استكمالاً لوصفة الأجداد أيام مجدهم التّليد؛ فمن (بيت الحكمة) ببغداد إلى أيام الأندلس ومحضرات العلوم، وانتقال العلماء ومعهم الرّاد العلميّ الذي تناسلت عبر منتوجهم مختلف العلوم، فكانوا بناءً للحضارة الشّرقية بميسمها العربيّة لغة والشّريعة إسلام. وكانت حاملة للدّالات الثّلاث: الدّين والدّنيا والدّولة.

إنّ الترجمة فعل نبيل، ولما ننظر في برنامج هذه التّظاهرة العلميّة نرى زخماً كبيراً من العناوين المهمّة التي نأمل أن تكون حاملة لتحديّات معاصرة ذات العلاقة بالترجمة الآليّة؛ لأنّ البرمجيّات المعاصرة سخّرت الكثير من برمجيّات الترجمة، ونحن بحاجة إلى التّماهي مع الترجمة الآليّة التي عرفت نقلات نوعيّة عبر ChatGpt. وعبر برمجيّات وخواديم جبارة استعانت بها اللّغات الأجنبية فحصلت على نتائج جيّدة للترجمة، وأنّها وصلت إلى صفر خطأ في الترجمة الآليّة.

إننا في عصر تبادل المعلومات عبر الشبكة، ونحن بحاجة إلى تقديم أفكار تحيّن موقع العربيّة بين اللّغات الأنداد، وباجة إلى بناء برمجيات تقرب لنا مفاهيم من اللّغات الأجنبية؛ حيث العلم يوحد في لغات الأقطاب، وكان علينا التّماهي مع اللّغة العالمة (الإنكليزية) التي تضخ معلومات جمّة، وعندما نتحكّم فيها يمكن القول بأننا حصّلنا الكثير من اللّغات الأجنبية فهي الكافية. إنّ العربيّة لغتنا التي ينبغي من خلالها تحريك آليات الدّاخلية والخارجية ليتعرف عليها الذّكاء الاصطناعيّ، ولا بدّ من نقل النّحو العربيّ من جدل الإعراب إلى منطق اللّغات وإلى النّحو العالميّ والتّماهي مع الصّناعة المعجميّة في أدبيّات اللّغات.

إنّ العربيّة تحتاج إلى بناء مدوّنات ضخمة حسب الأعصر الزّمانية المعروفة لتحصل التّرجمة الجيدة وفق مصطلحات الزّمان والمكان، وهي عمليّة تسهيل التّرجمة في آلياتها المنطقية، وحسب متطلّبات المستجدات التّطوريّة، وهذا ما نراه من خلال عناوين بعض المحاضرات التي برّجت في هذه التّظاهرة العلميّة. ومن هذا الموقع أحيي الأستاذة الدّكتورة (سعاد بسناسي) عضوة المجلس الأعلى للّغة العربيّة على هذا الجهد والمتابعة والملاحقة؛ أحييها وكلّي أمل أن تصل إلى المطلوب مع فريقها الوفيّ الجادّ، وللواء الذي يبدونه من خلال ثقافتهم في خدمة اللّغة العربيّة. والشّكر يمس كلّ الفواعل العاملين على خدمة المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وتحايا المجلس للأصدقاء وللأشقاء في كلّ من العراق واليمن ومصر وتركيا وأمريكا وعبر دول أخرى كانوا لنا عضدين، وإلى زملائنا في الجامعات الوطنيّة من تلمسان وتيزي-وزو والجزائر وقسنطينة والوادي وتبسة... ولهم مني أسى عبارات الشّكر والتّقدير والتّهنائي على هذا العمل، ولتقيمهم في اليوم الكبير في اختتام فعاليّات هذا الشّهر في اليوم العالميّ للتّرجمة. ونأمل أنّ المحاضرات ستكون في مؤسّسة أكاديميّة الوهرانيّ وبحول الله فإن المدوّنة ستكون حاضرة ورقياً في معرض الكتاب بالجزائر (سيلا 2025).

وكلّ الشّكر والحبّ لكم جميعاً، وكونوا أوفياء في خدمة اللّغة العربيّة الجامعة، ومع التّفاعل الثّقافيّ والعلميّ دائماً وأبداً.

ومن خلال مرافقة المجلس الأعلى للّغة العربيّة، لهذه التّظاهرة التّرجميّة، وتشريفي من قبل رئيسة أكاديميّة الوهرانيّ أعلن بداية انطلاق فعاليّات التّظاهرة، وعلى الله التّوكّل، والله في عون العباد الذين يعملون، وبوركتم على هذا الفعل العلميّ.

﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ صدق الله العظيم.

التّعدّد والانتلاف

"الترجمة في مواجهة تحدّيات العولمة"

أ. د سعاد بسناسي

جامعة وهران 1 – الجزائر، عضو المجلس الأعلى للغة العربيّة

رئيسة أكاديمية الوهرانيّ للدراسات العلميّة

والتفاعل الثقافيّ، مديرة مخبر اللّهجات وأمراض الكلام، وهران/الجزائر.

الترجمة كفعل ثقافيّ في عصر العولمة: حين نتحدث عن الترجمة كفعل ثقافيّ في عصر العولمة، نعني بها ممارسة تتجاوز حدود نقل الكلمات بين اللّغات لتصبح عملية معقدة وعميقة من التّواصل الحضاريّ والحوار الثقافيّ. في هذا الإطار، تتحوّل الترجمة إلى ميدان للنّماء الثقافيّ حيث تصاغ العلاقات بين الأنا والآخر على مستويات متشابكة من الفهم والتّبادل. إنّها فعل يتداخل فيه الوعي الثقافيّ واللّغويّ ليعيد إنتاج المعاني ضمن سياقات تشاركها ثقافات متعدّدة، ما يجعل من الترجمة رافعة ضروريّة لسبر أغوار التّلاقح الثقافيّ في عالم يزداد ترابطه رغم الاختلاف.

وفي ظلّ العولمة، تتبدى الترجمة كأداة فاعلة لتجاوز الحواجز اللّغويّة، لكنّها كذلك تتحمّل مسؤوليّة ثقافيّة وأخلاقيّة عميقة، تلزمها بحساسيّة تجاه خصوصيّات الثقافات، وتحديداً دائماً لمخاطر الاستعمار الثقافيّ والتّغريب. عبر الترجمة، لا تنتقل فقط المفردات والأصوات بل تُنقل القيم والأمكنة التاريخيّة، تُعاد صياغتها لتلائم تجارب شرائع الآخر، ممّا يسهم في خلق فضاءات جديدة للذات الثقافيّة التي لا تهرب من النّقد؛ بل تستثمره لتتفاعل وتنتج هويّة حيّة قادرة على التكيّف والنّمو. بهذا الشّكل، تُصبح الترجمة عملية نشيطة لإعادة بناء الفهم المشترك، وترسيخ التّنوع الثقافيّ كركيزة حيويّة للوجود الإنسانيّ في عالم معولم يسعى إلى التّواصل دون أن يفقد أصالته.

وتأسيساً على ذلك، "من الصّعب أن يتصوّر أيّ باحث تطوّر ثقافة ما، أو ازدهار حضارة ما، بمعزل عن الاحتكاك بالآخر، كما أنّ الانكفاء والانغلاق على الذات يعدّ من العوامل المثبّطة لدور وسائل الاتّصال والتّكنولوجيا، التي من شأنها أن تقوم بدورها في دفع المسار الحضاريّ إلى النّمو والازدهار، بفعل تداخل الثقافات ومحاولة التّقريب بين الثقافات المقارنة Comparative Cultural فيما تسعى إليه من تمكين مواكبة المتغيرات التي تفرزها العولمة، أضف إلى ذلك أن عملية الاعتماد على الذات والانعزاليّة المفرطة في الألفيّة الثّالثة أصبحت تهدد عملية التّطور والعلاقات المتنوّعة الأشكال بين الأمم، سواء أكان

ذلك في الميدان الصّناعي، أم الميدان الفكريّ؛ لأنّ طبيعة التّطور تقتضي إنعاش عمليّة التّأثير والتّأثر؛ لفك روابط النّزعة الانعزاليّة، وإبعاد حالة الجمود والسّكينة التي هيمنت رُدحا من الزّمن على الثّقافة المحليّة، ولنا في الحضارة الغربيّة أسوة في بداية تطوّرها، في مدى تمكّنها من طابع التّفاعّل النّاجح مع ثقافة وآداب الشّعوب الأخرى المختلفة، بخاصّة منها ثقافة الحضارة العربيّة، حتّى وصل بها الأمر إلى ما هي عليه، لما في ثقافتها ومعارفها من صياغة الابتكار التي أصبحت في آخر المطاف ثقافة عالميّة، منها تنطلق دوافع الاهتمام بهذه الثّقافة، بوصفها قوّة إشعاع على الثّقافة الفكريّة للأمم المختلفة¹⁰. تتخطّى التّرجمة، في جوهرها، بكثير مفهوم النّقل الميكانيكيّ للكلمات من لغة إلى أخرى. إنّها ممارسة إبداعيّة معقّدة ومتعدّدة الأبعاد، تشكّل فعلاً ثقافيّاً حيويّاً يتنفّس ويفكر ويتفاعل. هذا الفعل لا يقتصر على استبدال مفردات بأخرى بل هو عمليّة تأويليّة دقيقة تنطوي على فهم عميق للسياقات التّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة التي نشأت فيها النّصوص الأصليّة، وإعادة صياغتها في بيئة ثقافيّة جديدة بطريقة تحافظ على روحها ومعناها وتأثيرها.

من خلال هذا الدّور المتعدّد الطّبقات، تقدم التّرجمة للفرد والمجتمع أدوات أساسيّة للتّفاهم والتّواصل الفعّال ممّا يمكنهما من كسر حواجز اللّغة والانفتاح على عوالم فكريّة ومعرفيّة كانت ستظلّ مغلقة أمامهما. هذا الانفتاح ليس باتجاه واحد؛ بل هو حوار متبادل تثرى فيه كلّ ثقافة الأخرى. وبالتالي، تعمل التّرجمة كمحفز قوي يعزز قدرة الثّقافات المختلفة على الانخراط في حوار بناء وهادف، والسّعي نحو الائتلاف والتّقارب بدلاً من الصّدّام والانكفاء؛ حيث تستمد الثّقافة "غناها وأهميّتها من قابليتها لتوسيع مجالات إبداعها وقدرتها على الانفتاح على خصائص الحضارات، ومدى تفاعلها مع الثّقافات، عبر التّرجمة التي تشكّل جسراً لمدّ الأواصر، وإزالة الحواجز بين الأفراد والجماعات." ¹¹ في ظلّ واقع العولمة السّاحق بمخاطره وتحدياته، التي تهدد أحياناً بطمس الخصوصيّات الثّقافيّة وإيجاد ثقافة أحاديّة، يظهر دور التّرجمة الحيويّ كصمام أمان. إنّها تكرس نفسها كجسر متين ومعبر آمن، لا يمحو الفروق؛ بل يعبرها ويسلط الضّوء عليها بطريقة إيجابيّة. هذا الجسر لا يهدف إلى توحيد الثّقافات في بوتقة واحدة؛ بل إلى تسهيل عمليّة العبور المتبادل بينها، ممّا يسمح بالتّعرّف على الآخر وفهمه وتقديره في إطار اختلافه. وبالتالي، فإنّ التّرجمة، من خلال هذا الفعل الثّقافيّ المناضل، تسهم بشكل مباشر في التّعالي بقيم التعدديّة الثّقافيّة والتنوّع، وترسيخ أسس الاحترام المتبادل بين الأمم والشّعوب، مؤكّدة أن الاختلاف هو مصدر غنى وليس سبباً للصّراع.

¹⁰ فيدوح ياسمين، التّرجمة بين الانعكاس والإبداع، دار صوت الكتب والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2025، ص 109، 110

¹¹ ثريا إقبال: التّرجمة والثّقافة [ضمن كتاب: التّرجمة وتفاعل الثّقافات . حلقة بحثيّة . المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2004، ص 288.

• دور الترجمة في بناء جسور التفاهم بين الثقافات المتعددة.

تمثل الترجمة فعلاً إنسانياً راقياً وأداة استراتيجية فعالة لا تقتصر على تحويل النصوص من لغة إلى أخرى؛ بل تتعدى ذلك إلى كونها عملية بناء متواصلة لجسور اتصال حيّة بين الثقافات والشعوب. هذه الجسور لا تنشأ بشكل عفوي؛ بل تتطلب وعياً عميقاً بثقافة الآخر وأدواته التعبيرية ورؤيته للعالم. فدور الترجمة يتجلى في تفكيك حواجز العزلة والجهل المتبادل، والتي غالباً ما تكون اللغة عاملاً أساسياً في إقامتها، لتحل محلها روابط من المعرفة المشتركة والفضول الفكري والاحترام.

من خلال نقل الأعمال الأدبية والفكرية والعلمية، تزود الترجمة أفراد المجتمعات المختلفة بأدوات حقيقية لفهم المنطق الكامن وراء سلوكيات الآخر وقيمه وتطلّعاته. فهي تنقل ليس فقط الكلمات؛ بل السياقات الخفية والصّور البلاغية والإحالات التاريخية التي تشكل هوية النص وروحه. هذا النقل العميق يمنع تبسيط الثقافات أو تشويهها، ويحول دون وقوع سوء الفهم الذي قد ينشأ من التفسيرات السطحية أو الأحكام المسبقة.

على مستوى أعمق، لا يقتصر هذا الدور على تقديم ثقافة للآخر؛ بل يمتد ليكون وسيطاً لحوار متكافئ ومستمر. الترجمة الجيدة تتيح للثقافات أن تتحدّث بلسانها، ولكن بلغة يفهمها الطرف الآخر، ممّا يخلق مساحة للتبادل الثنائي؛

حيث يمكن للثقافة المستهدفة بدورها أن تتأثر وتتغيّر وتتوسّع. هذا الحوار هو أساس التفاهم الحقيقي، الذي يعني الاعتراف بالاختلاف وقبول التعددية كمصدر لإثراء التجربة الإنسانية collective وليس كمصدر للتهديد.

يستحضر "دور الترجمة في بناء جسور التفاهم بين الثقافات المتعددة" دلالات عميقة تتجاوز فكرة النقل اللغوي إلى أفق أوسع يجعل من الترجمة ممارسة حضارية قادرة على إعادة صياغة العلاقة بين الشعوب. فالتواصل بين الثقافات لا يتحقق باللقاء السطحي؛ بل يتطلب وسائط تفتح إمكانات التلاقي وتفكك حواجز العزلة، واللغة المترجمة هي إحدى أبرز هذه الوسائط. وعندئذٍ، نستطيع حصر المشكلة التي يمكن أن تواجهها في عملية التواصل الحضاري في طريقة هذا التواصل، وليست في مبدئه، وبالتالي فإن الجهود الأساسية يجب أن تنصبّ على اختيار الأسلوب الأنسب لتحقيق هذا التواصل دون أن نرفضه نهائياً؛¹² فالترجمة تمنح النصوص حيوات جديدة، وتجعلها قابلة للتداول في فضاءات مختلفة

¹² ينظر، رفعت المحمد: الحضارة الإنسانية بين التواصل والصراع، مجلة النبأ، عدد 62، 2001، ص 61.

لتعيد إنتاج المعنى وفق آفاق متجددة تسمح للآخر بأن يكون حاضراً في وعينا دون أن يُمحي أو يُختزل. من هنا، فإن الترجمة ليست عملية تقنية تهدف إلى تسهيل الفهم؛ بل هي مسعى ثقافي وفكري يضطلع بمسؤولية تشكيل وعي عالمي يقر بالتعددية ويرى في الاختلاف إثراء لا تهديداً.

في ظلّ التوترات التي تفرضها العولمة؛ حيث تميل القوى المهيمنة إلى فرض سردياتها بوصفها معياراً للحدثة والتفوق، تصبح الترجمة أداةً للمقاومة الناعمة؛ إذ تتيح للغات المهمشة والأصوات الأقل حضوراً أن تشارك في النقاشات الكبرى التي تحدد مصير الإنسانية. إنها تنقل النصوص من حيزها الضيق إلى فضاء أكثر رحابة، فتضع القارئ في مواجهة رؤية غير مألوفة، وتدفعه إلى إعادة التفكير في مسلّماته. بهذا المعنى، لا تبني الترجمة جسوراً أحادية الاتجاه؛ بل تفتح طرقاً متبادلة يمر عبرها المعنى في حركته المستمرة، مولداً تفاعلات فكرية وثقافية تثرى جميع الأطراف.

وإذا نظرنا إلى الترجمة في بعدها الأخلاقي، نجد أنها تنطوي على دعوة إلى الاعتراف بالآخر واحترام وجوده، فهي تكسر أحادية الصّوت وتُعطي من قيمة الحوار. إنها تجعل الثقافة الإنسانية لوحة متعددة الألوان، لا يتفوق فيها لون على آخر؛ بل تتجاوز الألوان في تناسق يبرز جمالها في تنوعها. ومن هنا يتضح أن الترجمة لا تقتصر على كونها ممارسة معرفية أو أدبية؛ بل تنبني على رؤية فلسفية ترى في التفاهم بين البشر خطوة نحو بناء عالم أكثر إنصافاً وسلاماً.

بهذا التصور، يتجاوز دور الترجمة حدود العمل الأكاديمي أو الإبداعي، لتصبح رهاناً على إمكانات التعايش الإنساني، فهي تسهم في إعادة توزيع سلطة المعنى، وفي خلق فضاء عالمي تشاركي يتيح لكل ثقافة أن تسهم في صياغة الوعي الكوني المشترك. إن العنوان إذن يعبر عن مشروع إنساني كبير؛ حيث تتحول الترجمة إلى جسر مفتوح، لا يربط بين ضفتين وحسب؛ بل يوسع أفق الإنسان في كل مرة يعبره.

في امتداد التحليل السابق، يتضح أن الترجمة، بصفتهما فعلاً ثقافياً وفكرياً، لا تتحقق آثارها على مستوى التفاهم بين الثقافات دون دعم هياكل ومؤسسات متخصصة قادرة على تأطير هذا الدور وتكريسه على أرض الواقع. فالمؤسسات التعليمية، على سبيل المثال، تلعب دوراً جوهرياً في إعداد الأجيال القادرة على التعامل مع النصوص الأجنبية بطريقة نقدية وفهم السياقات الثقافية المختلفة، بحيث لا تقتصر الدراسة على تعلم اللغة فحسب؛ بل تشمل استيعاب الرؤية الإنسانية والثقافية التي يحملها النص. وبهذا تصبح الجامعات والمدارس والمعاهد العلمية مختبرات لتجربة الترجمة كوسيط للتفاهم؛ حيث يمكن للطلاب والباحثين المشاركة في مشاريع ترجمة تعكس تعددية المعارف وتجعلهم سفراء ثقافيين قادرين على نقل الأفكار بين الثقافات بوعي وعمق. وغالباً ما يتبحر في هذا المجال دارسون يقعون

على مفترق الطرق بين الشعوب، ولكن هذه الرغبة الأصلية في أن يعمل دارس الأدب المقارن - في مجال الترجمة - كوسيط بين الشعوب، وكمصلح لذات بينها غالباً ما طمسته وشوّهته المشاعر القومية المتهبة التي سادت في تلك الفترة وفي ذلك الموقع¹³، من جهة أخرى، يُبرز دور دور النشر والمنظمات الثقافية في تعزيز إمكانيات الترجمة وتوسيع نطاق وصولها. فهذه المؤسسات ليست مجرد وسائط تقنية لنشر الكتب؛ بل هي عوامل فاعلة في صناعة المشهد الثقافي، من خلال اختيار النصوص التي تُترجم، ودعم المشاريع التي تعكس التنوع الثقافي، وتسهيل وصولها إلى جمهور واسع يضم قراءً من خلفيات مختلفة. هذه الآليات العملية تتيح للترجمة أن تكون أداة فعالة ليس فقط لنقل الأفكار؛ بل لإثراء الحوار الثقافي بين الشعوب؛ إذ أن النص المترجم الذي يصل إلى القارئ المناسب يمكن أن يغير التصورات المسبقة، ويقود إلى فهم أعمق للآخر، مما يعزز قيم الاحترام المتبادل والتسامح.

إضافة إلى ذلك، تلعب المنظمات الثقافية الدولية والإقليمية دوراً مكماً في هذا السياق، من خلال تنظيم المهرجانات الثقافية وورش العمل والمؤتمرات التي تشجع على الترجمة والتبادل الثقافي. هذه الفعاليات تسمح للثقافات المختلفة بالاحتكاك المباشر، وتوفير مساحة للتفاعل بين المترجمين والكتاب والجمهور، وهو ما يعمق تجربة التفاهم ويحولها من مجرد استقبال للنصوص إلى عملية نشطة من المشاركة والتأثير المتبادل.

على هذا النحو، يصبح دور الترجمة متجذراً في شبكة متشابكة من العمليات التعليمية والثقافية والتنظيمية تتيح لها أن تتحول من فعل معرفي إلى مشروع إنساني شامل. فهي بذلك تؤسس لفضاء عالمي تتفاعل فيه الثقافات على نحو متكافئ، ويصبح التنوع الثقافي قوة محركة للتقدم الاجتماعي والفكري، بدل أن يكون مصدر تباعد أو صراع. ويبرز هذا البعد العملي بوصفه امتداداً طبيعياً لما سبق؛ إذ يجعل الجسر الذي تبنيه الترجمة ليس مجازياً فقط؛ بل ملموساً عبر مؤسسات حيّة تدعم التبادل المعرفي والحوار بين الشعوب على أسس من العدالة والاحترام المتبادل.

ويمكن التمييز بين الترجمة كفعل ثقافي والنشاط التقني في عصر العولمة عبر النظر إلى بعدها الأساسي: الثقافي والتقني. فالترجمة كنشاط تقني تركز على الجانب اللغوي البحت، وهو نقل النص من لغة إلى أخرى مع مراعاة الدقة في نقل المفردات والقواعد اللغوية والمعاني الأساسية، مع هدف أساسي هو تحقيق فهم قابل للتبادل. هذا الجانب تقني وعمل يعتمد على مهارات لغوية متخصصة وأدوات تقنية

¹³ رينيه ويلك: مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1987، ص 366.

لتحسين السرعة والدقة، مثل برامج الترجمة الآلية أو التدقيق اللغوي. في هذا الإطار، تظل الترجمة مجرد آلية لنقل المعلومات دون الانخراط في عمق الترابط الثقافي أو التدايمات الاجتماعية.

أما الترجمة كفعل ثقافي، فهي عملية معقدة تتجاوز نقل الكلمات إلى إعادة إنتاج المعاني في سياق ثقافي جديد حيث تدخل العناصر المعرفية، التاريخية، والاجتماعية، وأحياناً السياسية لتشكّل النص المترجم في علاقة حوارية مع المجتمع المتلقي. هنا تتحوّل الترجمة إلى فعل إبداعي يُعيد تشكيل النص بما يتلاءم مع خصوصيات وثقافة الآخر، ممّا يعزز من التفاهم بين الشعوب والثقافات. هذه العملية ثقافية بالدرجة الأولى؛ فهي تحتاج إلى وعي عميق بالذات والثقافة الأخرى، وتفهم للديناميكيات الثقافية المتعددة تحت تأثير العولمة؛ حيث تصبح الترجمة جسراً للحوار والتقاء. كما جاء في قول فيلمان حين أكّد "أنّه كان يرغب في أن يبيّن في إطار الأدب المقارن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية وما ردّته إليها"¹⁴، وفي ضوء ذلك، يُمثّل كلّ من النشاط التقني والفعل الثقافي قطبين متمايزين في التعامل مع اللغة والمعنى. فالنشاط التقني، بتركيزه المكثف على "الكيفية" و"الوسيلة"، يغوص في عالم الآليات والإجراءات والتقنيات ساعياً إلى تحقيق الكفاءة والدقة في تنفيذ المهام. إنه يدير اللغة كأداة قابلة للتفكيك والتركيب، يحلّلها إلى مكوناتها ويبحث في قواعدها الصارمة وبنيتها الشكلية، بهدف تحويل الكلمات من وعاء لغوي إلى آخر، مع الحفاظ على المعنى الظاهري والمعلومات الأساسية. هذا التحويل يحدث في إطار مغلق؛ حيث الغاية هي إنجاز عملية النقل بأقل قدر من التشويش وأعلى مستوى من المطابقة التقنية.

أما الفعل الثقافي، فهو ينطلق من أفق أعمق وأشمل، يهتم بـ"المعنى" و"التأثير" قبل كلّ شيء. إنّّه لا يتعامل مع اللغة كنظام مغلق؛ بل ككائن حي ينبض بالدلالات والرموز والتاريخ والوجدان الجمعي. هذا الفعل لا يدير اللغة بمعزل عن سياقها؛ بل يدير الثقافة بكلّ تعقيداتها؛ فهو يغوص في الأساطير والتقاليد والمنظومات القيمية والرؤى الفلسفية الكامنة خلف النصوص. تحويله ليس للكلمات فحسب؛ بل للعوالم بأكملها؛ فهو ينقل المشاعر، والأفكار، والمفارقات والإحساس بالجمال، والهوية. إنّّه عملية إعادة خلق وولادة من جديد للنص في بيئة ثقافية مغايرة، ممّا يستدعي من المترجم أن يكون وسيطاً ثقافياً مبدعاً قبل أن يكون ناقلاً لغوياً ماهراً.

وفي قلب عصر العولمة؛ حيث تتصادم التيارات الثقافية وتتسارع وتيرة التواصل إلى حد غير مسبوق، تبرز الترجمة بوصفها الفعل الثقافي الذي يجسّد التحدي الأكبر والفرصة الأوسع معاً. التحدي

¹⁴ كلود بيشوا، وآخر: الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصرية، 2001، ص 36.

الأكبريكنم في مواجهة طغيان التيار الأحادي الذي تدفع به قوى العولمة المهيمنة، والذي يهدد بإقصاء الأصوات المهمشة وإضعاف التنوع الثقافي، الذي هو ثروة البشرية collective. هنا، تتحول الترجمة إلى فعل مقاومة؛ فهي تمنح اللغات والثقافات الأقل انتشاراً منصة للمشاركة في الحوار العالمي، مانعةً إياها من الاندثار أو التهميش. إنها ترفض أن تكون أداة للاستيعاب في بوتقة ثقافية واحدة، وتصر على أن تكون جسراً للتبادل المتبادل.

وفي الوقت نفسه، تمثل الترجمة الفرصة الأوسع؛ فهي الأداة الأكثر فعالية لتعزيز الحوار الحقيقي بين الحضارات. هذا الحوار لا يقوم على مجرد تبادل المعلومات؛ بل على الفهم المتعمق للآخر والاعتراف به في اختلافه. من خلال نقل الأعمال الأدبية والفكرية والعلمية بكل أبعادها الثقافية، تزرع الترجمة بذور التعاطف والتقدير المتبادل. إنها تفتح نوافذ على عوالم كانت مغلقة، مما يثري المشهد الفكري للإنسانية ويخلق أرضية مشتركة للتعاون في مواجهة التحديات العالمية. بذلك، لا تكتفي الترجمة بالحفاظ على التنوع الثقافي؛ بل تحوله من حالة سلبية من التعايش إلى حالة إيجابية من التفاعل الخلاق والائتلاف الحضاري، مؤكدة أن الاختلاف ليس حاجزاً؛ بل هو مصور إبداع لا ينضب. ولعل هذا ما جعل فكرة التعايش بين الحقلين فعلاً إيجابياً، إلى حد ما؛ حيث "هذا النوع من البحث، الذي ينطوي غالباً على مراجعات جذرية للتاريخ الثقافي والأدبي، أصبح ممكناً بسبب التقدم الذي أحرزته دراسات الترجمة وبخاصة نظرية الأنظمة المتعددة. ولقد حاول الباحثان البلجيكيان جوزيه لامبير Jose Lambert وريك فان غورب Rik Van Gorp في مقال عام 1985 أن يلخصا الإمكانيات التي يتيحها هذا المنهج. ثم يقوموا بتعداد بعض مجالات البحث التي يمكن تطويرها والتي تشمل تحليلاً تفصيلياً لكل من النصوص ووسائل إنتاج هذه النصوص".¹⁵

• الترجمة كوسيط لإعادة تفسير النصوص في سياقات ثقافية مختلفة.

تمثل الترجمة عملية إبداعية عميقة تتجاوز نقل المعنى الحرفي لتقوم بدور الوسيط النشط والفاعل في إعادة صياغة النص وتأويله ضمن إطار ثقافي جديد ومختلف. هذه العملية لا تشبه التمرير الآلي للكلمات بين اللغات؛ بل هي أشبه بعملية زرع عضو في جسد جديد؛ حيث يجب أن يتكيف هذا العضو مع البيئة الجديدة ويندمج معها ليحافظ على حياته ووظيفته.

¹⁵ سوزان باسنيت: من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، عدد 124، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص

فالنّص، في أصله، هو ابن بيئته الثقافيّة، مشبع برموزها وإيحاءاتها التاريخيّة والاجتماعيّة والدينيّة، ومحكوم بمنطقها الجمالي والفلسفيّ. وعند نقله إلى لغة أخرى، يواجه خطر أن يصبح غريبًا، صامتًا، أو مشوهًا إذا ما تمّ التعامل معه ككيان منعزل عن سياقه الحيويّ. هنا يبرز دور الترجمة كوسيط متمكن، لا ينقل الكلمات؛ بل يفسر العالم الكامن خلفها.

هذا الوسيط (الترجمة) يقوم بعملية إعادة تفسير شاملة؛ فهو يغوص في الطبقات العميقة للنّص الأصليّ لاستخراج مقاصده وجوهره، ثمّ يبحث في الثقافة المستهدفة عن المكافئ الوظيفيّ والروحي الذي يمكن أن يحقق التأثير المشابه والمقصد المماثل في نفس المتلقي الجديد. إنها عملية بحث معقدة عن نقطة التّقاء بين عالمين؛ حيث يتم استبدال المراجع الثقافيّة التي لا وجود لها في الثقافة المستقبلية بأخرى محلية تحمل الدّلالة نفسها، وتُشرح المفاهيم الغريبة دون إدخال بنسق النّص الجمالي أو الفكريّ.

وبهذا المعنى، تصبح الترجمة فعلًا من أفعال الكتابة مرة ثانية، ولكن بوعي ثقافيّ مزدوج. إنها إعادة خلق للنّص في وعي جديد، ممّا يمنحه حياة متجددة ويمنح الثقافة المستقبلية ثراءً جديدًا. فقصيدة حب من العصر العباسي، على سبيل المثال، عند ترجمتها للفرنسيّة، لا تحتاج إلى نقل صورها التبيانيّة فقط؛ بل تحتاج إلى أن تجد لها موضعًا في التقاليد الرومانسيّة الفرنسيّة، وأن تترجم مشاعر العاشق بلغة يفهمها القارئ الأوروبي ويشعر بها وكأنها جزء من تراثه العاطفي أيضًا.

فعندما ينظر إلى الترجمة، كوسيط لإعادة التفسير، تتجاوز نطاق النّقل اللّغويّ لتصبح عملية إبداعية تحمل النّص إلى فضاءات جديدة، تمنحه حياة أطول، وتجعل منه عنصراً فاعلاً في حوار ثقافيّ يمتد عبر الزّمان والمكان. النّصوص التي تُترجم لا تفقد جوهرها أو قيمتها؛ بل تكتسب أبعادًا إضافيّة؛ حيث يلتقي القارئ في ثقافة مختلفة بتصورات وآفاق جديدة، تتجاوز حدود النّص الأصليّ وتفتح له أبوابًا لفهم أعمق للمعنى. إن الترجمة بهذا المعنى لا تُعد خيانة للنّص؛ بل إعلان عن قوته وقدرته على النّفاذ إلى عقول وقلوب أخرى، فهي تضيف طبقات من الفهم والتفاعل وتسمح للنّص بأن يصبح جزءًا من شبكة تواصل ثقافيّ إنسانيّ يتسم بالثراء والتّعددية.

يعرض هذا التحليل رؤية فلسفيّة متعمّقة للترجمة، معتبرًا إيّاها عملية تتجاوز حدود النّقل اللّغويّ لتصبح فعلًا إبداعيًا يعيد تشكيل النّص الأصليّ ويمنحه حياة جديدة داخل سياقات ثقافيّة متنوّعة. يؤكّد التحليل أن وظيفة الترجمة تتخطى مجرد التّبادل اللّغويّ لتتحول إلى أداة لإعادة التفسير؛ إذ يُنقل النّص إلى فضاءات معرفيّة لم تُستكشف من قبل، ما يمدّه بالحياة ويجعله شريكًا فاعلاً في حوار ثقافيّ يتجاوز الزّمان والمكان. هذا المنظور ينفي أي تصور لفقدان المعنى أو طمس الهوية أثناء

الترجمة، ويؤكد أن النص المترجم يكتسب أبعادًا إضافية تتفاعل مع الثقافات الأجنبية، ما يفتح أمام القارئ آفاقًا أوسع لفهم الدلالات الضمنية. ومن خلال هذه العملية، تتحول الترجمة إلى قوة تعزز النص وتثبت قدرته على النفاذ إلى وعي ووجدان شعوب متعددة، لتصبح جسرًا حيًا يربط بين التجارب الثقافية ويغني الحوار الإنساني عبر العصور والأمكنة.

كما تلقي هذه الرؤية الضوء على كيفية تبني النص في ثقافة جديدة عبر قراءة تفاعلية تمزج بين خصوصيات النص الأصلي وسياق الاستقبال، مولدة بذلك طبقات تأويلية مبتكرة تزيد من ثراء النص وتعزيزه. هذا التفاعل يُظهر أن المعنى ليس كيانًا جامدًا مقيدًا بل هو كائن حي يتشكل في تفاعل مستمر بين القراء والمترجمين والثقافات المختلفة، ما يمنح الترجمة دورًا رياديًا في تشكيل الوعي الجمعي وضممان استمرارية الفكر عبر حواجز اللغة والثقافة، وبناء جسور فهم بين التجارب الإنسانية المختلفة. كما يبرز النص الجانب المعرفي والأخلاقي للترجمة كفعل ثقافي؛ إذ هي دعوة صريحة للاعتراف بالآخر وفهمه، مؤكدة أن الإنجاز الحقيقي للنص يكون بتواجهه في عدة سياقات حيث يُعاد إنتاجه ضمن منظومات دلالية مختلفة، مما يمنحه روحًا متجددة ويحوّله إلى تجربة متعددة الأبعاد تُثري الفكر وتوسع آفاق الحوار الثقافي، متخطية بذلك العوائق لتصبح أداة فاعلة في تعزيز التواصل والتفاهم الإنساني.

يتكامل ذلك في الفصل الثاني من النص الذي يعيد صياغة هذه الرؤية مع تركيز أكبر على الطابع التحويلي للترجمة التي تُنظر إليها كوسيط حيوي يُعيد تفسير النص ويمنحه حياة أخرى في إطار ثقافي مختلف. هذا الوسيط لا ينقل المعاني الجاهزة فقط؛ بل يُعيد بنائها بتوافق مع تجربة وثقافة المجتمع المستقبل، مسلطًا الضوء على الأبعاد الدلالية الجديدة التي يضيفها النص ويسهم بها في حوار ثقافي دائم يُثري الفهم ويفتح آفاقًا جديدة للنص وللعالم. ويرفض هذا المنظور أي إدعاء بانتزاع هوية النص أو تخفيض قيمته؛ بل يرى أن الترجمة تضيف له طبقات فهم تمكنه من اللقاء مع قارئ مختلف لكنه يجد نفسه ضمن فضاء معهود، في حوار لا ينقطع يُعزز التبادل والقيم الإنسانية والتنوع الثقافي.

ينتقل النص إلى استكشاف استقبال النص في ثقافة أخرى بوصفه قراءة جديدة تستخدم الخصوصيات الأصلية ضمن إطار السياق المستقبل، مشيرًا إلى الديناميكية الحية للمعنى التي تتشكل في حوار متواصل عبر الترجمة. من خلال هذا، تمنح الترجمة النص دورًا فاعلًا في تشكيل الوعي الجمعي وضممان بقاء الأفكار عبر حواجز اللغة والثقافة، فضلًا عن تعزيز التفاهم والتعاون بين الشعوب. كما يؤكد الجانب الأخلاقي في هذا الفعل الثقافي؛ حيث تتطلب الترجمة احترام الآخر والاعتراف به كطرف أساسي في إعادة صياغة النص، وتجعل العملية مستمرة وديناميكية، قادرة على التجديد وليس مجرد التكرار، وبهذا تتحول الترجمة إلى فعل مستمر من الإبداع والإثراء الفكري والانسجام الثقافي المتبادل.

بشكل عامّ، يبرز النصّ الترجمة كقوّة إبداعية وثقافية قادرة على رفع النصوص فوق حدودها الأصلية، ودمجها في حوار إنسانيّ واسع يعيد بناء المعاني من خلال التفاعل الديناميكي بين الثقافات. تعتمد الرؤية على مفاهيم فلسفية مثل الديناميكية والتفاعل، مستلهمة من نظريات الترجمة الحديثة التي تراها أداة حيوية للتواصل عبر الثقافات، مع التأكيد على دورها الإيجابي في تعزيز الفهم المتبادل والتّراء الدّلالي، معبراً عن ذلك بصور شعريّة تدعو إلى اعتبار الترجمة عنصراً أساسياً في بناء عالم متعدّد الثقافات ومتجانس الأطراف.

وفي ضوء ذلك، ينظر هذا الطّرح إلى الترجمة بوصفها عملية تحويلية إبداعية تتخطى بكثير فكرة النقل اللّغويّ الآليّ أو استبدال مفردات بأخرى. إنها تشكّل وسيطاً حيويّاً يعيد تفسير النصّ ويؤسس له حياة جديدة في سياق ثقافيّ مختلف. هذا الوسيط لا ينقل المعنى الجاهز؛ بل يعيد تشكيله وبناءه بطريقة تتناغم مع الرؤية الكونية للثقافة المستقبلية، ممّا يمنح النصّ الأصليّ أبعاداً دلالية جديدة ويمتد به عبر الحدود الزمانيّة والمكانيّة.

عندما تنتقل الترجمة بالنصّ إلى فضاءات جديدة، فإنها لا تسلبه هويته أو تقلل من قيمته الأصلية؛ بل على العكس من ذلك، تثريه وتضيف إليه طبقات متعدّدة من الفهم. فالقارئ في الثقافة الأخرى لا يتلقّى نصّاً غريباً؛ بل يصادف عالماً مألوفاً رغم اختلافه، لأنّه يقدم له عبر أدوات التعبير التي يفهمها ويشعر بها. هذا اللقاء بين النصّ والثقافة الجديدة يخلق حواراً ثقافياً مستمراً؛ حيث تتفاعل التّصورات وتتعدّد الآفاق، ممّا يفتح أمام القارئ أبواباً لفهم أعمق ليس فقط للنصّ؛ بل للعالم الذي ينتهي إليه هذا النصّ ولذاته أيضاً.

بهذا المعنى، لا يمكن اعتبار الترجمة خيانة للنصّ الأصليّ؛ بل هي شهادة على قوته ومرونته وقدرته على تجاوز سياقه الأول والتّحدث بلغات متعدّدة. فالنصّ القوي هو الذي يتحمل عملية إعادة التفسير هذه؛ بل ويخرج منها أكثر غنى وتعقيداً. الترجمة تضيف إلى النصّ حيوات متعدّدة، وتجعله جزءاً من نسيج ثقافيّ إنسانيّ شامل، قائم على التعددية والتّبادل والاحترام المتبادل.

عندما يُحتضن النصّ في ثقافة أخرى، فإنّه يخضع لقراءة جديدة تخلط بين خصوصيته الأصلية ومتطلبات السياق الجديد. هذا التفاعل لا يضعف النصّ؛ بل يبرهن على أن المعنى ليس كياناً ثابتاً أو ملكاً محصوراً في لغة واحدة بل هو عملية حيّة وديناميكية تتشكل وتتكامّل من خلال الحوار بين القراء والمترجمين والثقافات المختلفة. الترجمة تمنح النصّ القدرة على المشاركة في تشكيل الوعي الجمعي

للإنسانية، وتضمن استمرارية الأفكار عبر الأجيال والحدود، وتخلق جسوراً للتفاهم بين التجارب الإنسانية المتباينة.

كما أنّ للترجمة بعداً أخلاقياً عميقاً، فهي تدعو إلى الاعتراف بالآخر وتفهمه من خلال نصوصه وأفكاره. وهي تؤكد أن النص لا يصل إلى كماله المعنوي إلا عندما يتم تداوله واستقباله في سياقات ثقافية متعددة؛ حيث يعاد إنتاجه ضمن أنظمة دلالية جديدة. هذا يجعل من الترجمة عملية ديناميكية لا تنتهي، قادرة على إعادة إنتاج النصوص بروح جديدة، وتحويل كل نص إلى تجربة متعددة الأبعاد، تُسهم في إثراء الفكر الإنساني وتوسيع دائرة الحوار بين الثقافات. وهكذا، تكون الترجمة أداة حيوية لا غنى عنها في بناء جسور التواصل والتفاهم العميق بين الشعوب، وفي تعزيز رؤية للعالم تقوم على التنوع والتكامل بدلاً من الصراع والانعزال.

ولدمج علاقة العولمة بالترجمة لإبراز تأثيرها على الهوية الثقافية كوسيط لإعادة تفسير النصوص في سياقات ثقافية مختلفة، يمكن البناء على فكرة أنّ العولمة تجسّد حركة انصهار وتداخل متسارع بين الثقافات واللغات؛ حيث تتكثف عمليات التواصل والتبادل بفضل التّقدّم التكنولوجي والانتشار السريع للمعلومات. في هذا السياق، لا تعدّ الترجمة عملية تقنية أو لغوية فحسب؛ بل تصبح وسيطاً ثقافياً جوهرياً صاغراً يجسد الثنائية بين مواجهة التحوّلات العولمية وحماية الخصوصية الثقافية. الترجمة تفتح عتمة الفواصل اللغوية والثقافية، لكنّها في الوقت ذاته تتحمّل عبء المحافظة على هوية النصّ الأصلي في ظلّ قوّة تأثير ثقافات كبرى تفرض رؤاها ولغاتها، فتظهر هنا الترجمة كمجال صراع وتوازن بين التداخل والتمايز.

هذا التداخل يجعل من الترجمة عاملاً حيويّاً في إعادة تشكيل الهوية الثقافية؛ إذ تمنح الثقافات الفرصة للتفاعل لا بالإلغاء بل بإثراء الذات عبر التلاقح والتعددية. فالنصوص المترجمة تنطلق من معانيها الأصلية لتتقاطع مع أفكار وقيم جديدة، ما يخلق هويّات متعددة الأبعاد تدمج التراث بالحدثة، محقّقة استدامة ثقافية في عالم يعجّ بالتحوّلات السريعة. الترجمة إذن ليست محاولات لتعطيل الهوية؛ بل جسراً للحفاظ عليها وتطويرها، صوتاً للخصوصيّات في ظلّ عالم يضغط من أجل التوحيد والتماثل.

في هذا الإطار، تصبح الترجمة فعلاً ذا بعد معرفي وأخلاقي، يتطلّع إلى بناء جسور تفاهم واحترام متبادل للآخر المختلف، ويمنح النص المترجم قدرة على التطوّر والانفتاح ضمن شبكة معقّدة من العلاقات الإنسانية والثقافية. وفي مواجهة تحديات العولمة، تلعب الترجمة دوراً محورياً في تمكين المجتمعات من التفاعل المثمر مع هذه القوى العالمية من دون أن يفقد الفرد أو الجماعة هويّتهم

وجذورهم. هكذا تُصاغ الهوية الثقافية بوعي جديد، يُحافظ على تماسكها الروحي واللغوي، ويعزز من مرونتها في مواجهة متطلبات العصر، فتصبح نتيجة ديناميكية مستمرة للتفاعل بين المحلي والعالمي بين الذات والآخر.

• أثر الترجمة الأدبية على نقل الرؤى والقيم الثقافية.

يشير "أثر الترجمة الأدبية على نقل الرؤى والقيم الثقافية" إلى الدور العميق والمحوري الذي تلعبه الترجمة الأدبية في نقل وإحياء تراكمات فكرية وحضارية من ثقافة إلى أخرى، بما يساهم في توسعة أفق الفهم بين الشعوب. يشير التأثير هنا إلى القدرة التي تمتلكها الترجمة على تمكين القارئ من اقتفاء أثر الرؤية الثقافية الأصلية، واستيعاب قيمها ومظاهرها الفنية والفكرية كما تجسدها النصوص الأدبية، مما يثري تجاربه الإنسانية والفكرية في سياق جديد.

وتعمل الترجمة الأدبية على نقل النصوص بما تحتويه من رموز وتعايير تسمح بالولوج إلى بعد آخر للثقافة المتلقيّة، فالنص الأدبي لا يكون حاضراً فقط بوصفه قطعة لغوية؛ بل كشاهد حي على رؤية العالم وتفاعل الإنسان مع محيطه التاريخي والاجتماعي والفكري. بهذا تتحوّل الترجمة إلى مساحة حيّة تحدث اتصلاً ثقافياً حياً يسمح بتبادل التجارب والقيم والأفكار، فتتجاوز الثقافات وتتلاقى في فضاءات سردية تؤسس لتفاهم إنسانيّ متعدد الأوجه.

على هذا النحو، تعزز الترجمة الأدبية القدرة على المحافظة على التنوع الثقافي عبر السماح للنصوص بأن تحيا في شكل جديد، لا يقتصر على نقل الكلمات بل يشمل إعادة خلق النص في ضوء خصوصيات الثقافة المستقبلية مع احترام خصوصية الأصل. بهذا تتحقق علاقة ديناميكية بين النص المترجم وقرائه الجدد؛ إذ يأخذ النص بعداً أعمق من الفهم المباشر ليصبح عاملاً منشطاً للخيال الثقافي، ورافداً للحوار الحضاري، وصمام أمان للحفاظ على رصيد إنسانيّ متنوع. كما أن بذور الفكر والقيم التي تحملها الأعمال الأدبية ضمن آفاقها الجمالية تحفز على طرح قضايا إنسانية عامّة، وتدعو إلى إعادة النظر في هويات الذات والآخر وتفاعلها في عالم متشابك.

وتبعاً لذلك، فإن الترجمة الأدبية لا تكتفي بالتعبير عن الانتقال اللغوي بل تتجاوزه إلى كونها وسيطاً ثقافياً فعالاً يصون القيم ويعمق الرؤى، ترسم خرائط جديدة للوعي الإنساني وتفتح بوابات للفهم والتبادل الثقافي، مما يجعلها ركيزة أساسية في بناء جسور ثقافية سليمة تعزز من الاتصال والتعاون بين الشعوب، وتمنح كلّ ثقافة حق حضورها العميق في المشهد الإنساني العالمي.

ومن ثمة، فإن عبارة "أثر الترجمة الأدبية على نقل الرؤى والقيم الثقافية" تعني بشكل بسيط أن الترجمة الأدبية تلعب دوراً مهماً في نقل الأفكار والمعتقدات والعادات التي تميز ثقافة معينة إلى ثقافة أخرى، مما يسمح للناس بفهم تجارب ورؤى مختلفة عن حياتهم وعوالمهم. الترجمة هنا ليست فقط نقل كلمات بل نقل الإحساس والروح التي تحملها الأعمال الأدبية، بما يجعل القارئ في ثقافة جديدة يستطيع الاطلاع على قيم وأفكار لم يعرفها، مما يساهم في توسيع الأفق الثقافي وتنمية التفاهم بين الشعوب.

عبر الترجمة الأدبية، تنتقل قصص الشعوب وأحلامها وهمومها، وتُعبّر عن طرق حياة وتصورات مختلفة للعالم، فتُساهم في بناء جسور من الحوار والتّقارب، وتزيد من ثراء التنوع الثقافي. لهذا السبب، فإن أثر الترجمة الأدبية يتجاوز الحدود اللغوية ليصل إلى أبعاد إنسانية وفكرية؛ حيث تلعب دوراً حيويًا في تعزيز الاحترام المتبادل بين الثقافات وفهم القيم التي تشكل كلّ حضارة. باختصار، الترجمة الأدبية تُتيح لنا مقابلة الآخر في عالمه، وبذلك تفتح لنا أبواباً لفهم أعمق للحياة والإنسان عبر ثقافات متعدّدة.

في سياق الترجمة الأدبية، تشير عبارة "الرؤى والقيم الثقافية" إلى مجموع الأفكار والمعتقدات والطريقة التي يرى بها المجتمع أو الثقافة العالم من حوله، إضافة إلى المبادئ الأخلاقية والسلوكيات التي تُعتبر مهمة بالنسبة لذلك المجتمع. هذه الرؤى تشمل تصورات الإنسان عن الحياة، والمجتمع، والطبيعة، والوجود، بينما تمثل القيم الأسس التي تحكم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات، مثل العدالة، والحب، والشجاعة، والحرية.

في الترجمة الأدبية، نقل "الرؤى والقيم الثقافية" يعني نقل ذلك الإطار الفكري والوجداني الذي يشكل جوهر النص الأدبي، بحيث لا تكون الترجمة مجرد كلمات بل تجربة تعكس كيف يفكر الناس ويشعرون ويتفاعلون في ثقافتهم. لذلك، فإن الترجمة تعبر عن نقطة اتصال بين عوالم ثقافية مختلفة، تعكس تضاريس فكر وثقافة مجهولة للقارئ، وتمنحه فرصة لفهم تجربته وتجربة الآخر في آن واحد. هذه العملية تعزز من التفاهم الثقافي، وتتيح للقراء اكتشاف القواسم المشتركة والاختلافات في قيم الإنسان عبر الثقافات، مما يساهم في بناء جسور تواصل حقيقية تعتمد على الاحترام والتبادل الثقافي.

تؤدي عدة عوامل إلى فقدان قيم ثقافية أثناء عملية الترجمة، مما قد يؤثر على دقة وعمق نقل النص الأصلي، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً، الفرق بين الأنظمة الثقافية واللغوية؛ إذ قد تحتوي لغة أو ثقافة المصدر على مفردات أو تعابير ثقافية خاصة لا توجد مقابلات دقيقة لها في لغة أو ثقافة الهدف، ما يسبب صعوبة في نقل دلالات معينة وبالتالي فقدان بعض الخصوصيات القيمة.

ثانيًا، التّكيف المفرط مع الثّقافة المستقبلة؛ حيث يسعى المترجم لتقريب النّص إلى القارئ الجديد عبر استبدال رموز أو مفاهيم ثقافيّة أصليّة بمكافئات مألوفة في الثّقافة المستقبلة. هذا قد يؤدي إلى طمس المعاني الأصليّة وقيمها، وتحويل النّص إلى نسخة تنماهى مع ثقافة جديدة دون الاحتفاظ بجوهر النّص الأصليّ.

ثالثًا، الافتقار إلى فهم عميق للثقافة الأصليّة؛ إذ إن قلة معرفة المترجم بالسياق الثّقافيّ والتّاريخي للنّص تؤدي إلى صعوبة في تفسير المفردات والمعاني الغنيّة بالرمزيّة، ممّا يترتب عليه تشويه أو تقليل أهميّة بعض القيم الثّقافيّة.

رابعًا، القيود التّقنيّة واللّغويّة، خاصّة في التّرجمة السّريعة أو التي تعتمد على التّرجمة الآليّة؛ حيث تتركز الجهود على نقل المعنى الظّاهر وتُغفل البعد الثّقافيّ العميق، ما يفضي إلى فقدان أبعاد هامة من القيم والتّجارب.

خامسًا، التّأثيرات السّياسيّة والاجتماعيّة، عندما تخضع التّرجمة لضغوط رقابيّة، أو لسياسات ثقافيّة تُوجه عمليّة التّرجمة نحو ترويج قيم معيّنة، ما يؤدي إلى حذف أو تغييب بعض القيم الأصليّة التي لا تتوافق مع تلك السّياسات.

وكل هذه العوامل من شأنها أن تسهم في صعوبة الاحتفاظ بالقيم الثّقافيّة الدّقيقة عند التّرجمة، ممّا يجعل من التّرجمة تحدّيًا معقدًا يجب أن يوازن بين الأمانة للنّص الأصليّ والحاجة إلى التّفاعل والقبول في الثّقافة الجديدة.

تحدّيات العولمة وتأثيرها على التّرجمة

لعل عبارة "تحدّيات العولمة وتأثيرها على التّرجمة" تعني مواجهة العمليّة التّرجميّة في عصر يتسم بسرعة الاتّصال والتّداخل الثّقافيّ والهيمنة اللّغويّة لبعض اللّغات الكبرى، ممّا يولّد بيئة معقّدة للتّبادل الثّقافيّ. العولمة تفرض ديناميّات جديدة على التّرجمة تجعلها عُرضة لضغوط تتعلق بهيمنة لغة معيّنة، وغلبة مفاهيم ثقافيّة لا تعكس دوماً تنوع وإثراء الثّقافات المستهدفة. تواجه التّرجمة تحدّيات في الحفاظ على أصالة النّص ونقل مضمونه الثّقافيّ العميق وسط سيطرة تقنيّات ووسائط تكنولوجيا المعلومات التي قد تركز على سرعة وعدد التّرجمات بدلاً من جودة التّرجمة الثّقافيّة.

في مواجهة هذه التّحدّيات، يتدحرج خطر التّهميش اللّغويّ والتّقليص من أصالة المحتوى الثّقافيّ إلى جانب ضرورة التّعامل مع ظاهرة الاقتراض اللّغويّ التي تؤثر على نقاء اللّغة المترجمة. كما يبرز تحدّي

في قدرة المترجم على معالجة الفوارق الثقافية العميقة وتأويل النصوص بما يسمح بتقريب الثقافات على نحو يحفظ التوازن بين الانفتاح والخصوصية الثقافية. بالإضافة لذلك، تبدو الضغوط الاقتصادية، مثل المنافسة العالمية ودور الترجمات الإلكترونية مؤثرة في تراجع مكانة الترجمة كفعل ثقافي متفاعل، وتحويلها إلى صناعة تعتمد على الكمية أحياناً على حساب العمق والتنوع.

التحدي الأكبر يكمن في إعادة صياغة الترجمة كوسيط ثقافي قادر على مقاومة التفتت الثقافي الناجم عن العولمة وذلك عبر تعزيز دورها في بناء جسر حيوي للتواصل الثقافي وليس فقط نقل الكلمات. هذا يتطلب وعياً جديداً بدور الترجمة في المحافظة على الهوية الثقافية، والحرص على التوازن بين التبادل الثقافي والتحفز على خصوصية الثقافات المحلية، وهو ما يجعل من الترجمة قوة فاعلة في تشكيل عالم متعدد الثقافات، تتميز بالاحترام والتواصل والتفاعل الإنساني الحقيقي.

وتتمثل الأبعاد المحددة لتحديات العولمة في ملف البحث الأول في جوانب متعددة تشمل البيئية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. تتسم العولمة بأنها ظاهرة معقدة تربط العالم في نظام يشبه "القرية الكونية" من خلال تدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال والتكنولوجيا، لكنها على الجانب الآخر تفرض هيمنة اقتصادية وسياسية وثقافية تخلق تفاوتات وانقسامات واضحة بين الدول المتقدمة والنامية. يُشير البحث إلى أن هذه التحديات تنبع من سيطرة قوى اقتصادية كبرى تستثمر العولمة لتكريس مصالحها وفرض هيمنتها، مما يؤدي إلى تفاقم الفجوة بين الشمال والجنوب وضعف دور الدول النامية في التنافس الدولي والإقليمي.

في البعد الثقافي، تسهم العولمة في تآكل الخصائص الثقافية بسبب انتشار نمط ثقافي موحد يركز على سيطرة الغرب، مما يهدد التنوع الثقافي ويؤدي إلى صراعات هوياتية وجغرافية حادة، خاصة في المجتمعات الحدودية التي تتعرض لضغوط مزدوجة بين التراث الثقافي والانفتاح العالمي. هذه التحديات الثقافية مرتبطة بتغيرات اجتماعية وسياسية تشمل إعادة تحديد الهويات وانتقال القيم، الأمر الذي يطرح إشكالات مستمرة حول الحفاظ على الهوية الثقافية وسط تيارات العولمة المتسارعة.

اقتصادياً، يبرز تدهور شروط التبادل التجاري للدول النامية وتراجع قدراتها التنافسية في الأسواق العالمية بسبب تكافؤ الفرص غير المتكافئ، مع صعوبة في تعويض الخسائر أو تحصيل مكاسب جديدة، وتوسع شق الفجوة التنموية العالمية. هذه الأبعاد تؤكد على أن تحديات العولمة تشمل ضبط العلاقة بين حرية السوق وسيطرة القوى الكبرى والمسائل الاجتماعية المتعلقة بالفقر والبيئة والأمن الغذائي، مما يجعل مواجهة هذه التحديات هدفاً مركزياً للسياسات الوطنية والدولية. باختصار، تمثل أبعاد

تحديات العولمة منظومة متشابكة من القوى الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تثقل كاهل المجتمعات وتدفعها إلى إعادة التفكير في استراتيجيات التنمية والسيادة الثقافية والتوازن الاجتماعي.

فضلا عن ذلك، تعد الأبعاد المؤسسية والتنظيمية لتحديات العولمة في الملف الأول تشمل طبيعة جديدة من الهياكل والمؤسسات الدولية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بهدف تنظيم النظام العالمي وإدارته من خلال مؤسسات متعددة الأبعاد والوظائف. هذه المؤسسات تضم الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها مثل منظمة التجارة العالمية وبرنامج الغذاء العالمي ومنظمة الصحة العالمية وغيرها، التي تسعى لفرض معايير وقوانين دولية تتفاعل مع سياسات الدول الوطنية، ما يطرح تساؤلات حول مدى تنازل الدول عن أجزاء من سيادتها لصالح هذه الكيانات متعددة الأطراف. يؤدي هذا التدخل المؤسسي إلى صعوبات في الفصل بين السلطات الوطنية والعالمية، وتضارب في الأدوار بين الحكومات والمنظمات الفوقية التي تسعى للتحكم وتنظيم المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على مستوى دولي.

هذا البناء المؤسسي يحكم أنشطة اقتصادية سيادية على المستوى العالمي من خلال تنظيم التبادل التجاري والاستثمارات عبر مؤسسات مثل منظمة التجارة العالمية، ويشكل بنية تحتية معقدة تهدف إلى تعزيز اقتصاد عالمي متكامل، لكنه مع ذلك يحد من قدرة الدول على فرض سياسات اقتصادية مستقلة تحمي مصالحها الوطنية. التنظيم الدولي والتكامل يتعدى الأطر الوطنية إلى تكوين تكتلات إقليمية وعالمية تقوم بدور متداخل مع الدولة الوطنية، بحيث تتحول الأخيرة من جهة إلى جزء من منظومة دولية، ومن جهة أخرى إلى كيان يحاول صون مصالحه ضمن شبكة تنظيمية أوسع، مما يولد تحديات في إدارة السيادة والحوكمة المحلية.

هذه الأبعاد التنظيمية تؤثر على كيفية مواجهة الدول والتجمعات الإقليمية لتداعيات العولمة، وتتطلب إعادة تصور الأدوار التنظيمية وتطوير نظم حوكمة قادرة على التكيف مع متغيرات النظام العالمي، والسعي لتحقيق موازنة بين الضغوط الدولية وحماية الذات الوطنية. بذلك، توضح الدراسة أن التحديات المؤسسية والتنظيمية للعولمة تمثل إطاراً معقداً من التحكم المشترك والمسؤوليات المتعددة المستويات، التي تستوجب تعاوناً متزايداً مع الاستفادة من المؤسسات المختلفة مع الحفاظ على هوية واستقلال القرار الوطني.

• تأثير العولمة على صناعة المصطلحات والمفاهيم الثقافية في الترجمة.

يشير هذا الموضوع إلى التغيرات والتحوّلات التي تواجهها عملية إنتاج المصطلحات الجديدة والمفاهيم الثقافية داخل النصوص التي تُترجم في ظلّ تأثيرات العولمة. العولمة تحمل معها توسعاً واسعاً في التفاعل الثقافي واللغوي بين الشعوب، ممّا يحتم التعامل مع مصطلحات تعبر عن تقنيات، أفكار، وأنماط حياة حديثة غير متواجدة في الثقافات التقليدية. لذلك، يواجه المترجمون تحدياً في إيجاد مكافئات ودلالات دقيقة لهذه المصطلحات التي قد تفتقر إلى نظائر في اللغة المستهدفة، أو قد تحمل معاني جديدة غير مألوفة في السياق الثقافي الآخر.

تؤدي العولمة إلى بروز مفهوم "صناعة المصطلحات" كعملية معقدة تتضمن إنتاج كلمات وتعابير جديدة تنسجم مع المتغيرات العلمية والتقنية والثقافية. هذه الصناعة ليست فقط تقنية لابتكار كلمات؛ بل هي صناعة ثقافية تؤثر في كيفية فهمنا للعالم وما نعتنقه من قيم وأفكار. مع انفتاح الأسواق والثقافات، يصبح هناك ضغط في الترجمة لتمثيل هذه المفاهيم بدقة؛ لكنه قابل لأن يحمل تشويشاً أو تحويراً إذا لم تُراعَ خصوصية الثقافة الأصلية، خصوصاً حينما تسيطر لغة أو ثقافة ما على المشهد العالمي.

كما تتسم عملية صناعة المصطلحات في ظلّ العولمة بتداخل القوى السياسية والاقتصادية التي تسعى للتحكّم في هذه المصطلحات، ما يعكس واقعاً لا يتحكّم فيه الفاعلون الثقافيون بشكل كامل؛ بل تتشابك فيه المصالح والتأثيرات التي قد تفرض رؤية ثقافية موحدة وتغفل التنوع والخصوصيات الثقافية الأصلية. لذلك، تبقى عملية الترجمة في هذا السياق محكومة بإيصال المعاني الدقيقة بوعي نقدي وتمحيص دقيق، لضمان نقل القيم الثقافية وراء الكلمات، مع القدرة على إعادة إنتاج المفهوم في شكل يليق بالثقافة المستقبلة دون التقليل من أهميته الأصلية.

بالتالي، يرتبط تأثير العولمة على صناعة المصطلحات والمفاهيم الثقافية في الترجمة بموضوع شائك يعيد التفكير في دور الترجمة وأدواتها، وتحدي المحافظة على التوازن بين الابتكار اللغوي والحفاظ على الهوية الثقافية، مع إبقاء الترجمة كوسيط فعال في التواصل الثقافي الذي يعزز التنوع بدلاً من أن يقوده إلى تسطيح أو استلاب. هذا التحليل يبرز أهمية الوعي بالجانب الثقافي في التعامل مع المصطلحات، ويؤكد أن الترجمة ليست فقط وظيفة تحويل لغوي؛ بل مشروع ثقافي يسهم في صناعة المعنى وتكوين الهوية عبر العولمة، بالنظر إلى أنه من بين العوامل المشجعة على تحقيق هذا التواصل هي الرغبة في الانتفاع من الأجناس المعرفية التي كانت، ومحاولة تلمّس حقيقتها بشتى اللغات، تبعاً للأسس التي تركز على خاصية تعزيز أي حوار إنساني قائم على الوعي الحضاري، والمتسم بدعائم مدّ الجسور من خلال وسائل عديدة، لعل من أهمها التواصل التجاري، والسياسي، والثقافي، عبر القارات، وما تؤديه من دور

في تمكين الترجمة من ربط العلاقات بين الثقافات؛ "لأن الترجمة كما يقول "جون روني لادميرال" عبور بين ثقافات، أو هو تواصل ثقافي؛ ذلك أن اللغة متضامنة مع سياق ثقافي يحتم إضافة الأفق الخارج لساني إلى نظرية الترجمة، والترجمة إذاً ليست للغة ولكن للكلام"¹⁶. أمثلة عملية لصناعة مصطلحات جديدة بسبب العولمة كثيرة ومنتشرة في عدة مجالات، خصوصاً مع التطورات العلمية والتقنية والاقتصادية التي فرضها التواصل العالمي. على سبيل المثال، في مجال التكنولوجيا، انتشرت كلمات مثل "فاكس" و"كاميرا" و"لابتوب" و"إنترنت" التي تم تبنيها في لغات عدة، بما فيها العربية، وقد أصبحت جزءاً من المصطلحات الشائعة حتى وإن كان لهذه المفردات مقابل أو بدائل تقليدية، لكنها فرضت نفسها بسبب تأثير التقنية والعولمة.

في المجال الاقتصادي والاجتماعي، ظهرت مصطلحات مثل "العولمة" نفسها، و"الترانسناشونال Transnational" (شركات متعددة الجنسية)، و"الشبكة العالمية"، و"التجارة الإلكترونية"، و"الاستدامة"، وغيرها من كلمات تشكل مفاهيم أعادت رسم آفاق الممارسة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وأثرت بدورها على الحوار الثقافي والترجمة بين اللغات. في المجال الثقافي والحقوق ظهرت مصطلحات مثل "حقوق الإنسان"، و"حوار الحضارات"، و"الهوية الثقافية" التي تعبر عن مفاهيم جديدة أو معاد صياغتها لتناسب مع السياق العالمي.

هذه المصطلحات لم تظهر كمفاهيم لغوية عشوائية بل جرت صناعتها أو اعتمادها من خلال التفاعل الثقافي والاقتصادي والسياسي بين المجتمعات، وأسهمت الترجمة في نقلها وتكييفها وتوسيع دائرة فهمها لتصبح لغة عالمية مشتركة، مع احتمال إضافتها بعدلات أو نصوص توضيحية للحفاظ على خصوصيات الثقافة المستقبلية. ترافق ذلك توسع في مجال الابتكار اللغوي (Neologism) وأساليب التكوين اللفظي مثل الاستعارة والتراكيب والخلق الجديد للكلمات مما يجعل صناعة المصطلحات في عصر العولمة فعلاً ثقافياً وديناميكياً بامتياز.

ومع كل ذلك، يؤدي الإعلام ووسائل التواصل الحديثة دوراً حاسماً في انتشار المصطلحات المعولمة داخل اللغة العربية؛ حيث أصبحت هذه الوسائط الناقلة الأولى للأفكار والقيم العالمية، فتعمل كجسر لنقل المصطلحات الجديدة التي تعكس التطورات الاقتصادية والتقنية والاجتماعية المرتبطة بالعولمة. من خلال نشر الأخبار، البرامج الحوارية، المحتوى الترفيهي، المدونات، ومنصات التواصل الاجتماعي،

¹⁶Jean René Ladmiral: traduire : théorèmes pour la traduction ; Payot ; Paris 1979 p13.

وينظر أيضاً، جمال حضري: العولمة القسرية للقيم. الرابط: <https://2u.pw/ZdKfBy>

تصل الكلمات والمفاهيم الجديدة إلى جمهور واسع ومتنامٍ في بيئات لغوية وثقافية عربية مختلفة، فتستقر سريعاً في الاستخدام اليومي والوسائل الرسمية.

تعد الترجمة أحد أهم أركان وسائط التواصل الحضاري¹⁷، وعلى المتلقي اختيار ما يلائمه من معروض الفكر التواصل من الحضارات، والأمم، واللغات المختلفة على النحو الذي نهجه مفكرون القدامى في تأسيس الحضارة الإسلامية التي خضعت لعامل الاختيار المدروس، "فمنذ فجر الإسلام. مثلاً وضع المسلمون هذا المنهج في التواصل الحضاري؛ حيث أخذوا من تجارب وقواعد وتراتيب الحضارات الأخرى (المشترك الإنساني العام) وأضافوه إلى (الخصوصيات الإسلامية) التي تميّز بها منهاج الرسالة الإسلامية الخاتمة، فاختاروا (التواصل الحضاري) من موقع الراشد المستقل، رافضين التبعية، والتشبه، والتقليد، وكذلك العزلة، والانغلاق. صنعوا ذلك عندما أخذوا عن اليونان (تدوين الدواوين) ولم يأخذوا (القانون اليوناني) استغناءً بالشريعة الإسلامية المتميزة، وعندما أخذوا عن الهند (الفلك والحساب) لم يأخذوا فلسفة الهند، استغناءً بـ (التوحيد) فلسفة الإسلام.¹⁸ تتيح هذه الوسائل فرصاً غير مسبوقة للقاء اللغات والثقافات، وعليه يتكرر تعرض المتحدث العربي لمصطلحات جديدة تعبر عن مفاهيم وتكنولوجيات عالمية، سواء في مجالات الإعلام الرقمي، التكنولوجيا، الاقتصاد، أم السياسة، مما يولّد حاجة لإدخال هذه المصطلحات في التداول اللغوي. كما تسهم بسرعة تداول المعلومات وتعدد مصادرها عبر هذه الوسائط في ضغط الزمن على قبول المصطلحات الجديدة بدون تحوير أو مراجعة معمقة، مما يؤدي أحياناً إلى تبني مباشرة للكلمات الأجنبية أو الترجمة الحرفية التي قد لا تعكس بدقة الخلفيات الثقافية العربية.

يضاف إلى ذلك أن طبيعة التفاعل الفوري والمباشر التي تميز وسائل التواصل الاجتماعي تخلق بيئة لغوية حيوية تسمح بابتكار وتداول المصطلحات في فضاء تفاعلي يشترك فيه الأفراد والجماعات،

¹⁷ حدد الدارسون آليات التواصل الحضاري بين الجماعات البشرية بأربعة وسائط: وهي: التجارة، والحرب، الحمل، والتعرض والتعريض ينظر، مصطفى سوييف: التواصل الحضاري. حقيقة تاريخية. مجلة الهلال، ديسمبر 1996، ص 22.

إنّ مفهومي التجارة والحرب واضحان بلا شك.

أمّا مفهوم الحمل فالمقصود به هو: تحرّك الأفراد بين الكيانات الحضارية حاملين معهم بعض منتجات حضارتهم (المادية والمعنوية) إلى حيث يقصدون، ومن ثمّ يعودون من المناطق الحضارية التي زاروها، وقد جلبوا معهم منتجات طريفة يقدمونها إلى مجتمعاتهم، على نحو ما هو معروف عندنا في الجزائر بتجار الشنطة.

بينما المقصود من مفهوم التعرض والتعريض: الإشارة إلى فئة واسعة من نشاط أجهزة الإعلام في الدولة الحديثة، وكذلك المعارض، والمؤتمرات، والمهرجانات، وزيارات الفرق الفنية، والعلماء والأكاديميون، كما يتضمن هذا المفهوم أنشطة الترجمة بجميع أشكالها ومستوياتها. ينظر، رفعت المحمد: الحضارة الإنسانية بين التواصل والصراع، مجلة النبأ، عدد 62، 2001، ص 60.

¹⁸ ينظر، ياسمين فيدوح، إشكالية الترجمة في الأدب المقارن، دار صفحات، 2009، ص 117

مما يعزز من انتشارها وتعميمها بصورة وبوتيرة أسرع من السابق. وفي المقابل، يمكن لهذه الوسائل أن تلعب دوراً في تنشيط النقاشات حول الحاجة للحفاظ على نقاء اللغة العربية ومحاربة الغزو اللغوي، فتصبح منصة للتحرر اللغوي أو للحفاظ على الهوية الثقافية، بحسب استراتيجيّة المتحدثين والمؤسسات الإعلامية.

فضلاً عن ذلك يشكل كلّ من الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعيّ قنوات رئيسيّة تسرّع من دخول المصطلحات المعوملة إلى الثقافة اللغويّة العربيّة، مؤثرين في بنيتها اللغويّة وسلوكها اللغويّ، ممّا يعكس التحوّلات الاجتماعيّة والثقافيّة المصاحبة للعوملة، ويبرز أهميّة مراجعة دور هذه الوسائل في إدارة التأثيرات اللغويّة لضمان مزيد من التوازن بين الانفتاح والحفاظ على الأصالة.

ولعلّ أبرز الحجج التي سيدعمها التحليل تتمحور حول أن العوملة تقود إلى تغيرات عميقة في صناعة المصطلحات والمفاهيم الثقافيّة؛ حيث تُحدث تحوّلًا في اللغة وفي قدرة المجتمعات على التعبير عن رؤاها وهويّاتها الثقافيّة. الحجة الأساسيّة تؤكد أن الترجمة في ظلّ العوملة ليست عمليّة تقليديّة لنقل المعاني فقط؛ بل هي فعل ثقافيّ يخلق تفاعلات بين الأصل والمستقبل يحفز التّجديد اللغويّ والثقافيّ. من جهة أخرى، يشير التحليل إلى التّحديات التي تفرضها هيمنة لغات وثقافات قويّة على اللّغات والثقافات الأخرى، ممّا يهدد التنوع ويجعل من صناعة المصطلحات المتوازنة أمرًا ضروريًا للحفاظ على الهوية. كما تؤكد الحجج على أن صناعة المصطلحات في هذه البيئة تتحول إلى فعل ثقافيّ يوازن بين التّبني والابتكار، ويعمل على إعادة إنتاج المعنى ضمن سياق ثقافيّ جديد دون فقدان الجوهر الأصليّ. بالإضافة لذلك، سيُبرهن التحليل على دور وسائل الإعلام ووسائل التواصل الحديثة في تسريع انتشار وتأثير المصطلحات الجديدة، ما يضع ضغطاً على اللّغات المحليّة لملاءمة هذه المصطلحات دون استلاب أو تغريب. الإجمال أن الترجمة في عصر العوملة ليست فقط نقل كلمة إلى كلمة بل عمليّة متكاملة من الإبداع والوعي الثقافيّ التي تعزز التوازن بين العوملة والحفاظ على الهوية اللغويّة والثقافيّة.

• مشكلات الاقتراض اللغويّ وتأثير التّغريب على النّصوص المترجمة.

يتطرق هذا الموضوع إلى التّحديات التي تواجه النّصوص المترجمة عندما يتم إدخال كلمات أو تعبيرات من لغة أخرى بدون تعديل كافٍ أو دون استيعاب دلالاتها الثقافيّة العميقة، فيصبح النّص عرضة لفقدان جزء من أصالته الثقافيّة والمعنويّة. الاقتراض اللغويّ، الذي يعتمد على نقل الكلمات كما هي من اللغة الأصل، قد يكون له دور إيجابي في الحفاظ على خصوصيّة مصطلحات فنيّة أو ثقافيّة لا توجد مقابلات دقيقة لها، لكنه في بعض الحالات يتحول إلى مشكلة حين يفرط المترجم في استخدام

التعبير المستعارة دون توضيح أو تكييف، مما يؤدي إلى غربة النص وصعوبة تواصله مع القارئ في اللغة المستهدفة.

التغريب هنا يعني إحداث نوع من الانفصال بين النص المترجم والقارئ بسبب الحضور المفرط للمصطلحات الأجنبية، فتفقد النص قدرته على التعبير والوصول بسهولة، ويعاني من تراجع في الانسجام اللغوي والثقافي. هذه الظاهرة تؤثر على استقرار اللغة المستقبلية وقدرتها على النمو والإثراء، كما تخلق فجوة بين النص وقراءه تقوض من وظيفة الترجمة كحلقة وصل بين الثقافات. بالإضافة إلى ذلك، ينتج عن التغريب صعوبات في فهم السياقات الثقافية الخفية والأساطير والموروثات التي تجعل النص حيويًا وذا معنى عميق؛ إذ يُستبدل المعنى الثقافي بأشكال لفظية قد تظل غامضة أو مستعصية على الإدراك الكامل.

على الرغم من ذلك إلا أنها أسهمت في تفتق الذهن وتفتحه على الكون من خلال الاحتكاك بالغرب على نحو ما فعله طه حسين والمنفلوطي، وما وصلت إليه مسألة التنوير في معرفتنا بالدعوة إلى التغريب، محاكاة أفكار الغرب جملة وتفصيلاً، كما فعل سلامة موسى الذي حاول أن يقفز على رصيد المعرفة العربية، فخلق نوعاً من التصدع في ربط العلاقة مع الآخر، هذه العلاقة التي حاولت أن ترسخ فكرة توطين الفكر الغربي في المعرفة العربية.¹⁹ تتضاعف تلك المشكلات في النصوص الأدبية والفلسفية التي تعتمد على تلاعب لغوي ودلالات عميقة؛ حيث يعتمد نجاح الترجمة على مدى قدرة المترجم في موازنة الاقتراض مع التكييف والشرح للحفاظ على روح النص. بهذا الشكل، تظهر المشكلات المتعلقة بالاقتراض والتغريب كعناصر تؤثر في جودة الترجمة، وتطرح تحديات أمام الباحثين والمترجمين للحفاظ على التفاعل الثقافي الغني بين المصدر والهدف، والتأكيد على أهمية الحساسية الثقافية في اختيار تقنيات الترجمة المناسبة لكل نص وظرف.

وفي ضوء ذلك، فإن العنوان يفتح على معضلتين متداخلتين: الاقتراض اللغوي بما هو إدخال مفردات وتراكيب من لغة إلى أخرى، والتغريب بما هو إبقاء أثر الغيرية الثقافية في النص المترجم. الاقتراض يحدث حين يواجه المترجم مفاهيم لا يجد لها مقابلات راسخة أو حين تكون المقابلات القريبة مثقلة بدلالات لا تخدم السياق. هنا يظهر الإغراء باستجلاب اللفظة الأجنبية كما هي أو بصيغة معربة، أو بنحت تعبير يكرر البنية الأصلية. لهذا المسلك فوائد واضحة في الدقة الاصطلاحية وسرعة التواصل مع حقل معرفي عالٍ، لكنه يخلق توترًا مع الدائقة اللغوية للقارئ، ومع أنساق التلقي الراسخة في

¹⁹ فيدوح ياسمين، الترجمة بين الانعكاس والإبداع، ص 98، 99

اللغة الهدف. أمّا التّغريب فهو قرار إبستمولوجي وأخلاقي قبل أن يكون أسلوبياً؛ يختار فيه المترجم أن يجعل القارئ يقترب من عالم النصّ الأصليّ بدل أن يسحب النصّ إلى مألوف القارئ. كلا الخيارين يقدّم كسباً ويولد خسارة: الاقتراض قد يثبت المفهوم لكنه قد يثقل اللغة ويعطل سلاستها، والتّغريب يحفظ نكهة الأصل لكنه قد يضاعف مسافة الفهم ويحيل القراءة إلى تمرين ثقافيّ يتطلب عدّة معرفيّة مسبقة. عند تفكيك الاقتراض اللّغويّ تظهر طبقات مختلفة: اقتراض معجمي مباشر بأشكاله الصّوتيّة أو المعرّبة، واقتراض دلاليّ حين تُسند إلى كلمة مألوّفة دلالة وافدة فتتسع حدودها، واقتراض تركيبّي في شكل تراكيب تُكالك من الأصل فتولد صيغاً غريبة عن نحو اللغة الهدف، واقتراض اصطلاحي يماهي بين شبكة مصطلحات قائمة في المصدر ونظام المفاهيم في الهدف. كلّ طبقة تحمل آثاراً بعيدة: في المعجم قد تتزاحم المترادفات بين الوافد والأصيل وتتشكل ثنائيات مربكة للقارئ؛ في الدّلالة قد تتسلل ظلال لا تتسق مع المنظومة البلاغيّة؛ في التّركيب قد تظهر صيغ ثقيلة تُضعف الإيقاع؛ وفي الاصطلاح قد تُزرع خرائط مفهوميّة لا تتناغم مع تاريخ المفاهيم في الثّقافة المتلقّيّة. لذلك يصبح السّؤال ليس هل نقترض أم لا بل؛ كيف نضبط عتبة الاقتراض، وأين نرسم حدود التّأقلم الصّوتي والصّرفي، وما المعايير التي تحكم إدخال لفظة جديدة إلى نظام جذري-اشتقائيّ شديد الحساسيّة كاللّغة العربيّة.

التّغريب، من جانبه، يتخذ صوراً متعدّدة: الإبقاء على أسماء الإعلام والأطعمة والأعياد والأدعيّة والعتبات الثّقافيّة بلفظها الأصليّ، المحافظة على بنى خطابيّة ترتبط بمراسم الاحترام أو خطاب القرابة، الإبقاء على الاستعارات النّابعة من بيانات مخصوصة حتى لو احتاجت إلى إضاءة هامشيّة. هذا الخيار يحمي كثافة الأصل ويمنع تسطيح الآخر، لكنه يضع القارئ في حالة اغتراب مُنتج عمداً. تنجح هذه الإستراتيجيّة حين يكون الغرض تربويّاً-ثقافياً أو أدبيّاً-جمالياً يطلب من القارئ أن يسافر إلى عالم النصّ، وقد تتعثر حين يكون الغرض تقنياً-إجرائياً يتطلب سرعة تداول وفهماً فورياً. المفاضلة هنا ليست تقنيّة بحتة؛ إنها مرتبطة برؤية المترجم لسلطة النصّ الأصليّ، وبفلسفته حول العلاقة بين الهوية واللّغة وبسياق النّشر والتّلقي.

على المستوى البيداغوجي والاصطلاحي، يُفضّل النّظر إلى الاقتراض بوصفه طيقاً يمتد من التّغريب الكامل إلى التّرجمة الوظيفيّة مروراً بالتّرجمة الحرفيّة المنضبطة والشرح الهامشي. التّغريب الكامل يطوّع الصّوت والصّيغة لتنسجم مع نظام الصّرف والتّصريف، لكنه قد يحجب قرابة المفهوم بجذره العالميّ. التّرجمة الوظيفيّة تلتقط وظيفة المصطلح في نسق الخطاب الهدف حتى لو ابتعد اللفظ عن الأصل، لكنها قد تُنتج مكافئاً محلياً يضلّل المتخصّصين. الشّرح الهامشي أو المصاحب يوفر جسراً في مراحل الانتقال، لكنه إن طغى تحوّل إلى عائق قرائي. لذلك يُحسن بالمترجم أن يقيس مستويات الجمهور

وأغراض النص: للقارئ العام لغة مُيسّرة تُقَرَّب وتُشرح، وللمتخصّص لغة معيارية تضبط المصطلحات وتؤرّخ لها، وللنص الأدبي لغة تحافظ على نبرة الأصل حتى لو استدعت تقنيّات إضاءة مكثفة. حيث تستمد الثقافة "غناها وأهميتها من قابليتها لتوسيع مجالات إبداعها وقدرتها على الانفتاح على خصائص الحضارات، ومدى تفاعلها مع الثقافات، عبر الترجمة التي تشكل جسراً لمد الأواصر، وإزالة الحواجز بين الأفراد والجماعات."²⁰ ، إشكالية التغريب لا تنفصل عن سؤال السلطة الثقافية. حين تأتي الاقتراضات من لغات مركزيّة نافذة، يتجاوز الأثر المستوى اللغويّ إلى إعادة تشكيل الأفق المفهومي للقارئ، فتُعاد ترسيم الأولويّات الفكرية وفق خرائط وافدة. هنا تظهر مسؤوليّة المترجم والناشر في مقاومة الانجراف إلى تبجيل الوافد لمحض حدائته، والعمل على غربة ما يدخل، وتوطين ما يفيد وتوليد مقابلات قادرة على الحياة داخل النظام اللساني والثقافي المحلي. لا يعني ذلك الانكفاء؛ بل بناء اقتصاد تداول متوازن: نُبقي على الوافد حيث تكون عالميته شرطاً للفهم المشترك، وننحت مقابلات حين يكون في اللغة الهدف استعداداً اشتقائي-دلالي يسمح بإنابات المفهوم من تربتها، ونستخدم التفسير المصاحب حين تكون المرحلة انتقالية ولما يستقر المصطلح.

تاريخ استقبال المصطلحات يعلم أن الألفاظ الوافدة تنجح حين تُسند إلى حاجات معرفيّة فعلية وتدخل في الاستعمال اليومي وتُخضع لقوانين التصريف والنحت وتُحاط بمعاجم تفسيرية. تفشل حين تُفرض من علّ بلا تداول طبيعي أو حين تُزاحم ألفاظاً راسخة بدلالة أدق. لذلك تُعد السياسات اللغوية التحريرية عاملاً حاسماً: بناء دلائل أسلوب موحّدة، اعتماد قوائم مصطلحية حيّة تُراجع دورياً، توحيد إجراءات النقل الصوتي، إلزام بذكر المقابل الأجنبي عند أول ورود للمصطلح، وتمكين القارئ من خرائط مفاهيم تربط بين المصطلحات القرينة والمتعارضة. مثل هذه الحوكمة تقلل الارتباك وتحدّ من التنازع بين المدارس الترجميّة المختلفة، وتخلق ذاكرة مؤسّساتيّة تُراكم المكاسب بدل إعادة اختراع العجلة في كلّ مشروع.

في النصوص الأدبية تحديداً، يتقاطع الاقتراض مع الموسيقى الدّاخلية والأسلوب والهويّة السردية. الحفاظ على أسماء الأطعمة والأهازيج والنداءات والشتائم المحلية يرسّخ حس المكان ويمنع تمويه العالم السردية. لكن الإفراط في الإبقاء على ألفاظ أجنبية دون إضاءة قد يقطع الوصل مع القارئ. الحلول الوسطى تشمل التّطعيم بمفردات مُعرّبة يتعلمها القارئ عبر التكرار والسياق، استخدام المقابلات

²⁰ ثريا إقبال: الترجمة والثقافة [ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات . حلقة بحثية .] المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2004، ص 288.

الثقافية الأقرب حين لا يكون الرّمز مكّونا محوريًا، واستحضار حيل بلاغية تُحدث أثرًا مماثلًا في اللغة الهدف بدل محاكاة حرفية لآليات لا تعمل خارج لغتها.

يتبدّل الميزان في النصوص العلمية والقانونية والدستورية. هنا تغلب النسيقية والاتساق والدقة على النكهة. الاقتراض المصطلحي يكون مبررًا حين يضمن عدم اللبس، على أن يُقرن بتطويع صرفي صحيح وأن يدخل في شبكات اصطلاحية واضحة. التّغريب الأسلوبي يقلّ نفعه في هذا السياق، لأن المقروئية وقابلية التنفيذ معياران أعلى. ومع ذلك يبقى للسياقات المرجعية وزنها: الإشارة إلى الأنظمة القانونية التي وُلدت فيها المصطلحات، أو المدارس العلمية التي تشكلت فيها المفاهيم، تمنح القارئ بوصلة تاريخية ومعرفية تحسن الفهم وتحد من إسقاطات لا داعي لها.

تدبير هذه الإشكالات لا ينفصل عن البنية التحتية الثقافية: برامج تدريب للمترجمين تُدمج فيها فلسفات الترجمة ونظريات التلقي وأنثروبولوجيا المعنى؛ شراكات بين الجامعات ودور النشر لبناء قواعد تبيانات اصطلاحية مفتوحة؛ لجان تحرير متعددة التخصصات تُراجع المشاريع الكبرى؛ سياسات نشر تُلزم بوضوح الإستراتيجية المتبعة في كلّ عمل: إلى أي حدّ تم اعتماد التّغريب، وأين استُخدمت المقابلات المحلية، وما الدوافع. حين يصبح هذا الوعي جزءًا من الصناعة، يتحول الاقتراض من استجابة ارتجالية إلى سياسة لغوية واعية، ويتحول التّغريب من أثر عرضي إلى خيار معلّل يحمل رؤية ثقافية.

في المحصلة، لا يُعالج السؤال بمنطق الثنائية الحادة بين الاقتراض والتّطهير، أو بين التّغريب والتّدين؛ بل بمنطق الموازنة الدقيقة: نصوص تحتاج أن تُبقي مسافة كي تتيح للآخر أن يظهر كما هو، ونصوص تحتاج أن تُقرب لتدخل في الدورة الحية للغة. المعيار هو ملاءمة الغاية والجمهور والنوع، مع حفظ كرامة اللغة الهدف وقدرتها الاشتقاقية، وصون حق النصّ الأصليّ في أن ياتي بغيرته دون أن يتحول إلى لغز مغلق. حين تُدار هذه الموازنة بوعي معرفي وسياسة تحريرية راسخة، يصبح الاقتراض رافعة لتجدد المعجم لا ثقلًا عليه، ويصير التّغريب أفقًا يوسّع خبرتنا بالعالم لا عائقًا يمنعنا من دخوله. ويمكن تلخيص الأفكار الرئيسة في الموضوع، كما يلي:

أولًا - الاقتراض اللّغوي: يتمثل في إدخال ألفاظ أو تراكيب من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، سواء بصيغتها الأصلية أم المعربة. هذا المسلك يُبرّر أحيانًا حين لا توجد مقابلات دقيقة، أو حين تُفرض الحاجة إلى دقة اصطلاحية في الحقول الفنية والعلمية. لكنه يخلق مشكلات إذا فُرط في استخدامه: تضارب بين الأصيل والوافد في المعجم، زعزعة الانسجام اللّغوي، إدخال ظلال دلالية غير منسجمة،

توليد تراكيب غريبة عن نحو اللغة الهدف، وزرع خرائط مفاهيم وافدة لا تنسجم مع تاريخ المفاهيم المحلية.

أنماط الاقتراض تتوزع بين:

- المعجمي (نقل الكلمة كما هي أو تعريبها صوتيًا)؛
- الدلالي (إسناد معنى جديد لكلمة مألوفة)؛
- التركيبي (استنساخ تراكيب دخيلة)؛
- الاصطلاحي (إدخال شبكة مصطلحات كاملة)

ثانيًا - التّغريب: هو إبقاء أثر الغريبة الثقافية في النص المترجم. يظهر في الإبقاء على أسماء الإعلام، الأطعمة، العادات، الأعياد، الاستعارات البيئية، والتراكيب الخاصة بالمخاطبة. ميزته أنه يحافظ على كثافة النص الأصلي ويمنع تسطيحه، لكنه يجعل القارئ في حالة اغتراب متعمّد. نجاعته تتوقف على الغاية: في النصوص الأدبية والتربوية يُعتبر إثراءً، أمّا في النصوص التقنية والقانونية فقد يعوق الفهم الفوري. التّغريب، إذن، ليس مجرد أسلوب بل خيار معرفي وأخلاقي يتعلّق بعلاقة المترجم بالآخر وبسلطة النص الأصلي.

ثالثًا، المعضلة الجوهرية: كلا الخيارين (الاقتراض والتّغريب) يحمل مكاسب وخسائر.

- الاقتراض يضمن الدّقة لكنه قد يثقل اللغة؛
 - التّغريب يحافظ على نكهة النص؛ لكنه قد يضاعف مسافة الفهم.
- السؤال العمليّ ليس هل نقترض أو نغترّب؛ بل: أين نرسم حدود الاستخدام؟ كيف نوازن بين الحاجة إلى الدّقة وضرورة الحفاظ على قابليّة النص للقراءة في اللغة الهدف؟

رابعًا، الاعتبارات السياقية:

- في النصوص الأدبية، يُفضّل تطعيم النص بمفردات معرّبة أو مشروحة، مع الحفاظ على أسماء ومظاهر ثقافية أصيلة إذا كانت جزءًا من هويّة النص؛
- في النصوص العلمية والقانونية، الأولوية للنّسيّة والوضوح والدّقة، ما يجعل الاقتراض المصطلحي مبرّرًا شريطة إخضاعه لقواعد الصّرف والتّصريف؛

- في جميع الحالات، تُقاس القرارات بمدى ملاءمتها للغرض والجمهور المستهدف.

خامسًا، البعد الثقافي والسياسي: حين يأتي الاقتراض من لغات مركزيّة نافذة، لا يقتصر الأثر على المستوى اللغوي؛ بل يعيد تشكيل أفق القارئ المفهومي، ويؤثر في أولوياته الفكرية. من هنا تبرز مسؤولية المترجم والناشر في غربة المصطلحات، مقاومة النزعة إلى تبجيل الوافد لمحض حدثه، وتوليد بدائل محلية قابلة للحياة.

سادسًا، إدارة الترجمة والسياسات اللغوية: نجاح إدخال المصطلحات يرتبط بوجود:

- معاجم تفسيرية؛

- دلائل أسلوب موحدة؛

- قواعد تبيانات اصطلاحية؛

- مراجعة تحريرية متعددة التخصصات؛

- وعي معلن باستراتيجية الترجمة (مدى اعتماد التغريب أو التعريب أو الشرح).

وعلى هدي ما سبق فإن هذه الظاهرة، في عمقها، ليست صراعًا ثنائيًا بين التغريب والتدجين، ولا هي مفاضلة حاسمة بين الاقتراض والتطهير؛ بل هي مجال تتشكل فيه جدلية دقيقة يتعين على المترجم أن يعي أبعادها. فالمسألة لا تُختزل في الاختيار بين طرفين متعارضين، وإنما في القدرة على إبداع توازن يتسق مع طبيعة النص ذاته ومع الخلفية الثقافية والمعرفية للقارئ، مع مراعاة السياق الذي يوجّه فيه النص المترجم. هذا التوازن هو فعل تأويلي مركّب، يجعل المترجم يتجاوز الميكانيكية ليصبح وسيطًا ثقافيًا يتحكم في مسافة القرب والبعد بين النص الأصلي والقارئ الجديد. فإذا أحسن إدارة هذه المسافة من خلال وعي معرفي حادّ، وبالاستناد إلى سياسة تحريرية واضحة تحكم خياراته، تحوّل الاقتراض إلى قوّة تثري المعجم وتضخ فيه دماء جديدة، وتفتح أمام اللغة المستقبلية مجالات للتجدد والاتصال بعالم المفاهيم الكونية. وفي الوقت نفسه، لا يعود التغريب عقبة أو حاجزًا أمام القارئ؛ بل يتحول إلى نافذة تعكس ثراء النص الأصلي وتدعوه إلى الانفتاح على فضاءاته المغايرة، ليغدو النص المترجم تجربة توسّع وعي القارئ بالعالم وتدفعه إلى تخطّي أفقه الثقافي المألوف من غير أن يلقي به في دائرة انقطاع أو شعور بالانفصال يعطل تفاعله مع النص. هكذا تتحقق للترجمة وظيفتها الأسعى: أن تكون مساحة للتواصل والإغناء المتبادل، لا مجالًا للتنازع بين ثنائيات مغلقة.

الترجمة والهوية الثقافية في مواجهة الاختراق العولمي:

يحيل هذا الموضوع إلى فضاء جدلي يتجاوز النظرة التقليدية للترجمة بوصفها أداة لنقل النصوص، ليضعها في قلب معركة رمزية وحضارية تتصل بمصير الهوية الثقافية في زمن يفرض فيه العولم تغلغله العابر للحدود. الترجمة في هذا السياق ليست عملية تقنية تنقل الكلمات من لغة إلى أخرى، وإنما فعل ثقافي وإبداعي يعيد صياغة علاقة الذات بالآخر، ويجعل من اللغة ساحة اختبار لقدرة الهوية على التماسك أو الانكسار أمام تيارات التغريب والتوحيد القسري للثقافات.

فالاختراق العولمي لا يتبدى في السياسات الاقتصادية أو أنماط الاستهلاك وحدها؛ بل يمتد إلى الوعي الجمالي والقيمي؛ حيث تحاول اللغة المهيمنة أن تفرض رؤيتها للعالم عبر سيل من النصوص المنتجة والمترجمة التي قد تسعى أحياناً إلى تهميش الخصوصيات المحلية أو محو الفوارق الرمزية بين الثقافات. من هنا تكتسب الترجمة وظيفة دفاعية وحوارية في آن، فهي من جهة تحمي الهوية من الذوبان عبر الحفاظ على مفرداتها الدلالية ومرجعياتها الحضارية، ومن جهة أخرى تسمح بالانفتاح على الآخر بطريقة تضمن إثراء الدّاخل دون تفكيكه.

إنّ الترجمة الواعية قادرة على أن تحوّل النص المترجم إلى جسر مزدوج الاتجاه؛ فلا يذوب القارئ في الثقافة الوافدة، ولا ينغلق على ثقافته الخاصة؛ بل يعيش تجربة معرفية تسمح له بالتوسع دون فقدان الانتماء. هذه القدرة لا تتحقق إلاّ حين يتعامل المترجم مع النص باعتباره حاملاً لشحنات رمزية متجذرة في تاريخ وثقافة معينة، وحين يعي أن كلّ اختيار لغويّ هو في الوقت نفسه اختيار ثقافيّ يحدد موقع القارئ بين الدّاخل والخارج، بين الهوية والانفتاح، بين الذات والآخر.

وعلى هذا النحو، تصبح الترجمة أداة مقاومة ناعمة للاختراق العولمي؛ إذ تمنح الهوية الثقافية وسائل التّكيف والمقاومة، فتستوعب الوافد وتعيد توطينه في بيئة جديدة، بدل أن تتركه قوة جارفة تمحو الخصوصيات. إنها مساحة للجدل بين التفاعل والتمايز، بين الاستعارة والإبداع، بين استيعاب ما هو عالمي وصياغته بلغة محلية قادرة على الدّفاع عن أصالتها وفي الوقت نفسه الانخراط في الحوار الكوني.

واعتباراً لذلك، يمكن تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محددات رئيسية:

1. الترجمة كأداة لإثراء اللغة وتعزيز الاتصال الثقافي:

يشير عنوان "الترجمة كأداة لإثراء اللغة وتعزيز الاتصال الثقافي" إلى البعد العميق للتفاعل بين اللغات والثقافات بعيداً عن النظرة التقليدية التي تقتصر على اعتبار الترجمة عملية نقل نصوص. فالترجمة في هذا السياق هي فعل ثقافي حي، ينبض بالحياة الفكرية، ويتيح للغة أن تتسع وتتطور، مستعيرة من حضارات أخرى مفردات وأساليب بلاغية وموسعة بذلك أفق التعبير عن التجربة الإنسانية وتجديد قدرات اللغة على استيعاب الأفكار والرؤى الجديدة. إنها ليست فقط إضافة للكلمات والمعاني؛ بل إعادة تشكيل للنسيج الأسلوبي للغة، بما يمنح المتلقي أدوات فكرية للتفاعل مع عالم متغير ومعقد، ويمكنه من تصور الواقع من منظورات متعددة.

وعلى الصعيد الثقافي، تمثل الترجمة جسراً للتواصل بين الشعوب؛ إذ تسمح بالولوج إلى فضاءات معرفية وتجريبية خارج حدود الثقافة الأصلية. فهي تتيح للحضارات أن تلتقي في حوار حي؛ حيث تتبادل الأفكار والمفاهيم والقيم، وتتيح للمتلقي تجربة التفاعل مع أنماط حياة مختلفة وفهم عميق للآخر. من خلال هذا اللقاء، تتشكل شبكة من المعرفة المشتركة، تتجاوز الفجوات الناتجة عن اختلاف الأعراف والتجارب التاريخية، وتتيح إعادة صياغة الثقافة المستقبلية وإثرائها بأساليب ورؤى جديدة، بما يرسخ مفهوم الانفتاح الحضاري ويعزز قدرة الإنسان على الفهم المتبادل والتعايش الثقافي.

علاوة على ذلك، تعمل الترجمة على صقل الهوية الثقافية للمتلقي، فهي تقدم له تجربة ثقافية فريدة تتخطى حدود اللغة، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة للتفكير النقدي واستكشاف الفروق الدقيقة بين الثقافات. من خلال التفاعل مع النصوص المترجمة، يكتسب الإنسان وعياً معمقاً ببنية العالم الاجتماعي والمعرفي، ويصبح أكثر قدرة على قراءة التجربة الإنسانية بعيون متعددة، متجاوزاً القوالب الثقافية الضيقة، ومتمتعاً بمرونة معرفية تعزز فهمه للكون وتفاصيله المتشابكة.

وفي هذا السياق، يتضح من التحليل المتعمق للعبارة أن الترجمة تتجاوز وظيفتها التقليدية المتمثلة في النقل الحرفي للكلمات بين اللغات، لتصبح أداة حضارية فاعلة في تشكيل المعرفة والوعي الإنساني. فهي لا تقتصر على نقل المعنى السطحي؛ بل تمتد لتشكيل فضاء حيويًا لإثراء اللغة نفسها؛ حيث تمنحها مفردات جديدة وأطرًا تعبيرية مبتكرة، وتفتح آفاقاً للتفاعل الخلاق بين الثقافات. ومن خلال هذا الدور، تؤكد الترجمة أن اللغة كائن حي متطور، يتنفس بفضل لقاء الحضارات وتفاعلها، مما يمنعها من التحول إلى كيان متحجر أو منغلق على ذاته.

في هذا السياق، تبرز الترجمة كجسر معرفي رفيع يربط بين الشعوب والثقافات، مما يمكنها من بناء فهم متبادل عميق يتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية. وهي تعكس قدرة الإنسان المتواصلة على

الحوار والابتكار؛ حيث تظهر كيف أن اللغات والثقافات لا تتعايش فحسب؛ بل تثري بعضها البعض وتتطور من خلال التلاقح. وهذا يجعل الترجمة عملية إبداعية بحد ذاتها، تسهم في تجديد الرؤى وتوسيع الآفاق الفكرية.

في عالم تتسارع فيه التحوّلات وتتداخل فيه المصائر البشرية بشكل غير مسبوق، تثبت الترجمة أنها ضرورة وجودية وليست رفاهية ثقافية. فهي تسهل تبادل الخبرات والمعارف، وتسمح بتكون رؤى مشتركة للتحديات العالمية، من خلال تعزيز الحوار بين المنظومات الثقافية المختلفة. وهكذا، فإن الترجمة تصبح دليلاً ملموساً على قدرة البشرية على تجاوز الانعزالية، وبناء مصير مشترك يقوم على التكافل والفهم المتبادل.

2. استراتيجيات التوازن بين التعدد الثقافي والهيمنة الثقافية:

يتناول هذا العنوان عملية إدارة العلاقة المعقدة بين تنوع الثقافات ووجود ثقافات مهيمنة، وهو يشير إلى الحاجة لوضع منهجيات واعية تهدف إلى حماية التعددية الثقافية دون إلغاء الخصوصيات أو فرض نمط ثقافي واحد. تستند هذه الاستراتيجيات إلى الاعتراف بقيمة كلّ ثقافة وأهمية الحفاظ على تراثها وتعبيراتها الخاصة، وفي الوقت نفسه تطرح أسئلة نقدية حول كيفية تأثير القوى المسيطرة (سواء كانت اقتصادية أم سياسية أم إعلامية) على المشهد الثقافي العالمي.

الهدف الأساسي من هذه الاستراتيجيات هو خلق حوار ثقافي متكافئ؛ حيث لا يتحول الاختلاف إلى سبب للصراع أو الإقصاء، ولا تتحوّل الهيمنة إلى أداة لإخضاع الثقافات الأضعف. وهذا يتطلب بناء أطر تعاونية تسمح بتبادل المعرفة والتجارب على قدم المساواة، مع العمل على تمكين الأصوات المهمشة وضمان مشاركتها الفاعلة في تشكيل الخطاب الثقافي العالمي. كما يتضمن ذلك تطوير سياسات ثقافية وطنية ودولية تحمي التنوع من خلال دعم الإنتاج الثقافي المحلي وتسهيل وصوله إلى الجمهور العالمي.

من ناحية أخرى، تواجه هذه الاستراتيجيات تحدياً يتمثل في تجاوز الخطاب الرومانسي حول التعددية دون التعامل مع اختلالات القوى الموجودة على أرض الواقع. فالهيمنة الثقافية غالباً ما تكون مرتبطة ببنى اقتصادية وسياسية عميقة، ممّا يتطلب مقاربات عملية تعالج هذه الجذور من خلال آليات تضمن عدالة توزيع الموارد الثقافية وفرص الظهور. وهذا يعني تشجيع التبادل الثقافي الذي يحترم السياقات المحلية ولا يسعى لاستيعابها أو إذابتها في بوتقة ثقافية واحدة.

وفوق ذلك، فقد بات واضحاً أن استراتيجيات التوازن كأداة أساسية في بناء عالم مشترك يعتمد على التنوع كقيمة جوهرية؛ حيث يُقصد بـ"استراتيجيات التوازن" تلك الآليات والممارسات المتعمدة التي تهدف إلى الحفاظ على التوافق بين العناصر المتنوعة داخل المجتمع أو النظام العالمي، سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أم سياسية، لتجنب أي شكل من أشكال الهيمنة أو الإقصاء. يؤكد النص على أن هذه الاستراتيجيات ليست خياراً اختيارياً بل ضرورياً، لأنها تضمن تحول العالم المشترك – الذي يُقصد به الفضاء العالمي المترابط عبر الحدود والثقافات – إلى بيئة مزدهرة بالاختلافات؛ حيث تتعايش الثقافات والآراء المختلفة دون أن يطغى أحدها على الآخر أو يؤدي إلى إلغائه تماماً، مما يعكس رؤية فلسفية تعتبر التنوع مصدراً للثراء بدلاً من الصراع. في هذا السياق، يُبرز النص الجانب الديناميكي لهذه العملية؛ إذ إنها ليست ثابتة أو محدودة بزمان معين؛ بل مستمرة ومتطورة تتطلب جهداً متواصلاً للتكيف مع التغييرات الاجتماعية والثقافية، وتهدف بشكل أساسي إلى إعادة صياغة التنوع من كونه عقبة أو تحدياً يثير التوترات إلى عنصر يعزز القوة الجماعية للإنسانية ككل، من خلال تعزيز التفاهم والتعاون بين الأفراد والجماعات. هذا التحول يعتمد على مبادئ مثل الحوار المفتوح والعدالة الاجتماعية؛ حيث يصبح التنوع أداة للابتكار والتقدم، كما في النماذج الاجتماعية التي تعتمد على التعددية الثقافية لتعزيز الاستقرار والنمو، وبالتالي يُقدم النص رؤية إيجابية تجعل من التوازن ليس مجرد حلٍّ للمشكلات بل بناءً لمستقبل أفضل يستوعب الجميع دون استثناء. يتضح من خلال هذا الوصف أن الاستراتيجيات المذكورة تتجاوز النظرية إلى التطبيق العملي؛ حيث تتطلب مشاركة جماعية لتحقيق هدفها في خلق مساحة عالمية تكون فيها الأصوات المتنوعة مصدر إلهام مشترك، مما يعزز الشعور بالانتماء والأمان لكل الأطراف المعنية ويحول الاختلافات إلى روابط تربط الإنسانية بدلاً من تفكيكها.

3. دور الترجمة في الحفاظ على التراث الثقافي والتاريخ:

يُشير هذا النص إلى مفهوم استراتيجيات التوازن كأداة أساسية في بناء عالم مشترك يعتمد على التنوع كقيمة جوهرية؛ حيث يُقصد بـ"استراتيجيات التوازن" تلك الآليات والممارسات المتعمدة التي تهدف إلى الحفاظ على التوافق بين العناصر المتنوعة داخل المجتمع أو النظام العالمي، سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أم سياسية، لتجنب أي شكل من أشكال الهيمنة أو الإقصاء. يؤكد النص على أن هذه الاستراتيجيات ليست خياراً اختيارياً بل ضرورياً، لأنها تضمن تحول العالم المشترك – الذي يُقصد به الفضاء العالمي المترابط عبر الحدود والثقافات – إلى بيئة مزدهرة بالاختلافات حيث تتعايش الثقافات والآراء المختلفة دون أن يطغى أحدها على الآخر أو يؤدي إلى إلغائه تماماً، مما يعكس رؤية فلسفية تعتبر التنوع مصدراً للثراء بدلاً من الصراع. في هذا السياق، يُبرز النص الجانب الديناميكي لهذه العملية؛ إذ

إنها ليست ثابتة أو محدودة بزمان معين؛ بل مستمرة ومتطورة تتطلب جهداً متواصلاً للتكيف مع التغيرات الاجتماعية والثقافية، وتهدف بشكل أساسي إلى إعادة صياغة التنوع من كونه عقبة أو تحدياً يثير التوترات إلى عنصر يعزز القوة الجماعية للإنسانية ككل، من خلال تعزيز التفاهم والتعاون بين الأفراد والجماعات. هذا التحول يعتمد على مبادئ مثل الحوار المفتوح والعدالة الاجتماعية؛ حيث يصبح التنوع أداة للابتكار والتقدم، كما في النماذج الاجتماعية التي تعتمد على التعددية الثقافية لتعزيز الاستقرار والنمو، وبالتالي يُقدم النص رؤية إيجابية تجعل من التوازن ليس مجرد حلٍ للمشكلات بل بناءً لمستقبل أفضل يستوعب الجميع دون استثناء.

يتضح من خلال هذا الوصف أن الاستراتيجيات المذكورة تتجاوز النظرية إلى التطبيق العملي؛ حيث تتطلب مشاركة جماعية لتحقيق هدفها في خلق مساحة عالمية تكون فيها الأصوات المتنوعة مصدر إلهام مشترك، مما يعزز الشعور بالانتماء والأمان لكل الأطراف المعنية، ويحول الاختلافات إلى روابط تربط الإنسانية بدلاً من تفكيكها.

وعلى هذا النحو، تحافظ الترجمة على الهوية والتراث الثقافي والتاريخ من خلال وظيفة تتجاوز نقل النصوص بين اللغات إلى أهمية الحفاظ على جوهر ومعاني وتقاليد الشعوب والثقافات. فهي عملية معقدة تتطلب وعياً عميقاً بالسياق الثقافي والتاريخي للنص الأصلي، بحيث لا تقتصر على الكلمات فقط؛ بل تمتد إلى التعبير عن التجارب والرموز والموروثات التي تحدد هوية الشعوب وتشكل هويتها الثقافية.

في هذا الإطار، تعمل الترجمة كجسر يعبر بين الثقافات، يُمكن اللغات المختلفة من الحوار والتفاعل معاً؛ بحيث تحفظ المترجمات والمترجمون أصالة النص عن طريق إبراز القيم الدينية، الاجتماعية، والأخلاقية، وكذلك الخصائص اللغوية التي تعكس تفاصيل فريدة من التراث. توظف الترجمة أدوات مثل التفسير، والتكيف الثقافي، والشرح التوضيحي لتعويض الفجوات بين اللغات المختلفة، مع الحفاظ على سلامة المضمون الأصلي بما يدعم روح النص ويعزز انتماء القارئ إلى معرفته الثقافية.

كما تحفظ الترجمة التراث التاريخي بتوثيق الأحداث والحكايات والأساطير والمعتقدات التي تشكل ذاكرة جماعية، مما يساهم في نقل التاريخ بصورة حيّة تتحمل التحديات الزمنية وتفادي فقدان القيم والمعاني. إذ تمكن الترجمة القارئ من التعرف على تجارب تاريخية وحضارية مختلفة، من خلال تقديم هذه التجارب في شكل مفهوم وسلس يتناسب مع ثقافة القارئ، دون أن يُعطي خصوصية الموروث الثقافي.

إضافة إلى ذلك، تلعب الترجمة دوراً في تعزيز الوعي بالهوية من خلال تمكين الشعوب من الاطلاع على تراثها المترجم إلى لغات أخرى، وكذلك استقبال تراث الآخر بطريقة تحفظ التبادل الثقافي دون اندثار

أو استلاب. بالتّالي، تصبح التّرجمة عمليّة ديناميكيّة تسهم في إحياء التّراث الثّقافيّ والتّاريخي، وتدعم الهويّة في مواجهة التّغيرات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، مع المحافظة على التّنوع وإثراء الحوار بين الحضارات عبر الأجيال.

قائمة المراجع:

1. ثريا إقبال، التّرجمة والثّقافة [ضمن كتاب: التّرجمة وتفاعل الثّقافات . حلقة بحثيّة . المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2004]
2. رفعت المحمد، الحضارة الإنسانيّة بين التّواصل والصّراع، مجلّة النّبأ، عدد 62، 2001
3. رينيه ويلك: مفاهيم نقديّة، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1987
4. فيدوح ياسمين، إشكاليّة التّرجمة في الأدب المقارن، دار صوت الكتب للنّشر والتّوزيع صفحات، 2009
5. فيدوح ياسمين، التّرجمة بين الانعكاس والإبداع، دار صوت الكتب والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2025
6. كلود بيشوا، وآخر، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصريّة، 2001
7. مصطفى سويف، التّواصل الحضاريّ . حقيقة تاريخيّة . مجلّة الهلال، ديسمبر 1996

المراجع الأجنبية

Jean René Ladmiral: traduire : théorèmes pour la traduction ; Payot ; Paris 1979

المجلات

سوزان باسنيت: من الأدب المقارن إلى دراسات التّرجمة، مجلّة الآداب الأجنبيّة، عدد 124، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005

المواقع:

جمال حضري: العولة القسريّة للقيم. الرّابط: <https://2u.pw/ZdKfBy>

الخصائص الرياضيّة للغة العربيّة

واستغلالها في الترجمة بالذكاء الاصطناعيّ

الأستاذ الدكتور نوار عبيدي

أستاذ التعليم العالي بجامعة الشاذلي بن جديد الطّارف. الجزائر

رئيس تحرير مجلة معالم، عضو المجلس الأعلى للغة العربيّة

المقدمة: يشهد العصر الحديث قفزه نوعيه فيما يخص تكنولوجيايّات الذكاء الاصطناعيّ؛ ولعل ما يلفت الانتباه هو كثرة الاهتمام بترجمة اللّغات العالميّة الكبيرة منها؛ حيث تسعى كثير من المؤسسات التي تشتغل في الحواسيب وعوالم الإعلام الآليّ على تطوير التّطبيقات الخاصّة بالترجمة الفوريّة والترجمة التحريريّة على غرار تطبيقات جوجل و(SGPT) وغيرهما من التّطبيقات، ويعود اهتمام الشعوب بتطوير وسائل ترجمة لغاتها الى اللّغات الاخرى إلى أسباب أغلبها اقتصادي وتواصلّي وسياحي، فكثير من التّطبيقات الآن تعرض خدمات ترجميّة فوريه بالهواتف النّقالة إلى مئات اللّغات وفي أوقات قياسيّة وسريعة جدا تعدّ بالثواني خاصّة في التّرجمة الصّوتيّة.

في هذه الورقة البحثيّة سنحاول وصف اللّغة العربيّة وصفا يؤكّد سهولتها واستعدادها (نظريا) لتطبيقات الذكاء الاصطناعيّ خاصّة إذا ما قارناها بلغة أخرى تعرف تطوّرا كبيرا في التّرجمة بالرغم من أنّها تعاني صعوبات وتعقيدات جمة من حيث الصّوت والصّرف والدّلالة الخطيّة والنّطقيّة كاللّغة الفرنسيّة، لذلك سنعرض ونعالج ما ذكره مختصون من أنّ اللّغة العربيّة تواجه صعوبات تقنيّة أثناء التّرجمة منها وإليها، ما يجعلها لا تصل إلى الكفاءة والجودة العاليّة التي تعرفها اللّغات الاخرى أثناء التّرجمة الآليّة، سواء منها الفوريّة أم التّحريريّة.

في البداية يجب أن نمهد بالحديث عن بعض المفاهيم:

أولا: بالنّسبة للذكاء الاصطناعيّ Artificial intelligenc (AI) كمصطلح مركب: فيتكوّن المصطلح من لفظتين هما: الذكاء والاصطناعيّ. وفي العربيّة "الذكيّ من قولك: قلب ذكيّ، وصبيّ ذكيّ، إذا كان سريع الفطنة"²¹ و"الفطنة والفطنة، وهو إن يُبصر [الرّجل] الشّيء، وكان غافلاً عنه"²²، وعموما فالذكاء قدرة عقليّة أودعها الله تعالى الإنسان دون غيره من المخلوقات من حيوان ونبات وجماد، بالرغم من أن بعض

²¹الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تج: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، دارومكتبة الهلال، (ذ ك و)

²² أبو هلال العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تج: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،

ط2، 1996، ص: 80.

المخلوقات تتصرف بما يشبه ذكاء الإنسان وليس ذلك بذكاء، وإنما هو طبيعة وسجية وفطرة كصنيع النحل والنمل وبعض الحيتان وغيرها. أمّا الاصطناعيّ فمن افتعال (صنع)، والصناعة: ما تستصنع من أمر²³، والصنّاع: الذين يعملون بأيديهم²⁴، فاللفظة إشارة إلى الصناعة ومن ثمة الآلة أو الشيء المصنوع الذي يمكنه أن يحاكي ذكاء الإنسان. قال أحمد مختار عمر يعرف الذكاء الاصطناعيّ بأنه: قدرة آلة أو جهاز ما على أداء بعض الأنشطة التي تحتاج إلى ذكاء مثل الاستدلال الفعليّ والإصلاح الذاتيّ²⁵. وتعرفه هند الخليفة بأنه "قدرة الآلة على محاكاة الذكاء البشريّ في أداء الوظائف المعرفيّة والسلوكيّة، يستخدم الذكاء الاصطناعيّ تقنيّات التّعلم الآليّ والتّعلم العميق والمنطق والرياضيّات لتدريب الآلات والبرامج على حل المشكلات واتخاذ القرارات"²⁶.

الذكاء الاصطناعيّ التّوليدي (Generative Artificial Intelligence)

وقبل أن يصل الذكاء الاصطناعيّ إلى التّوليدي تكون الآلة قد مرت بمرحلتين كبيرتين تسمى الأولى مرحلة تعلم الآلة (Machine Learning) وهي قدرة الآلة على التّعلم تلقائيًا دون الحاجة إلى البرمجة، وتسمى الثّانيّة بالتّعلم العميق (Deep Learning) وهي الشّبيهة ببنية الدّماغ البشريّ، من حيث الرّبط بين الخلايا العصبيّة. أمّا الذكاء الاصطناعيّ التّوليدي فهو مرحلة متطوّرة جدا من الذكاء الاصطناعيّ ويهدف إلى "إنتاج أنواع مختلفة من المحتوى، مثل النّصوص والصّور والأصوات والأكواد وغيرها، بحيث تبدو وكأنّها من إبداع الإنسان"²⁷. ووفقًا للمنتدى الاقتصاديّ العالميّ (World Economic Forum) فإنّ الذكاء الاصطناعيّ التّوليدي "يشير إلى فئة من خوارزميّات الذكاء الاصطناعيّ التي تولّد مخرجات جديدة بناءً على البيانات التي تمّ تدريبها عليها"²⁸، وقد مرّ الذكاء الاصطناعيّ التّوليدي بمراحل طويلة منذ 1966 حتى وصل إلى أرقى مستوياته بالـ CHAT GPT4 ولا تزال التّطبيقات والبرامج تتوالى في تنافس شديد قد تصل إلى محاكاة فعليّة عقلية وبنسبة عالية جدًا مع الإنسان، وقد تهدده في مجالات كثيرة حتى في مشاعره.

وحديثنا في هذا المقال ليس متعلقًا بالذكاء الاصطناعيّ التّوليدي وإنما بالذكاء الاصطناعيّ الخاصّ بالترجمة الآليّة الصّوتيّة. وقبل التّطرق إلى هذه التّطبيقات وعلاقتها باللّغة العربيّة يجب أن نذكر شيئًا عن التّرجمة.

²³ ابن سيّدة، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1، 2000، ج1، ص442.

²⁴ العين، (ص ن ع)

²⁵ أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008، ج1، ص818.

²⁶ هند الخليفة، مقدمة في الذكاء الاصطناعيّ التّوليدي، منشورات إيوان البحثيّة، الرياض، ط1، 2023، ص8

²⁷ المرجع نفسه، ص8.

²⁸ المرجع نفسه، ص8.

ثانياً: بالنسبة للترجمة: قال ابن سيدة " ترجم كلامه، إذا فسّره بلسان آخر. ومنه الترجمان، والجمع التّراجم"²⁹، وكل التعاريف القديمة والحديثة تجمع على أن الترجمة هي نقل ألفاظ لغة ما بمعانيها وأساليبها (وتسمى اللغة الأصل أو المصدر) إلى لغة (تسمى الهدف) بهدف نقل المعرفة أو المعلومات أو التواصل بين الأفراد أو الشعوب، وهي في الوقت ذاته علم وفن، تعتمد على:

- المعرفة الجيدة لمعاني ألفاظ اللغتين (المصدر والهدف)؛
- المعرفة الجيدة لثقافة وعادات وتقاليده أصحاب اللغتين (الشعوب)؛
- المعرفة الجيدة للقواعد النحوية والبلاغية للغتين

ثالثاً: بالنسبة للترجمة الآلية: ويطلق عليها الترجمة الميكانيكية mechanic translation، أو الترجمة الأوتوماتيكية Automatic translation، أو الترجمة الحاسوبية، والقاعدة هي أن الجهاز (كمبيوتر أو هاتف نقال) يتوفر على برنامج يحلل الصوت ثم يحوله إلى نص مكتوب باللغة المسموعة أو باللغة الهدف للترجمة. وهو ما يسمى بالأنظمة³⁰، وهذا النوع من التطبيقات يشارك فيه مجموعة من المتخصصين من مختلف العلوم أغلبهم اللسانيون، المترجمون، المهندسون، المبرمجون، الإلكترونيون.

أهم البرامج التّرجمّية الحاليّة: هناك عشرات البرامج التي تهتم بالترجمة التحريرية والفورية³¹:

1. Google Translate: وهو الأكثر شيوعاً حتى الآن؛ وهو مترجم آلي مجاني الأكثر استعمالاً وهو بسيط الاستعمال ويترجم إلى أكثر من 100 لغة، بأنه: متعدد اللغات، سهل الاستخدام، ترجمة مجانية؛

2. برنامج DeepL: وهو برنامج سهل مع نظامي التشغيل Windows و iOS. يتميز البرنامج بالآتي:

يترجم أكثر من 25 لغة عالمية، لا يوجد حد للنص، يستطيع أن يحتفظ بتنسيق المستند الأصلي؛

3. برنامج Alexa Translations: يتميز البرنامج بما يأتي: يترجم إلى 100 مستند في ثوانٍ،

أفضل أداة للصناعات القانونية والمالية، يترجم محتوى الويب، يتكامل مع خدمات المترجم البشري؛

²⁹ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ج 5، ص1928.

³⁰ أي أن الآلة يمكن أن تأخذ مكان الإنسان في تنفيذ بعض المهام، وفي تعريف للأنظمة جاء في بعض المعاجم أنه:

Un automatisme est un système qui, par le moyen de dispositifs mécaniques, pneumatiques, hydrauliques ou électriques, est capable de remplacer l'être humain pour certaines tâches.

https://fr.wikipedia.org/wiki/Automatisme#cite_note-

³¹ للحصول على معلومات أوفريرجي زيارة موقع عالم الكمبيوتر

<https://www.computer-wd.com/2019/04/4-text-translator-software-for-windows.html>

4. برنامج Bing Microsoft Translation أهم ميزات: ترجمة النص والكلام الفوري والصّور

التّحرير في السّياق؛

5. برنامج Mirai Translate أهم ميزات أنه يوفر قاموساً للمستخدم ويقدم لك خيارات للترجمة

ومن مميّزاته: التّرجمة المتخصصة ولكلّ قطاع، متعدّد اللّغات؛

6. برنامج Sonix وهو موجه لصناع المحتوى بالفيديو، يركّز على التّرجمة الصّوتية والفورية

حيث يحول الكلام إلى نص مكتوب، ومن مميّزاته: ترجمة الصّوت إلى صوت أو إلى نصّ مكتوب، يحوّل

الصّوت إلى نصّ قبل التّرجمة، يقوم بتعديل النّصوص قبل التّرجمة.

هذا إضافة إلى كثير من البرامج الأخرى لعلّ أهمها:

1. موورف MURF ومن مميّزاته التّحدث بالأساليب العاطفية؛

2. هيتباو HitPaw يهتم بالفيديو والتّعبير البشريّة؛

3. سينتيزيا Synthesia؛

4. ترينت Trint.

وكلّها مطوّرات فيديو بالصّوت والصّورة

خصائص اللّغة العربيّة واستعداداتها للذكاء الاصطناعيّ: ذكرنا في بداية هذه الورقة البحثيّة أن العربيّة لها استعدادات كبيرة للتّكيف مع برامج الذّكاء الاصطناعيّ، وذلك نظراً لخصائصها اللّسانية الفريدة التي تتميّع بها دون غيرها من اللّغات، ولعلّ أبرز ميزة للعربيّة هي صبغتها الرّياضيّة الحسابيّة ممّا يجعلها قادرة على التّعايش مع المعادلات الرّياضيّة والاحتمالات الحسابيّة والخوارزميّات بكلّ سهولة، لكن الواقع يثبت أن العربيّة تعاني من كثير من الصّعوبات التي تمنعها من احتلال مكان لائق بها في ميدان الذّكاء الاصطناعيّ وبخاصّة التّرجمة الفوريّة والآليّة، وسؤالنا هو: لماذا لم تستطع الآلة إيجاد حلول لتلك العوائق التي تعد في نظرنا أهون من العوائق اللّسانية التي تعاني منها كثير من اللّغات سواء على مستواها الصّوتي أم الصّرفي أم التّركيبي. ونحن لكي نثبت كفاءة العربيّة المنطقيّة والحسابيّة وجب علينا منهجياً أن نجري مقارنات دقيقة بين اللّغة العربيّة والفرنسيّة كونها من بين اللّغات المتفوقة باستخدام الذّكاء الاصطناعيّ بينما لسانيا تعاني من كثير من المشاكل التي - من المفروض - أن تشكل لها عائقاً في مجال التّرجمة الآليّة؟

أولاً الخصائص الرّياضيّة للّغة العربيّة: سنحاول الحديث هنا عن ثلاث خاصيّات فقط وهي:

الخاصيّة المعجميّة والخاصيّة الصّرفيّة والاشتقاقيّة، والدّلالة الخطيّة للحرف العربيّ. وكل هذه

الخصائص تستند إلى العد والإحصاء.

1. الخاصية المعجمية: ونقصد بها الثروة اللفظية التي تعرفها اللغة العربية، وهذا الثراء العجيب الذي يتميز بخواص فرعية كثيرة أهمها خاصية الاشتقاق؛ انتبه إليه الأولون وعالجوه بطرق شتى، فقد تحدثوا عن سعة العربية حتى ذهب قوم مذهباً فقهيها في المسألة فتساءل ابن فارس فقال: القول في لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها؟³² فأجاب بالنفي فقال: قال بعض الفقهاء: "كلام العرب لا يحيط به إلا نبي"³³. وهذا إشارة قوية على خاصية الضخامة التي تعرفها العربية في مفرداتها. ويمكن أن نجمع هذه السعة في باقي الخصائص الفرعية المتمثلة في الترادف والمشارك اللفظي والأضداد، وهذه الميزات تتيح للمستعمل خيارات لا متناهية في التعبير بأي صفة ودلالة شاء.

أما الترادف: فهو اتفاق كلمتين أو أكثر حول معنى واحد، أو هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، والترادف (SYNONYME) ظاهرة طبيعية تعرفها كل لغات العالم، إلا أن العربية انمازت بسعة كبيرة لبعض المترادفات، وقد سجلوا للأسد مئات الألفاظ، ومثل ذلك للفارس والسيف والحجارة، وقد وضع الفيروز أبادي كتاباً أسماه (الروض المسلول فيما له اسمان إلى ألف). ومع ذلك هناك من القدماء من أنكروا وقوع الترادف في العربية كابن فارس حيث قال عن أسماء (السيف والمهند والحسام) "إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى... وكذلك الأفعال نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب."³⁴ وقد وضع أبو هلال العسكري كتابه (الفروق اللغوية) وفيه فروق دقيقة بين الألفاظ المترادفة، وفسر الأصوليون وجود الترادف بتعدد الواصفين في اللغة؛ كأن تُسَيِّ قبيلة السيف مُهَنْدًا والأخرى حُسَامًا والأخرى فيصلا. والذين يثبتون الترادف يحتجون بوجوده في القرآن الكريم كقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ) [الأنعام: 109]، وقوله: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) [النساء: 62]، فالقسم والحلف سواء، ومثل ذلك (نبعث ونرسل) و(فضل وأثر).

2- المشترك اللفظي: ويقصد به أن يكون للفظ الواحد عدة معان مثل عين (البصر) وعين (الماء) وعين (الذهب) إلخ، والألفاظ المشتركة موجودة في كثير من اللغات. والذين أثبتوا المشترك في العربية أطلقوا عليه مصطلح (الأشباه والنظائر) كتب فيه المبرد (ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد)، وكتب أيضاً السيوطي (معترك الأحزان في إعجاز القرآن) ومن الأمثلة في ذلك لفظة (الهدى) التي لها أكثر من عشرة معاني منها (الثبات) في قوله تعالى: (آهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [الفاتحة: 6]، ومنها (التبيان) في قوله تعالى: (أَوَلَيْكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ) [البقرة: 5]، ومنها (الدين) في قوله تعالى: (إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ

³² ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تج: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 2007، ص 24.

³³ وهذا قول ينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه.

³⁴ الصحاحي، ص 59

أَلْهَدَى) [البقرة: 120]. ولعلَّ أسباب حدوث المشترك هي نفسها أسباب حدوث المترادف (القبائل واللّهجات)، أمّا منكره فيقولون إنّ اللفظة الأولى لها معنى أصلي وهو الحقيقي وما بعدها مجاز.

3 - الأضداد: وهما المعنيان المتضادّان في لفظة واحدة كالْبَصِير الذي يطلق على من يرى وعلى الأعشى، والذين أثبتوا الأضداد من اللّغويين والأصوليين لهم حجّتهم الثّقيلة؛ حيث ورد في القرآن الكريم فعل (ظن) الذي يدل تارة على اليقين كقوله تعالى: (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) [يوسف: 42]، وتارة على الشك كقوله تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) [الحجرات: 12]، ومن مؤيدي وجود الأضداد في العربيّة الأصمعي وابن السكيت وابن دريد وغيرهم كثير. وقال بعضهم إنّ عدد الألفاظ المتضادة محدود جدا قد يصل إلى اثنتين وعشرين (22) كلمة، وأوصل بعضهم عدده إلى المئة كالأصمعي وغيره.

2. الفكر الرياضي عند الخليل في معجم العين: أشهر ما تميز به كتاب العين للخليل هو ما توصل إليه من ضبط عدد الألفاظ العربيّة وعدّها وإحصائها بدقة متناهية باتخاذ منهجا رياضيا حسابيا إحصائيا مكّنه من حصر الكلمات العربيّة كلها، وكانت النتيجة أنّ عدد ألفاظها بلغ (12305412) اثنتي عشر مليون وثلاث مئة وخمسة آلاف وأربع مئة واثنتي عشرة لفظة بالضبط دون زيادة أو نقصان. وعندما أنهى كتابه قال كلمته المشهورة: "هذا آخر كلام العرب"³⁵، فكيف وصل الخليل إلى هذه النتيجة؟

ببساطة لقد انتبه الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى خاصيّة رياضيّة عجيبة لا تعرفها إلا العربيّة وهذه الخاصيّة هي طبيعة الأبنية للفظّة العربيّة التي تتسم بالمنطق الرياضي، فكل ألفاظ العربيّة لا تخرج من كونها ثنائيّة أو ثلاثيّة أو رباعيّة أو خماسيّة. كلّ بنية لها دلالة منفصلة عن الأخرى، بجذرها وجنسها وشكلها فاستنتج الخليل من هذه الميزة التي تشترط موافقة الصّوت لحرفه المكتوب (أي كلّ صوت يقابله حرف واحد مخصوص) أنّه يمكن ضرب الحروف الثمانيّة والعشرين (28) في الأبنية الأربعة للعربيّة (الثنائي والثلاثي والرّباعي والخماسي)، وباستعمال نظام التّقليبات الذي يحدّد عدد الألفاظ لكلّ بنية (أبنية الثنائي = 2 مثل: مع، عم) (وأبنية الثلاثي = 6 مثل: دخل، دلخ، خلد، خدل، لدخ، لخد) (وأبنية الرّباعي = 32) (وأبنية الخماسي = 50)؛ للوصول إلى النّتائج الحسابيّة الآتيّة:

✓ استخرج من الثنائي 756 كلمة، وهونائج 28 ضرب 27 دون حساب الأبنية المكررة وهي 28 بنية مثل: (أ) (ب ب)؛

✓ ومن الثلاثي: استخرج 9000650 كلمة (تسعة ملايين و650 كلمة)؛

✓ ومن الرّباعي: استخرج 491400 كلمة (أربع مئة و91 ألفا و400 كلمة)؛

✓ ومن الخماسي: 11793600 (أحد عشر مليون و793 ألف و600 كلمة).

³⁵ قال ابن فارس مشككا: "وما بلغنا أنّ أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللّغة كلّها. فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قوله: "هَذَا آخر كلام العرب" فقد كان الخليل أروع وأتقى لله جلّ ثناؤه من أن يقول ذلك، الصّاحبي: ص24.

المجموع العام: 12.305.412 كلمة ومثل هذا الحساب نقله ابن دريد في الجوهرة وبسطه قائلاً: "إذا أردت أن تؤلف بناءً ثنائياً أو ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ثم أدر دائرة³⁶ فوق ثلاثة أحرف حوالها ثم فكها من عند كل حرف يُمنه ويُسرّه حتى تُفك الأحراف الثلاثة فيخرج من الثلاثي ستة أبنيّة وتسعة أبنيّة ثنائية...، فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا عنه.³⁷ أي حصر المستعمل من الألفاظ والمهمل منها.

ثانياً: الخاصية الصرفية والاشتقاقية:

أما الصرفية فظاهراً أن اللغة العربية تركز على الأبنيّة خلافاً للغات العالم، وهذه الميزة التي تجمع بين علمي الصوت والصرف تمكن اللغة العربية من معاشة كل الأحوال الدلالية. فحروف العربية معدودة، وأبنيّتها محدودة وحتى أحوالها والتغيرات التي تطرأ عليها محدودة، وقد أجاد ابن دريد في مقدمة الجوهرة في عرض خصائص بنيّة الكلمة العربية إجابة فائقة من شأنها أن تكون دستوراً لعلمي الأصوات والصرف، يقول في عد الحروف: "اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون حرفاً مرجعاً إلى ثمانية وعشرين حرفاً، منها حرفان مختص بهما العرب دون الخلق، وهما الظاء والحاء..."³⁸، ويمضي ابن دريد في الحديث عن الحروف الزوائد وحروف العلة وأجناس الحروف وصفاتها ومخارجها وما يتألف منها وما يختلف إلى غير ذلك من خصائص الحرف العربي، ومن أمثلة وصفه قوله: "وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَلْفَ وَالْيَاءَ وَالْوَاوَ أُمّهَاتُ الزَّوَائِدِ لِأَنَّهِنَّ حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ وَمِنْهُنَّ الْحَرَكَاتُ فَلَا تَخْلُو الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْضِهِنَّ فِي الْخَمَاسِيِّ وَالْمُلْحَقِ بِالسَّدَاسِيِّ خَاصَّةً وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الرَّبَاعِيِّ. وَالْوَاوُ لَا تَزَادُ أَوْلَا الْبَيْتَةِ وَلَكِنْ تَزَادُ ثَانِيَةً فِي كَوْنِهَا، وَثَالِثَةً فِي عَجُوزِهَا، وَرَابِعَةً فِي تَرْقُوتِهَا، وَخَامِسَةً فِي قَلْبِهَا. وَالْيَاءُ تَزَادُ أَوْلَا فِي يَضْرِبٍ وَيَرْمَعٍ وَيَرْبُوعٍ، وَثَانِيَةً فِي زَيْبٍ وَحِيدٍ، وَثَالِثَةً فِي رَغِيفٍ، وَرَابِعَةً فِي قَنْدِيلٍ، وَخَامِسَةً فِي مَنْجْنِيقٍ، وَلَا تَكُونُ الْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلًا فِي ذَوَاتِ الْأَرْبَعَةِ إِلَّا فِي شَيْءٍ مِنَ التَّكْرِيرِ"³⁹، وعلى هذا المنوال يحلل ابن دريد بنيّة الكلمة وكأنك تدرس مسألة رياضية بحثة، فبعد ذكره للأبنيّة يتحدث عن ميزة كل بناء من حيث أصواته ودلالته فيقول: "وَأَعْلَمُ أَنَّ أَحْسَنَ الْأَبْنِيَةِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَبْنُوا بِامْتِزَاجِ الْحُرُوفِ الْمُتَبَاعِدَةِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ بِنَاءً رِبَاعِيًّا مَصْمُومًا الْحُرُوفُ لَا مَزَاجَ لَهُ مِنْ حُرُوفِ الدَّلَاقَةِ إِلَّا بِنَاءً يَجِيئُكَ بِالسَّيْنِ، وَهُوَ قَلِيلٌ جَدًّا، مِثْلُ عَسْجَدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّيْنَ لَيْنَةٌ وَجَرَسُهَا مِنْ جَوْهَرِ الْغِنَةِ فَلِذَلِكَ جَاءَتْ فِي

³⁶ أي دائرة أو مثلثاً، فتضع على كل رأس من المثلث حرفاً، ثم تقرأ اللفظة من اليمين إلى اليسار مبتدئاً بكل حرف على حدة، ثم تكرر العملية من اليسار إلى اليمين فتحصل على جميع الأبنيّة من الثلاثي الواحد، فيه المستعمل والمهمل. وقد سماه ابن جني الاشتقاق الكبير.

³⁷ انظر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تج: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ج1، ص58.

³⁸ ابن دريد، الجوهرة، تج: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، ج1، ص41.

³⁹ نفسه، ص48.

هَذَا الْبِنَاءُ. فَأَمَّا الْخَمَاسِي مِثْلُ فَرْزْدَقٍ وَسَفْرَجِلٍ وَشَمْرَدَلٍ فَإِنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ وَاحِدَةً إِلَّا بِحَرْفٍ وَحَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ مِنْ مَخْرَجِ الشَّفَتَيْنِ أَوْ أَسْلَةِ اللِّسَانِ فَإِنْ جَاءَكَ بِنَاءٌ يُخَالِفُ مَا رَسَمْتَهُ لَكَ مِثْلُ دَعَشَقٍ وَضَعْتَجٍ وَحَفَاضَجٍ وَصَفْعَجٍ، أَوْ مِثْلِ عَقْجَشٍ وَشَعْفَجٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فَارِدَدُهُ.⁴⁰

وَأَمَّا الْاِشْتِقَاقُ: فَهُوَ سَبِيلُ تَوْلِيدِ الْأَلْفَاظِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهِيَ خَاصِيَّةٌ أَيْضًا لَا تَعْرِفُهَا تَقْرِيْبًا إِلَّا الْعَرَبِيَّةُ وَبَعْضُ اللَّغَاتِ السَّامِيَّةِ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

1. الْاِشْتِقَاقُ الْأَصْغَرُ: وَطَرِيقَةُ مَعْرِفَتِهِ هُوَ تَقْلِيْبُ تَصَارِيْفِ الْكَلِمَةِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْهَا إِلَى صِيْغَةٍ هِيَ أَصْلُ الصَّيْغِ كُلِّهَا مِثْلُ (فَعَلَ)، فَإِنَّهُ دَالٌ عَلَى مَطْلُقِ الْفَعْلِ، أَمَّا فَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ وَيَفْعَلُ وَأَفْعَلُ: فَكُلُّهَا أَكْثَرُ دَلَالَةٍ وَأَزِيدُ حُرُوفًا، لَكِنَّمَا تَحْمِلُ مَعْنَى مَحْوَرِيَا وَاحِدًا هُوَ فَعَلَ (فَعَلَ).

2. الْاِشْتِقَاقُ الْكَبِيرُ: وَقَدْ سَمَاهُ ابْنُ جَنِي الْاِشْتِقَاقَ الْأَكْبَرَ وَعَقَدَ لَهُ بَابًا مُنْفَرِدًا قَالَ فِيهِ " وَإِنَّمَا هَذَا التَّلْقِيْبُ لَنَا"⁴¹ بَعْدَمَا أَشَارَ إِلَى أَنَّ شَيْخَهُ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِ وَيَخْلُدُ إِلَيْهِ. وَعَرَفَ ابْنُ جَنِي هَذَا الْاِشْتِقَاقَ قَائِلًا " أَنَّ تَأْخِذَ أَصْلًا مِنَ الْأَصُولِ الثَّلَاثِيَّةِ فَتَعْقِدُ عَلَيْهِ وَعَلَى تَقَالِيْبِهِ السَّتَّةَ مَعْنَى وَاحِدًا"⁴²، وَضَرَبَ مِثَالًا بِتَقْلِيْبِهِ لِمَادَةِ (ك ل م) (ك م ل) (م ل ل) (ل م ل) (ل ك ل) (ل ك م) (ل م ك)، وَأَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي تَتَقَلَّبُ فِيهِ هَذِهِ الْمَوَادُّ هُوَ الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ. أَمَّا مَادَةُ (ق و ل) (ق ل و) (ل ق و) (ل و ق) (و ق ل) (و ل ق): فَمَدَارُهَا حَوْلُ الْإِسْرَاعِ وَالْخَفَةِ. وَتَرَكَيبُ (ج ب ر) تَفِيدُ الْقُوَّةَ وَالشَّدَّةَ، وَتَرَكَيبُ (ق س و) تَفِيدُ الْقُوَّةَ وَالْاجْتِمَاعَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْخَصَائِصِ.

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ التَّقْلِيْبَاتِ السَّتَّةَ تَفْطِنُ إِلَيْهَا الْخَلِيلُ قَبْلَ ابْنِ جَنِي بِقُرُونٍ، إِلَّا أَنَّ الْخَلِيلَ لَمْ يُشِرْ إِلَى فِكْرَةِ الْاِشْتِقَاقِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْخَلِيلَ وَضَعَ مَعْجَمَهُ الْعَيْنَ مُعْتَمِدًا عَلَى هَذِهِ التَّقْلِيْبَاتِ، وَهِيَ الَّتِي مَكْنَتُهُ مِنْ إِحْصَاءِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا (الْمُسْتَعْمَلُ مِنْهَا وَالْمُهْمَلُ) وَمِثْلُ ذَلِكَ فَعَلَ ابْنُ دَرِيدٍ صَاحِبُ الْجُمْهُرَةِ.

3. الْاِشْتِقَاقُ الْأَكْبَرُ: وَسَمَاهُ ابْنُ جَنِي بَابَ (تَعَاقِبِ الْأَلْفَاظِ لِتَعَاقِبِ الْمَعَانِي)، وَهُوَ أَنْ تَوَافَقَ لَفْظَةٌ لَفْظَةً أُخْرَى فِي الْمَدْلُولِ مَعَ اخْتِلَافٍ تَامٍ لِلْأَصْوَاتِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ تَتَقَارَبُ فِي الصَّفَةِ أَوِ الْمَخْرَجِ فَيَقُولُونَ مِثْلًا فِي مَادَتِي (ع ص ر) وَ (أ ز ل) أَنَّهُمَا مُتَقَارِبَتَانِ لِأَنَّ الْعَيْنَ أَخْتُ الْهَمْزَةِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصَّادُ أَخْتُ الرَّأْيِ وَالرَّاءُ أَخْتُ اللَّامِ وَسَمِي ذَلِكَ تَنَاوُبًا، وَمِثْلُ ذَلِكَ تَنَاوُبُ اللَّامِ وَالرَّاءِ وَفِي هَدِيلِ الْحَمَامِ وَهَدِيرِهِ، وَتَنَاوُبُ الْقَافِ وَالْكَافِ فِي كَشَطِ الْجِلْدِ وَقِشَطٍ وَغَيْرَ ذَلِكَ، هَذَا مِنْ حَيْثُ الْمَخْرَجُ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ الصِّفَاتِ فَيُضْرِبُونَ مِثَالًا بِتَنَاوُبِ الصَّادِ وَالسَّيْنِ فِي سَقْرٍ وَصَقْرٍ، وَالسَّرَاطِ وَالصَّرَاطِ، وَسَاطِعٌ وَصَاطِعٌ... إلخ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ يَجْعَلُونَ هَذَا الْإِبْدَالَ الْمَكَانِي مِنْ مَزَايَا الْعَرَبِيَّةِ؛ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ أَنْبَسَ يُوْعِزُونَ ذَلِكَ إِلَى تَطَوُّرِ صَوْتِي وَقَعَ فِي اللَّفْظَةِ عَلَى مَدَى سَنِينَ طَوِيلَةٍ، فَاحْتَفِظَ اللَّسَانُ بِالْأَصْلِ وَالْفَرْعِ مَعًا، وَهُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي رَجَحَهُ صَبْعِي الصَّالِحُ أَيْضًا.⁴³

⁴⁰نفسه، ص 49.

⁴¹الخصائص، ج 2 ص 135

⁴²نفسه، ج 2 ص 136

⁴³انظر دراسات في فقه اللغة، ص 2013

4. الاشتقاق الكبار (النَّحْت): قال ابن فارس في باب النَّحْت: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة)، وهو جنس من الاختصار وذلك: رجل عبشي منسوب إلى اسمين (يقصد عبد شمس)، ومنه الحيلة: أي حي على الصَّلَاة، والحويلة أي لا حول ولا قوَّة إلا بالله.

هذا بالإضافة إلى أن العربيَّة لها خصائص أخرى لا تعرفها كثير من اللِّغات كالإعراب، قال الخليل "وأعرب الرَّجُل أفصح القول والكلام".⁴⁴، ويحدد ابن فارس الوظيفة الدَّقيقة للإعراب فيقول: "فإن الإعراب هو الفارق بَيْنَ المعاني. ألا ترى أن القائل إذا قال: "مَا أَحْسَنَ زيد" لَمْ يَفَرِّقَ بَيْنَ التَّعَجُّب والاستفهام والدَّيْمُ إِلَّا بِالْإِعْرَابِ"⁴⁵. ويجعل ابن فارس الإعراب من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب، فهو "الفارق بَيْنَ المعاني المتكافئة في اللَّفْظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُزِّى فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنَعَوْتَ، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْرٌ من مصدر، ولا نَعْتُ من تأكيد".⁴⁶، ويحتوي هذا الفن على مئات المصطلحات التي وضعها الأوائل في مدارس نحويَّة مضبوطة أهمها مدرستا البصرة والكوفة ثم مدرسة بغداد، والأندلس، والشَّام ومصر.

ثالثًا: الدَّلالة الخطيَّة للحرف العربي:

بالمقارنة مع اللِّغات الأخرى نجد أن الحرف العربيَّ يمتاز بخاصيَّتين:

الأولى: أن لكلَّ حرف معنى في ذاته، ومعنى مع غيره

الثانية: أن لكلَّ حرف صورة خطيَّة واحدة

أمَّا الأولى فيسميها القدماء مناسبة الحروف لمعانيها، وهذه خاصيَّة عجيبة لا تعرفها إلا اللِّغة العربيَّة وقد أثبت علماء اللِّغة العربيَّة في النَّحو والبلاغة والمعجم وفقه اللِّغة وحتى المفسرون أن هناك مناسبة واضحة بين حروف العربيَّة ومعانيها، والمقصود بمناسبة الحروف لمعانيها، أن الحرف العربيَّ يحمل معنى في ذاته، كأن تقول ما معنى حرف الباء؟ أو ما معنى حرف الجيم؟ وما معنى حرف السين؟ وقد ذكر ابن جنِّي أن الخليل وسيبويه تنبها لهذه المسألة فقال الخليل "صر الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة، فكأنهم توهَّموا في صوت الجندب مدا، وتوهَّموا في صوت الأخطب ترجيعا ونحو ذلك كثير مختلف".⁴⁷ ومن أمثلة ذلك:

● الفرق بين صعد وسعد: فلما كانت الصَّاد أقوى جعلوها لصعود الجبل والحائط، وجعلوا السين خفيفة وضعيفة لأنه لا يشاهد من السَّعادة شيء، إلا أنها تفيد أيضا الصَّعود في الحس ممَّا يدل على الفرح:

⁴⁴ العين، (ع رب)

⁴⁵ الصَّاحبي، ص35

⁴⁶ نفسه، ص43

⁴⁷ العين، ج1، ص57

- الفرق بين سدّ وصدّ: فالسدّ للباب والصدّ جانب الجبل؛
- الفرق بين (ق ت ر) (ق ط ر) (ق د ر): فالتاء خافية والطاء سامية والدال بينهما؛
- وانظر الفرق بين الوسيلة والوصيلة، والتّوسل والتّوصل، والتّضج والنّصح، وجذب وجبد، وشنق وخنق وغير ذلك كثير.

بالإضافة إلى ذلك وجدنا أن كثيرا من الحروف تحمل معناها الخطي سواء كان الحرف مكتوبا منفردا أم مع غيره فشكل الجيم مثلا (ج) يدل على الشّيء الضّخم، فنجد في ألفاظ مثل: (موج، جبل، جمل)، والحاء تشبه الموجة أيضا فنجدها في (بحر، محيط) وتشبه (جناح، حمامة، حركة)، والراء يدل على الحركة فنجد في (سار، كر، فر، هرب، جرى)، ونجد شكل السين (س) في لفظة كالسّكين والأسنان وهي أشياء يعبر عنها شكل السين ذاته، وشكل القاف (ق) تدل عليه لفظة قفل، قرص، قرط، رقبة، عنق، قوس إلخ...

أما الثّانية: فلكل صوت عربي صورة واحدة فقط بخلاف اللّغات الأخرى، فتقول مثلا: رجل، فتكتبها كما تسمعها هكذا (ر ج ل)، وفي الفرنسيّة مثلا تقول: mesieu وتكتبها: monsieur فتلاحظ ألا علاقة بين المنطوق والمكتوب، وهذا الذي سنركز عليه في المطلب الآتي والأخير.

عودة إلى الذّكاء الاصطناعي: بعدما أثبتنا الصّبغة الرياضيّة والمنطقيّة للغة العربيّة من حيث حصر عدد حروفها (28 حرفا)، وحصر حروف العلة (3 حروف ألف الواو الياء)، وحصر حركاتها (3 حركات: الفتحة والضّمة والكسرة)، وحصر أبنيّتها (4 أبنيّة: الثّنائي والثلاثي والرّباعي والخماسي)، وحصر ألفاظها (12.305.412 لفظة) طرح السّؤال الآتي: كيف لم تستطع الآلة أن تتكيف مع خصائص العربيّة في التّرجمة الصّوتيّة الآليّة فلا نجد المطابقة الدّقيقة للتّرجمة الحرفيّة الآليّة؟

ننبّه هنا أنّنا لا نتحدث عن ترجمة النّصوص من العربيّة وإليها فذلك أمر آخر له دراساته ونماذجه التّطبيقيّة وعوائقه اللّسانيّة خاصّة التّركيبية والبلاغيّة، نحن نتحدث عن التّرجمة الصّوتيّة الآليّة والآنيّة فقط للكلمة العربيّة، وهذا التّوجه الذي تعرفه كثير من التّطبيقات في المحمول ووسائل التّواصل الاجتماعيّ والحواسيب هو المطلوب الآن حلّ مشاكله، في ظلّ الصّراع والتّنافس اللّغويّ الكبير الذي يعرفه العالم لأسباب اقتصاديّة بحتة (أغلبها سياحيّ وتواصليّ). نحن نريد أن نعرف لماذا يستطيع الحاسوب أن يكتب جملة فرنسيّة صحيحة يسمعها صوتيا مثل قولهم:

le monsieur va au travaille avec sa fille et son fils

فيكتبها كتابة صحيحة بالرّغم من الاختلاف الكبير بين المنطوق والمكتوب، والأصل أن يكتب الجملة صوتيا هكذا إن صحّ المثال:

le mesieu va o travaie avec sa fie e son fis

أو هذا المثال: wagon, compagne, est, et, aujourd'hui, temps,

والأصح أن نكتبها صوتيا هكذا على التّوالي: wagon, companye, é, é, ojourdoui, ton

مظاهر لا منطقية الكتابة في اللغة الفرنسية: الكل يعلم أنّ الفرنسية وكثير من اللّغات الهندو-أوروبية تعاني من عدم تطابق الصّوت للحرف، وهذا عائق لغويّ كبير تعيشه هذه اللّغات، ومنذ قرن كان دوسوسير قد دق ناقوس الخطر في مقدمة كتابه دروس في اللّسانيّات العامّة، حين سجل تلك العوائق وسماها أوهاما، وقال إن همنا الأساس " أن نعرف ما هو العون الذي يمكن اللّسنّيين أن ينتظروه من هذا العلم (ويقصد الفنولوجيّة) حتى يتخلصوا ممّا تتسبب فيه الكتابة من أوهام"⁴⁸. وصرح بأن أسس الكتابة الحقيقيّة " ينبغي أن يكون القصد منها تمثيل كلّ عنصر من السّلسلة المنطوقة بعلامة واحدة"⁴⁹

Quels sont les principes d'une véritable écriture phonologique ? Elle doit viser à représenter par un signe chaque élément de la chaîne parlée. P44

يقول دوسوسير: "وقد يطول بنا الحديث إن نحن حاولنا أن نقيم جدولا نرتب فيه ما في الكتابة من اضطرابات وخلل، ومن أتعسها رسمهم للصوت الواحد بعلامات عديدة، فإنك تجد لصوت الجيم في الفرنسية ثلاث صور وهي: ge, g, z... ولصوت الزّاي صورتين، ولصوت السّين ثمان صور وهي: s, c, ç, nation, chasser, sc, sc, dix 50

Il serait trop long de classer les inconséquences de l'écriture. Une des plus malheureuses est la multiplicité des signes pour le même son.... etc. P39

فهو يتعجب ويصف تعدد العلامات لصوت واحد بالتّعاسة اللّغويّة، يقول متعجبا في موضع آخر: "ولئن كان لهذه الصّور الخطيّة اللّامنطقيّة ما يناسبها في اللّغة وإن قليلا، فإنه توجد صور خطيّة أخرى ليس لها من مبرر إطلاقا، فليس في الفرنسية اليوم حروف مضاعفة إلا في صيغ التّصريف القديمة الدّالة على المستقبل كما في mourrai و courrai. ورغم ذلك فإن صور رسمهم في الفرنسية تعج بحروف مضاعفة لا مبرر لها كما في bourru و sottise و souffrir وغيرها."⁵¹

⁴⁸ دوسوسير، دروس في اللّسنّية العامّة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا - تونس، ط1، 1986،

ص62

⁴⁹ م ن، ص 63

50 م ن، ص 55

⁵¹ م ن، ص 55

Le français actuel n'a pas de consonnes doubles, sauf dans les futurs anciens mourrai, courrai : néanmoins, notre orthographe fourmille de consonnes doubles illégitimes (bourru, sottise, souffrir, etc.). P39

ويعترف دوسوسير أن النتيجة البديهية لهذه الكتابة هي أنها " تقيم بيننا وبين اللغة حجابا يمنعنا من رؤيتها كما هي، وذلك أن الكتابة ليست ثوبا عاديا تلبسه اللغة؛ بل هي قناع خداع تتنكر فيه، ويتجلى لنا هذا في صورة رسمهم للكلمة الفرنسيّة oiseau : حيث لم يرسموا أيّ صوت من أصوات الكلمة المنطوقة: waso بواسطة دليله الخاصّ به، فلم يبق شيء من الصّورة الحقيقيّة للغة"⁵².

Le résultat évident de tout cela, c'est que l'écriture voile la vue de la langue : elle n'est pas un vêtement, mais un travestissement. On le voit bien par l'orthographe du mot français oiseau, où pas un des sons du mot parlé (wazo) n'est représenté par son signe propre ; il ne reste rien de l'image de la langue. P40

لماذا سردنا كلّ هذا؟

لكي نؤكد أن اللّغويين الفرنسيين والمهندسين وخبراء الذكاء الاصطناعيّ بذلوا جهودا مضنيّة لتخطي هذه الصّعاب فاستطاعوا أن يتجاوزوا كلّ تلك العقبات الصّوتيّة، واستطاعوا أن يهزموا الآلة ويخضعوها لمعادلات وخوارزميّات وتطبيقات تخدم لغتهم وتعززها في السّوق والاقتصاد والسّياحة والسّياسة، أليست العربيّة بخصائصها المائزة جديرة بأن تحتل المكانة نفسها أمام الفرنسيّة مثلا؟

الخاتمة: أردت من هذه الورقة البحثيّة أن أثبت ما يأتي:

1. أنّ اللّغة العربيّة لغة رياضيّة ومنطقيّة بامتياز؛
2. يمكن للّغة العربيّة أن تتجاوز كثيرا من الصّعوبات التقنيّة في الذكاء الاصطناعيّ إذا ما تم استغلال الصّبغة الرّياضيّة التي تتلاءم مع خوارزميّات الحاسوب؛
3. الصّبغة الرّياضيّة تتمثّل في حروفها المحدودة (28)، وأبنيتها الصّرفيّة المحدودة (4)، وصيغها الاشتقاقية، وعدد كلماتها المضبوطة (12.305.412)؛
4. أثبتنا أنّ اللّغات الهندو-أوروبيّة -ومن بينها الفرنسيّة- تعاني معاناة قاسية في جانبها الصّوتي، وقد أدرك دوسوسير هذه المعاناة التي وسّمها بالوهم في مقابل الصّورة الخطيّة؛
5. وإذا أكدنا أنّ الفرنسيّة مثلا تمكنت من تجاوز العوائق في الذكاء الاصطناعيّ بالرّغم من لامنطقيّتها؛ فإنّ العربيّة أيضا يمكنها أن تتجاوز تلك العوائق وتتفوّق على الآلة، وتجد حلولاً لتلك الصّعوبات نظرا لاتصافها بالمنطق والرياضيّات فضلا عن ليونتها ومرونتها وسهولة اندماجها مع الآلة؛
6. ثراء اللّغة العربيّة من حيث ألفاظها لا يشكل عائقا في التّرجمة النصيّة كما يزعم البعض؛

7. وتدعو الورقة إلى نبذ كلّ انتقاد يثبط عزيمة القائمين على تطوير اللّغة العربيّة من لسانيّين ومترجمين ومهندسين وخبراء الذّكاء الاصطناعيّ لجعل الآلة طيعة وليّنة تقبل كلّ ما تسمعه من أصوات عربيّة؛

8. عندما تحاور أيّ برنامج في الذّكاء الاصطناعيّ (شات ج ب ت) مثلاً، فإنه لا يجد أي صعوبة في مناقشتك بالعربيّة وبعدها مستويات، وقد يجيبك على أي مسألة لغويّة تخطر بالبال دون عائق ممّا يبطل مزاعم (صعوبة العربيّة في تعاملها مع الحاسوب).

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

1. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008.
2. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4، دت.
3. الجوهريّ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملّتين، بيروت، ط1، 1987.
4. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.
5. ابن دريد، الجمهرة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملّتين، بيروت، ط1، 1987.
6. دوسوسير، دروس في الالسنّيّة العامّة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا - تونس، ط1، 1985.
7. ابن سيّدة، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1، 2000.
8. السيّوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1997.
9. صبيح الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملّتين، ط1، 1960.
10. ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2007.
11. أبو هلال العسكري، التّليخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: الدّكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والتّرجمة والنّشر، دمشق، ط2، 1996.
12. هند الخليفة، مقدمة في الذّكاء الاصطناعيّ التّوليدي، منشورات إيوان البحثيّة، الرّياض، ط1، 2023.

الترجمة: جسر الحضارات وتلاقح الثقافات

الأستاذ الدكتور عبد القادر فيدوح

جامعة سعيدة

عضو الهيئة الاستشارية بأكاديمية الوهراني

للدراسات العلمية والتفاعل الثقافي/الجزائر.

المقدمة: تُعدّ ظاهرة تلاقح الثقافات من أهم العوامل التي أسهمت في بناء الحضارات عبر التاريخ. فالحضارات العظيمة سواء كانت الرومانية، الإسلامية، أم الصينية، لم تنشأ في عزلة؛ بل كانت نتاج تفاعل ثقافي غني بين شعوب ومجتمعات مختلفة. يُبرز هذا الموضوع القيم أهميّة تبادل الأفكار، والمعارف بين الثقافات في تعزيز الإبداع، التقدم العلمي، والتنمية الاجتماعية، مع تسليط الضوء على الأمثلة التاريخية والمعاصرة.

ظاهرة تلاقح الثقافات ليست مجرد ظاهرة ثانوية في مسيرة البشرية؛ بل هي النسيج الخفي الذي نسج قصة الحضارة الإنسانية بكلّ تعقيداتها وإنجازاتها. فالحضارات العظيمة التي نعرفها، من روما القديمة إلى الحضارة الإسلامية والصينية، لم تكن جزراً منعزلة تفاخر بصفاء هويتها؛ بل كانت وليدة لقاءات متعدّدة بين الشعوب، ونتيجة حتمية لتفاعل غني ومستمر بين المعتقدات والفنون والعلوم. هذا التلاقح، الذي يحدث عبر قنوات متشعبة كالتيجارة والهجرة والفتوحات والحوار الفكري، لا ينقل merely المعرفة التقنية أو الأساليب الفنية؛ بل يخلق كائنات ثقافية هجينة جديدة، تتفوق أحياناً على أصولها. فهو المحرك الخفي وراء طفرات الإبداع، والقفزات العلمية، والنهضات الاجتماعية التي غيرت وجه التاريخ. ورغم أن هذا التلاقح يحمل في طياته مخاوف مشروعة من ذوبان الهوية أو صراع القيم، إلا أن تاريخنا يقدم أدلة دامغة على أن أكثر المجتمعات ازدهاراً هي تلك التي تعلمت فن استيعاب الآخر وإدماجه في نسيجها، لا قمعه أو إنكاره. فطريق الحرير لم ينقل الحرير والتوابل فحسب؛ بل نقل البوذية والرياضيات، والأندلس لم تكن فقط أرضاً للتعايش بل كانت مختبراً أنتج فلسفات جديدة وفناً معمارياً مذهلاً. اليوم، في عصر العولمة المتسارع، لم يعد التلاقح خياراً بل هو واقع مفروض. فشبكات الإنترنت والهجرة الواسعة حوّلت مدننا إلى بوتقات انصهار ثقافي، تنتج أشكالاً فنية عالمية ك"البوب الكوري" الذي يمزج بين الألحان الغربية والجمالية الشرقية.

الخيار الوحيد أمامنا ليس كيف نوقف هذا التلاقح؛ بل كيف نُديره بذكاء. فالمستقبل لا ينتهي إلى الثقافات "النقية"؛ بل إلى تلك القدرة على الانفتاح والحوار، على تعلم لغات الآخر وفنونه، وعلى بناء جسور المشاريع الثقافية المشتركة. باختصار، التلاقح الثقافي هو الوقود غير المرئي للحضارة، وهو الضامن

الوحيد لاستمرارها، شرط أن نتعلم فن الاستفادة من تنوعنا لا الخوف منه، لكتابة فصل جديد من فصول ازدهارنا المشترك.

وفي ضوء ذلك يتحرك المترجم إذن في إطار مجموعة من العناصر التي تؤثر على عملية الترجمة (النص المصدر وقارئ النص المترجم، والوسط الاجتماعي للنص المصدر والوسط الثقافي الاجتماعي للنص الهدف وعصر النص المصدر وعصر النص الهدف والمتلقي في اللغة الأصل والمتلقي في اللغة الهدف، والمرسل في اللغة الأصل والمرسل في اللغة المترجم إليها).

وانطلاقاً من الوضع الذي على المترجم (ككتاب وكمرسل في آن معاً) وما يجب عليه مراعاته عند نقل النص إلى اللغة الهدف من اللغة المصدر نحاول تبين الأمر الثاني، وهو دور المتلقي. ففي هذا المقام يقف أمام اثنين من المتلقين: أبرزهما المترجم الذي يعتبر المتلقي للنص المصدر والذي يرتبط فهمه له بأبعاده المختلفة: طبيعة النص في لغته والغاية منه ومحيطه⁵³. ترسم المفاهيم خرائط الفكر وتُجسّد مسالك الوعي، فلا تكون مجرد ألفاظ معلقة في الهواء؛ بل شواهد حيّة تختزن تاريخاً طويلاً من التجارب وتمنح اللغة لونها وملمسها وذاكرتها. وحين تُنقل إلى لغة أخرى، لا يحدث ذلك ببراءة؛ بل يكون امتحاناً عسيراً يضع المترجم أمام مفترق طرق: أمّا أن يلتقط الروح في دفعها الأصلي فيمنحها حياة جديدة، أو أن يستسلم لإغواء الظاهر فيسطح المعنى ويفرغه من عمقه. ومن هنا تتجلى الترجمة كجسر للتفاعل الثقافي إذ لا تكتفي بتمرير الكلمات؛ بل تعبر بالمعنى إلى أفق آخر حيث تتقاطع الثقافات وتتجاوز الهويات. وحين تنجح الترجمة في الوفاء بروح النص، تتحول إلى لقاء خلاق بين الذاكرات، وإلى فضاء خصب يتسع للاختلاف ويحوّله إلى حوار، وبذلك تغدو أداة حضارية تُعيد تشكيل الوعي وتفتح آفاقاً جديدة للتثاقف والإبداع.

هنا تكمن حقيقة الترجمة: ليست مجرد جسر من كلمات؛ بل هي عبور للروح في لبوس جديد. إنها الإصغاء إلى همس النص في لغته الأولى، ثم إعادة إنشائه بلغة أخرى دون أن تفقد الروح نبرتها أو إشارتها الخفية. فإذا غابت هذه الحساسية، تحوّل الجسر إلى عائق، والعبور إلى قطيعة؛ حيث يتسلل الالتباس متخفياً في ثوب الحقيقة، ويستقر في الوعي كمعنى مزيف؛ ولعل أكثر ما يكشف هذا البعد هو تعاملنا مع لغة العلم. نحن نعيش في زمن تحكمه هيمنة الخطاب العلمي، لكننا في الغالب نتعامل معه بوصفه سلعة جاهزة، صورة صلبة لا روح لها، فنأخذ النتائج دون أن نسأل سياقاتها ولا مقدماتها، ونحمل المصطلحات كما لو كانت شواهد حجرية منفصلة عن ينبوعها. هنا يتجلى الفارق بين الترجمة الحقيقية والترجمة المبتورة: الأولى تعيد الحياة للمفهوم وتمنحه نفساً جديداً في فضاء آخر، أمّا الثانية فلا تُنتج سوى صدى باهت لقول غريب.

⁵³ ينظر، حاتم باسل وسميت، الخطاب والمترجم، ترجمة عمر عطاري، جامعة الملك سعود - الرياض، 1988، ص 654، 655.

لهذا يغدو النّقد شريكاً لا ينفصل عن فعل التّرجمة، فكلاهما وجهان لعبور واحد. النّقد يفكك التّباسات المعنى ويضيء العتمات التي قد تلتبس على المترجم أو المتلقي، والغاية ليست التّرجمة في ذاتها؛ بل إتاحة مجال لتلاقح حيّ بين العقول. إننا لا نترجم كي ننقل الكلمات وحسب؛ بل لكي نُعيد فتح الأفق على إمكانات لم تكن مرئية. فالمعنى ليس حجراً ثابتاً؛ بل كائن حيّ لا يتوقف عن الحركة، والتّرجمة هي التي تمنحه فرصة أخرى للولادة، في لغة أخرى، وفي وعي آخر.

وهكذا، تصبح التّرجمة فعل خلق متجدد، لقاءً بين المختلفين لا يطمس الاختلاف بل يخصبه، ومعبراً يفضي إلى أن الثقافة لا تكتمل إلا بقدرتها على استقبال الآخر واستنطاقه، لا بتمركزها حول ذاتها. فهي جسر، نعم، ولكن ليس جسراً من حجر أو من حجر فحسب؛ بل جسراً من روح إلى روح، ومن ذاكرة إلى ذاكرة، ومن حلم إلى حلم.

ومما لا شكّ فيه أن التّرجمة قد اضطلعت بدور كبير في التّفاعل الثقافيّ على صعيد الفلسفة والعلوم فسرعان ما اتّجهت حركة التّرجمة ابتداءً من القرن الثّالث خاصّة نحو الفلسفة، علماً وثقافةً، حتّى صارت مرحلة من مراحل تقدم الفكر الإنسانيّ وتوسيع أفقه. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه . خلافاً لما وقع مع ابن المقفع ؛ حيث كان في انقطاع التّفاعل الثقافيّ في المجال العلميّ لا يسجل لنا آثار إعلام التّرجمة المذكورين، وإنما كان أعلام آخرون قاموا بترجمة النّصوص اليونانية. وأشهرهم في هذا الصّدّد: حنين بن إسحاق العبادي (ت 264هـ / 873م) وابنه إسحاق بن حنين (ت 298هـ / 911م) ثمّ أعلام نظروا في التّراث اليوناني متمثّلين أرسطو ومجمعين بين الثقافة العربيّة الإسلاميّة والثقافة اليونانية.

ينظر الفارابي (260 هـ / 874م) إلى المعرفة والفكر بوصفهما كيانين متكاملين ومتداخلين، لا يمكن فصلهما دون المساس بجوهر العمليّة العقلية، مؤسساً بذلك رؤية فلسفيّة متماسكة تجمع بين العمق التأمليّ والدقّة المنهجية؛ بحيث تصبح المعرفة نشاطاً حيّاً يرتبط بمقاصد الإنسان في فهم الكون والحياة. هذا التّصور الفارابي يبرز علاقة فريدة بين العقل والفكر؛ حيث يُنظر إلى التّفكير الفلسفيّ كوسيلة لاكتشاف الحقائق العامّة وتنظيمها ضمن نظام معرفي متكامل بينما المعرفة التّطبيقية تمثل الجانب العمليّ الذي يحقّق التّواصل بين الفكر والممارسة، بين التّظرية والتّطبيق. من هنا يُمكن القول إن الفارابي لم يقتصر على كونه مجرّد مفكر نظري؛ بل كان مؤسساً لإطار معرفي يربط بين فلسفة العقل العلوم الطّبيعية، والفلسفة العمليّة، بما يتيح للفكر الإسلامي امتلاك رؤية شاملة للوجود الإنساني والاجتماعي.

وفي هذا السّياق، لعبت شخصيات أخرى من أعلام الفلسفة العربيّة الإسلاميّة دوراً تكميلياً؛ فهم لم يكونوا مجرّد ناقلين للتّراث اليوناني؛ بل أضافوا إليه إثراء معرفياً وفلسفياً مميّزاً، موسعين مدارك التّراث الأصليّ وفق رؤاهم الفكرية وأعدوا صيغاً فلسفية وعلمية جديدة تتلاءم مع الثقافة الإسلاميّة ومتطلبات المجتمع آنذاك. لقد جاء هذا الإثراء في صورة مقاربات فلسفية متقدّمة في مجالات المنطق،

الأخلاق السّياسة، والميتافيزيقا؛ بحيث أفرزت هذه الحركة الفلسفيّة شبكة معرفيّة متكاملة، تربط بين الإرث الكلاسيكيّ وابتكارات الفكر العربيّ الإسلاميّ، بما يعكس أصالة هذا التّراث ومرونته في استيعاب الثقافات المختلفة.

وفي إطار التّفاعل المعرفيّ، لعبت التّرجمة دورًا محوريًّا في نشر العلوم والفلسفة؛ إذ نشأت حلقات ترجمة متسلسلة ومستدامة على مدى قرون، شملت نقل نصوص الطبّ والفلك والرياضيّات والمنطق من اليونانيّة والسّريانيّة إلى العربيّة وصولًا إلى ترجمة إبداعات العلماء العرب والفلاسفة إلى اللّاتينيّة خلال العصور الوسطى الأوروبيّة. وقد أدى هذا التّبادل المعرفيّ إلى بناء جسور ثقافيّة وحضاريّة بين الشّرق والغرب، ما مهد الطّريق لتطوّر الفكر العلميّ والفلسفيّ في أوروبا خلال العصور الحديثة. لقد لم تقتصر التّرجمة على الجانب التقنيّ أو اللّغويّ؛ بل كانت أيضًا وسيلة لإثراء الشّبكة المعرفيّة للبشريّة؛ حيث ساهمت في خلق بيئة فكريّة قابلة للتّفاعل بين الحضارات، مع المحافظة على خصوصيّة كلّ تراث وإمكانيّة تطويره وفق معطيات الثّقافة الجديدة.

من زاوية فلسفيّة، يمكن النّظر إلى هذا التّفاعل الحضاريّ والمعرفيّ باعتباره نموذجًا لتلاقح الثقافات؛ حيث تتقاطع الفلسفة، العلوم، والفنون ضمن شبكة متشابكة من الأفكار والممارسات. وهو ما يظهر بوضوح في التّأثير المتبادل بين الفكر اليوناني والفلسفة الإسلاميّة، وفي كينيّة معالجة الفلاسفة العرب لقضايا الأخلاق، المعرفة، والسّياسة بطريقة لم تكن موجودة في المصادر الأصليّة؛ بل كانت نتيجة دمج بين الإرث الكلاسيكي والفكر المستجد. كذلك، يمكن ملاحظة أثر هذا النّهج في العلوم التّطبيقيّة، مثل الطبّ والهندسة والفلك؛ حيث لم يكن النّقل مجرد إعادة إنتاج؛ بل كان خلقًا معرفيًا يتيح للباحثين العرب بناء أنظمة علميّة قائمة على المنهجية والتّجريب.

في المجمل، يُظهر هذا السّياق الأكاديميّ كيف أن الفلسفة العربيّة الإسلاميّة لم تكن مجرد مرحلة وسيطة في تاريخ الفكر البشريّ؛ بل كانت قوّة إنتاج معرفي مستقلة، قادرة على إعادة صياغة التّراث وإثرائه، مع الحفاظ على مرونته واستجابته للتحديات الفكرية والاجتماعيّة. كما يبرز دور التّرجمة وحلقاتها المتنوّعة ليس فقط كآليّة لنقل المعرفة؛ بل كعنصر محوري في بناء شبكة التّفاعل الحضاريّ بين الشّرق والغرب، ممّا يعكس قدرة التّراث العربيّ الإسلامي على أن يكون نقطة ارتكاز للتّبادل الفكريّ والثّقافيّ، وجسرًا يربط بين العصور والشّعوب، ويضمن استمرار تطور المعرفة البشريّة وتنوعها عبر الزّمان والمكان.

وقد ترجمت آثار العرب في مختلف العلوم من طبّ وفلك وكيمياء إلى اللّاتينيّة، ومن أشهر مترجمي العلوم العربيّة إلى اللّاتينيّة جيرارد دي كريمونا⁵⁴. وتبعًا لذلك، لم تكن عمليّة نقل التّراث العلميّ العربيّ مجرد نقلٍ آليٍّ للنّصوص؛ بل كانت ظاهرة حضاريّة معقدة، أعادت تشكيل خريطة المعرفة في العالم.

⁵⁴ عبد القادر المهيري، التّرجمة والتّفاعل الثّقافيّ، ضمن كتاب، التّرجمة وتفاعل الثّقافات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004، ص 572

فقد مثلت المراكز الثقافية مثل طليطلة، وصقلية، بعد سقوطها في أيدي المسيحيين، بوتقةً انصهر فيها الفكر الشرقي والغربي؛ حيث عمل فيها فريقٌ من المترجمين من اليهود والنصارى المستعربين، إلى جانب علماء لاتينيين، على نقل كنوز المعرفة من لغة إلى أخرى.

وفي هذا المشروع الضخم، يبرز جيرارد دي كريمونا (Gérard de Crémone) ليس لمجرد كونه مترجمًا؛ بل كأحد أبرز المهندسين الفكريين لأوروبا العصور الوسطى. ففي ظلّ شح المصادر اليونانية المباشرة، كانت الترجمات العربية هي المخزن الوحيد لكلّ من تراث الإغريق الأصيل والإضافات العربية الثورية عليه.

لم يقتصر عمل جيرارد على الطبّ والفلك والكيمياء فحسب؛ بل امتد ليشمل فلسفة ابن سينا ورياضيات الخوارزمي (التي أدخلت الأرقام الهندية-العربية وجبره إلى أوروبا) وابن الهيثم (الذي أسس علم البصريات الحديث). وبذلك، لم تكن الترجمات مجرد استعادة للماضي اليوناني؛ بل كانت استيراداً للثورة العلمية العربية بكلّ ما حملته من منهجية تجريبية ونقدية ورياضية.

يمكن القول إن هذا السيل من المعرفة المترجمة كان الشرارة التي أشعلت عصر النهضة لاحقاً. فقد وفرت المادة الخام التي قام عليها التعليم في الجامعات الأوروبية الناشئة، وتحدث الفكر السكولاستي التقليدي، ومهدت الطريق أمام علماء مثل كوبرنيكوس وغيليليو الذين بنوا أفكارهم على الأسس التي وضعها العرب ونقلها مترجمون مثل جيرارد دي كريمونا.

وفي ضوء ذلك، يحدث تأثير ثقافة على ثقافة أخرى عندما تتبادل الثقافات الأفكار، والقيم، والممارسات، والمعرفة، والتقاليد، ممّا يؤدي إلى تكوين نوع من التفاعل المتبادل بين المجتمعات. ويمكن لهذا التأثير أن يكون في عدة أشكال ويحدث عبر قنوات مختلفة، ولعلّ الفنون والأدب هما من أكثر الوسائل تأثيراً في تبادل الثقافات. كما أن الفنون التشكيلية مثل الرسم والنحت، وحتى الموسيقى تمثل وسيلة للتأثير الثقافي؛ حيث يمكن للفنانين أن يتأثروا بأساليب وتقنيات من ثقافات أخرى. ومن ثمة، فإن التأثير الثقافي بين الثقافات قد يكون إيجابياً أو سلبياً، وقد يؤدي إلى تلاقح الثقافات والتبادل الثقافي، أو إلى صراع ثقافي، ولعلّ ما يهم هو كيفية تأثير هذا التفاعل الذي يكمن في تطور الثقافة والهوية الجماعية للشعوب⁵⁵. وبالنظر إلى ذلك، كان تأثير الحكايات الشرقية على الأدب الغربي لم يكن مجرد ظاهرة ثقافية عابرة؛ بل شكّل تحولاً جوهرياً أعاد تشكيل الخيال الإبداعي الغربي عبر إدخال عناصر سردية غير مألوفة. بعد ترجمة هذه النصوص، أصبحت منبراً للكتاب الغربيين لاستلهام تقنيات روائية متقدمة، مثل تعدد الأصوات السردية، وتداخل الحكايات داخل إطار روائي واحد، والانتقال بين مستويات الواقع والخيال، ما شكّل خروجاً عن البنى السردية التقليدية وفتح آفاقاً جديدة للتجريب الروائي.

⁵⁵ ينظر، ياسمين فيدوح، فن الترجمة، دار أجيال الرقي، الجزائر، 2025، ص 51

كما قدمت هذه الحكايات عوالم من الغموض الشرقي والسحر والمغامرات الاستشراقية، التي كانت غير مألوفة في الأدب الغربي سابقاً. وقد تجلّى هذا التأثير في أعمال كتّاب مثل فولتير ودي فو وبورخيس، الذين استخدموا الإطار الحكائي الشرقي كمرآة يعكسون من خلالها قيماً ونقداً اجتماعياً غريباً. ويمكن القول إن هذه الحكايات لم تقتصر على كونها مصدر إلهام أدبي فحسب؛ بل شكلت جسراً ثقافياً أسهم في تشكيل صورة "الشرق" في المخيلة الغربية، بينما كانت في الوقت نفسه تغذي حركات أدبية كالرومانسية والرمزية والواقعية السحرية.

وبهذا، لم تقتصر قيمة هذه النصوص على كونها حكاة شعبية؛ بل أصبحت ركائز تأسيسية في تاريخ السرد العالمي؛ إذ مزجت بين الثقافات وفتحت مساحات للحوار بين الحضارات عبر القصة، مؤكدة أن الخيال الإبداعي قادر على عبور الحدود اللغوية والجغرافية ليصبح تراثاً إنسانياً مشتركاً.

التحديات المرتبطة بتلاقح الثقافات: التلاقح الثقافي، رغم ما يحمله من إمكانيات هائلة لتعزيز الإبداع والابتكار ونشر المعرفة، يواجه مجموعة من التحديات المعقدة التي يمكن أن تؤثر على استقراره وفاعليته. أحد أبرز هذه التحديات هو صراع الهوية الثقافية، فحين تتلاقى ثقافات مختلفة، قد يشعر الأفراد أو المجتمعات بتهديد على هويتهم الخاصة، خصوصاً عندما تبدو الثقافة المستوردة أقوى أو أكثر تأثيراً. هذا الشعور بالتهديد يمكن أن يؤدي إلى مقاومة التغيير، أو رفض الآخر، أو حتى محاولة إعادة فرض المعايير التقليدية، ما يخلق توتراً بين الانفتاح الثقافي والحفاظ على الخصوصية.

كما أن التلاقح الثقافي يواجه صعوبات في التوازن بين الأصالة والانفتاح، فالمجتمعات غالباً ما تتساءل عن حدود التكيف مع عناصر ثقافية جديدة دون فقدان جوهرها التاريخي والفكري. فإدماج قيم وأفكار وممارسات من ثقافة أخرى قد يحدث اضطراباً في البنية الاجتماعية والفكرية، ويثير نقاشات حول ما هو أصلي وما هو مستعار. في السياق نفسه، يمكن أن يولد التلاقح الثقافي نوعاً من "الارتباك القيمي"؛ إذ يتعرض الأفراد لمعايير متناقضة في السلوك، الأخلاق، والفنون، مما يتطلب قدرة على التكيف الفكري والنقدي لتجنب الصدمات.

من جهة أخرى، هناك التحديات المرتبطة بالهيمنة الثقافية وعدم التكافؤ في القوة بين الثقافات المتلاقحة. فقد تُهيمن ثقافة على أخرى من خلال وسائل الإعلام، التعليم، الاقتصاد، أو التكنولوجيا، ما يؤدي إلى اختلال التوازن ويجعل العملية الثقافية غير متبادلة؛ بل أحادية الجانب. وهذا قد يؤدي إلى اندثار بعض الممارسات الثقافية أو اختزالها، وتحويلها إلى مجرد مظاهر سطحية دون أن تُفهم أبعادها الحقيقية أو قيمها الجوهرية.

تضاف إلى ذلك التحديات العملية المرتبطة بالاتصال والتواصل بين الثقافات، فقد تصطدم الرسائل والرموز الثقافية بالترجمات غير الدقيقة، أو الاختلافات في السياقات الاجتماعية والدلالية، ما يؤدي إلى سوء الفهم أو التفسير الخاطئ. حتى في سياق العولمة والإنترنت؛ حيث تبدو الثقافات قريبة

ومتاحة للجميع، فإن هذا القرب يمكن أن يكون مضللاً؛ إذ يؤدي إلى تشويش على المعاني الأصلية واختزالها إلى صور نمطية أو شعارات سطحية.

وأخيراً، التحدي النفسي والاجتماعي لا يقل أهمية؛ إذ يحتاج الأفراد إلى درجة عالية من التسامح الفكري والانفتاح العاطفي للتعامل مع اختلافات ثقافية قد تبدو غريبة أو مغايرة لمعاييرهم المألوفة. هذا يعني أن التلاقح الثقافي ليس عملية تلقائية أو آمنة دائماً؛ بل يتطلب إطاراً تعليمياً وتربوياً ومؤسسياً يمكنه احتواء الصدمات الثقافية وتوجيهها نحو الإثراء المشترك بدل الصراع أو التجزئة.

يمكن القول إن هذه التحديات، رغم شدتها، لا تقلل من قيمة التلاقح الثقافي؛ بل تشير إلى ضرورة وعي وفاعل بكيفية إدارة هذه العملية، بحيث تتحول التفاعلات بين الثقافات إلى مصدر قوة للإبداع والابتكار والتنمية المستدامة، لا إلى بؤرة للتوتر والاندماج الإشكالي.

وعلى الرغم من كون التلاقح الثقافي محرّكاً رئيسياً للتقدم والإبداع البشري، فإنه لا يخلو من تحديات عميقة ومعقدة. هذه التحديات لا تنفي فوائده الجمة، ولكن فهمها يعد جوهرية لإدارة عملية التلاقح بوعي وحكمة، لتحقيق أقصى استفادة وتجنب سلبياتها.

1. التحدي الوجودي: تهديد الهوية والذات الثقافية، هذا هو التحدي الأكثر إلحاحاً. عندما تلتقي ثقافة قوية أو مهيمنة (غالباً ما تكون من خلال العولمة الإعلامية والاقتصادية) بثقافة أقل هيمنة، يمكن أن يشعر أفراد الأخيرة بتهديد وجودهم الثقافي.

أ- الخوف من الدّوبان: الشعور بأن الثقافة المحلية التقليدية، مع قيمها ولغتها وعاداتها، تذوب وتتلاشى لصالح ثقافة عالمية موحدة (مثل "الماكدونلديز" الثقافية). (McDonaldization of culture) وهو المصطلح الذي صاغه عالم الاجتماع الأميركي جورج ريتزر (George Ritzer) في كتابه *The McDonaldization of Society* (1993)، ويشير إلى تشبيه المجتمع والثقافة بآليات عمل مطاعم "ماكدونالدز".

ب- أزمة الانتماء: يصاب الأفراد، وخاصة الشباب، بحالة من الازدواجية: بين ثقافة المنزل والأسرة (المحلية) وثقافة العالم والعصر (الوافدة). هذا يمكن أن يؤدي إلى حالة من الاغتراب الثقافي؛ حيث لا يشعر الشخص بأنه ينتمي بشكل كامل إلى أي من الثقافتين؛

ت- رد الفعل العكسي: يؤدي هذا التهديد أحياناً إلى نزوع نحو التطرف والانغلاق الثقافي، والتمسك الحرفي والمتعصب بالتقاليد كوسيلة للدفاع عن الهوية المهددة، ممّا يعيق أي حوار ثقافي بناء.

2. التحدي الأخلاقي والقيمي: الصدام بين المنظومات القيمية، كلّ ثقافة لها منظومة قيمية وأخلاقية تشكلت عبر قرون. عند التلاقح، يمكن أن تصطدم هذه المنظومات بشكل عنيف.

صراع القيم: قيم مثل الفردية مقابل الجماعية، أو مفاهيم الحرية الشخصية مقابل التقاليد العائلية، أو نظرة المجتمع للدين والمرأة والسلطة، يمكن أن تكون مصدراً للصراع.

النسبية الأخلاقية: يطرح التلاقح سؤالاً صعباً: هل الأخلاق مطلقة أم نسبية؟ هل من حق ثقافة ما أن تحكم على ممارسات ثقافة أخرى؟ أين نضع الخط الفاصل بين احترام ثقافة الآخر ورفض ممارسات نعتبرها غير أخلاقية (كبعض الممارسات ضد المرأة أو حقوق الطفل)؟

الازدواجية المعيارية: قد يتبنى المجتمع قيماً وافدة في المجال العام (مثل قيم العمل والمنافسة) لكنه يظل متمسكاً بقيم محلية في المجال الخاص، مما قد يخلق تناقضاً داخلياً.

3. التحدي الاجتماعي: الصراع بين الأجيال والتغير السريع هو الأجيال: غالباً ما يكون الشباب أكثر انفتاحاً وتقبلاً للثقافات الوافدة (من خلال الإنترنت والسفر)، بينما يرى الجيل الأكبر سناً في هذه المؤثرات تهديداً للقيم والتقاليد التي نشأوا عليها. هذا يؤدي إلى صراع داخل الأسرة والمجتمع الواحد. التغير الاجتماعي السريع: يمكن أن يؤدي التلاقح إلى تغييرات اجتماعية سريعة جداً تفوق قدرة المجتمع على استيعابها وتكييفها، مما يسبب حالة من الانزياح الثقافي والارتباك.

4. التحدي الاقتصادي والاستعماري الجديد: الهيمنة الثقافية، هنا تكمن أحد أكبر المخاوف. التلاقح الثقافي ليس دائماً عملية متكافئة بين طرفين متساويين.

الاستعمار الثقافي: سيطرة منتجات ووسائل إعلام وقيم ثقافة واحدة (غالباً الغربية والأمريكية تحديداً) على الأسواق العالمية، مما يجعل "التلاقح" أشبه بغزو أحادي الاتجاه. يتم تصدير نمط الحياة والاستهلاك والفنون من ثقافة مهيمنة لتحل محل الثقافات المحلية.

استغلال الرموز الثقافية: تحويل الرموز والموروثات الثقافية للشعوب الأخرى إلى سلعة استهلاكية رخيصة أو موضحة عابرة (مثل ارتداء رموز دينية كإكسسوارات دون فهم معناها)، في عملية تسمى "الاستيلاء الثقافي" (Cultural Appropriation)، مما يفقدها قدسيتها ومعناها الأصلي.

5. التحدي اللغوي: تراجع اللغات المحلية، اللغة هي وعاء الثقافة وحاملها الرئيسي. هيمنة لغة عالمية مثل الإنجليزية عبر الإنترنت والأعمال والأكاديميا تهدد بتراجع استخدام اللغات المحلية بل وانقراضها، مما يؤدي إلى فقدان كنوز من الأدب والحكمة والمعرفة المرتبطة بتلك اللغات.

وتبعاً لذلك، فإن التحدي الحقيقي ليس في منع التلاقح الثقافي (وهو أمر مستحيل في عصر العولمة)؛ بل في إدارته بفعالية. وهذا يتطلب:

أ- الثقة بالنفس الثقافية: ثقافة قوية وواثقة من نفسها لا تخاف من الانفتاح؛ بل لديها القدرة على انتقاء وتصفية وهضم المؤثرات الوافدة واستيعابها في نطاق إطارها القيمي.

ب- الحوار وليس الصدام: تشجيع الحوار المتكافئ والمحترم بين الثقافات، وليس عملية الاستيراد السلبي أو الرفض المتعصب.

ج- الحماية لا الانغلاق: العمل على حماية التراث الثقافي واللغوي من خلال تعليم السياسات الواعية، وليس من خلال الانكفاء على الذات.

والحال هذه، يمكن تشبيه التلاقح الثقافي بالهَر المتدفق، فهو يحمل في طياته طاقة هائلة قادرة على إحياء أرضٍ خصبة وبث الحياة فيها، فتسقى بها بذور الإبداع، وتنمو على ضفافه أشجار المعارف،

ويزدهر التنوع الفكري والثقافي، مما يثري التجربة الإنسانية ويعزز من قدرة المجتمعات على الابتكار والتجديد. ومع ذلك، يحمل هذا التهرؤم إمكانية التحول إلى قوة مدمرة إذا أهملنا تنظيم مجراه وعدم وضع ضوابط لإدارته، فقد يؤدي إلى فيضان يغمر القيم المستقرة ويعطل التوازن الاجتماعي والثقافي، ويخلق صدامات بين الهويات المختلفة. بالتالي، فإن التلاقح الثقافي ليس مجرد ظاهرة طبيعية تحدث بعفوية؛ بل يحتاج إلى رؤية واعية وسياسات فكرية وثقافية رشيدة تمكن من توجيهه واستثماره بما يخدم التنمية البشرية والتقدم الحضاري، ويحول طاقته من احتمال التدمير إلى مصدر دائم للإثراء والإبداع.

الترجمة بين منطق الصراع وأفق الحوار الثقافي: يمكن النظر إلى الصراعات الثقافية باعتبارها أحد الأبعاد اللافتة والمركبة لظاهرة التلاقح الثقافي، فهي ليست مجرد تصادم سطحي بين عادات أو رموز؛ بل تعكس صراعات أعمق على مستوى الهوية والوجود الثقافي. حين يتلاقح نظامان ثقافيان أو أكثر، قد ينبعث شعور داخلي بالتهديد لدى الثقافة الواحدة، وكأن جذورها العميقة في الأرض معرضة للزعزعة بفعل انسياب ثقافة أخرى إليها. هذا الشعور بالتهديد ليس مجرد قلق شكلي؛ بل هو انعكاس للصراع بين الأصالة والانفتاح، بين الرغبة في الحفاظ على الذات وبين الانفتاح على الآخر، وبين الثبات التاريخي والمرونة المعاصرة. وفي هذا السياق، تتخذ الصراعات أشكالاً متعددة، تبدأ من مقاومة الرموز والمعايير المستورثة وصولاً إلى إعادة تعريف القيم والممارسات الاجتماعية، بحيث يتحول التلاقح الثقافي من تجربة غنية بالإمكانات إلى اختبار لحكمة المجتمعات وقدرتها على استيعاب الآخر. الصراع الثقافي في جوهره ليس مجرد عائق أو تهديد سطحي؛ بل يكشف عن عمق التفاعل الإنساني الذي يعكس طبيعة متجددة للوجود الثقافي ذاته، فهو ظاهرة فلسفية تدل على ضرورة تأسيس حوار داخلي ونقدي مستمر يتجاوز الاستقطاب والتنافر، ليؤسس شروط التجاور السلمي بين الثقافات المتنوعة بدون أن تلغي أي منها ذاتها وهويتها الجوهرية. في هذا السياق، يصبح الصراع فرصة لولادة معاني جديدة ومثالية تتجاوز الانقسام إلى التلقي والتكامل؛ حيث يتحول الاحتكاك بين الثقافات إلى مسرح للنمو والثراء المعرفي والثقافي، بدلاً من أن يكون مصدراً للتمزقات والتوترات التي تعطل حركة التاريخ الإنساني. إن الصراعات التي تنشأ من شعور الثقافة بتهديد هويتها ترحب بها الفلسفات النقدية كإشارات حيوية تستوجب وقفة تأملية لتجاوز المألوف والاستجابة لنداءات التعارف والتفاهم العميق.

وهذا يتطلب قراءة متأنية للصراع الثقافي لا كصدام بل كدافع نحو حوار ذي مستوى فلسفي رفيع، يربط بين تعددية الوجود الثقافي ووحدته الكونية في ذات الوقت، ويؤسس لوعي معرفي يتحرك بين الوحدة والتنوع، بين الذات والآخر، ليخلق فضاءً حوارياً يتم فيه تجاوز النزاعات بالاعتراف المتبادل والاحترام العميق لكل خصوصية ثقافية. الصراع هنا ليس فكرة إلغاء الذات أو فرضها بقوة؛ بل هو تأكيد لقيمة الاختلاف كحالة وجودية ضرورية، وكمصدر غني للإبداع والتجديد، ومنطلق لفهم أعمق للحقيقة التي لا تُستنفد في تعدد رؤى الثقافات وتفاعلها؛ حيث يصبح الصراع بوصفه ظاهرة فلسفية مقدرة على إخراج الحوارات إلى فضاءات معرفية وروحية تتخطى المظاهر الظاهرة للصراع إلى أفق إنساني شامل ومتطور، يؤكد على ضرورة أن تبقى الثقافات في حالة تجاور وتفاعل ديناميكي دائم، لا تهديد

متبادل، ليتحول الاحتكاك إلى جسر يربط لا إلى جدار يفصل، فتكون بذلك المتغيرات الثقافية محفزاً للنمو الإنساني الحضاري لا نكوصاً أو تحطماً له. وفي ضوء ذلك، يمكن النظر إلى الصراعات الثقافية الناتجة عن شعور الثقافة بتهديد هويتها من خلال هذه المحددات:

1. جذور الصراع: لماذا يشكل التلاقح تهديداً؟

عندما تلتقي ثقافتان، لا يحدث التلاقح في فضاء محايد أو متكافئ؛ بل في مشهد معقد يتشابك فيه النفوذ، والهيمنة، والهوية، وكل ذلك يُنتج طبيعة فريدة من الصراع والتوتر. التلاقح الثقافي، في ظاهره عملية تسمح بالامتزاج والاختلاط، لكنها في جوهرها تحمل ما من دلالات عنيفة تكشف عن جذور الصراع الثقافي العميقة؛ إذ لا يُستقبل الآخر الغريب باعتباره مكافئاً أو زميلاً في الحوار؛ بل يُنظر إليهم أحياناً كغزاة يحاولون اقتلاع جذور الهوية الأصيلة. في هذه المساحة، يصبح التلاقح تهديداً عندما يُخشى أن يمس القوة التي تحكم الفعل الثقافي، خصوصاً إذا كانت الثقافة الوافدة تحمل معها قوة اقتصادية، عسكرية، أو إعلامية طاغية تجعل استيعابها بمثابة استسلام أو فقدان للذات، كما هو الحال في طغيان الثقافة الأمريكية عبر وسائلها الإعلامية العالمية.

ولا يقتصر التهديد على هذا البعد فقط؛ بل يأتي من سرعة الانتقال والتغير التي فرضتها العولمة وتقنيات الإنترنت، فثقافات كثيرة لم تعد تملك الوقت الكافي لاستيعاب التغيرات الثقافية بصبر وحكمة، مما يخلق صدمة جماعية تعصف بأسس التوازن الثقافي الداخلي، فتتهار الحدود بين القديم والحديث، فتبدو الهوية معرضة للتآكل تحت وطأة تدفق المؤثرات الغريبة بضراوة ونهم. وهذا الصراع يتعمق أكثر عندما تمس هذه المؤثرات رموز الهوية الأساسية، كاللغة، والدين، والممارسات الاجتماعية التي تعكس جوهر الجماعة، فتوجيه نقد أو حتى مجرد تحريف في هذه الرموز يُقرأ كعداء شخصي وجماعي، يستثقل الاستجابة له، وينذر بحالة من التوتر والصراع العميق.

من هنا، يتبين أن جذور الصراع في التلاقح الثقافي لا تكمن فقط في اختلاف الطقوس أو العادات؛ بل في طبيعة العلاقة بين القوي والضعيف، بين المستقر والمتحرك، وبين الرمز والذات. إن هذا الصراع يكشف عن عمق الهاجس الوجودي الذي تحمله الجماعات تجاه ذاتها والآخر، وكيف أن التغيير الثقافي السريع والمفاجئ يصبح تهديداً لثوابت الشعور بالأمان المعنوي والهوية التي تشكل الوعي الجمعي للفرد والمجتمع. وهكذا، لا يكون التلاقح إشكالية لكونه اختلافاً؛ بل لأنه تجربة غير متوازنة وإن لم يعالج بحكمة فقد يحول اللقاء الثقافي إلى مناخ توتر وصدام يهدد التماسك الاجتماعي ويعمق الشرخ بين الشعوب، بحكم أن التلاقح في أزمات القوة والتّمثيل يصبح وروداً بين نارين، نار الهوية التي لا تقبل الاندساس، ونار الوافد الثقافي الذي يطالب بالوجود والتعبير.

2. مظاهر ومستويات هذا الصراع: يتجاوز الصراع في مجال الترجمة كونه مجرد نزاع على الكلمات أو النصوص ليغوص في العمق المجرد للهوية والتفاعل الثقافي؛ حيث تتجلى أصدائه في تفاصيل الحياة

اليومية وسلوكيات الأفراد ومُجتمعاتهم. على المستوى الفردي، يعاني الكثير من الأشخاص، خاصة الشباب، من أزمة اغتراب ثقافيّ حاد، فهم يجذبهم بريق الثقافات الوافدة التي تقدم لهم عوالم جديدة وأسلوب حياة مختلف، لكن في ذات الوقت تراودهم مشاعر الذنب والخيبة تجاه جذورهم وهويتهم الأصلية. هذا التمزق يولد ازدواجية متصلة في سلوكهم؛ حيث يبدو الفرد في الخارج متماهياً مع القيم الغربية أو العالمية، متحرراً من القيود التقليدية، لكنه يعود إلى دائرة الأسرة ككائن منقسم يعيش على هامش ثقافتين، تتصارعان داخله بين المظهر والطمّوح والقيم الراسخة.

أما على مستوى الأسرة، فتتحول هذه الأزمة إلى صدام بين الأجيال؛ حيث يتحول الجيل الجديد المنفتح على العالم عبر الإنترنت ومنصات التواصل إلى قوة معترضة على تقاليد الأجداد التي تبدو له مقيدة أو حتى متخلفة، ممّا يحدث تبايناً حاداً في النظرة إلى الملبس، والممارسات الاجتماعية، والاختيارات الحياتية وأحياناً إلى مفهوم الحرية ذاته. هذه الحرب المصغرة بين الآباء والأبناء ليست صراعاً على الأمور السطحية فقط؛ بل هي تعبير عن نزاع بين قيمتين مختلفتين للوجود الثقافيّ، تؤكد كلّ منهما على شرعية محدّدة للهوية ومستقبلها.

أما على المستوى المجتمعيّ، فالصراع يمتدّ ليقسم النسيج الثقافيّ إلى تيارات متنافرة، أحدها يرحب بانفتاح العالم والتداخل الثقافيّ ويعتبره فرصة لإثراء المجتمع، فيما يتمسك التيار الآخر بالأصالة والتراث ويرى في التّغير السريع غزواً يهدد وجوده وهويته، ممّا يولد استقطاباً عميقاً يخلق شقوقاً في مجتمعات كانت متماسكة، ويضعف أواصر الوحدة الاجتماعية التي تحكمها القيم المشتركة.

أما في المستوى السياسيّ، فتستغل قوى عديدة هذا الصراع الثقافيّ للعب بورقة الخوف من الآخر مستندة إلى خطاب يشدّد على أهمية حماية "قيمنا الوطنية" من التمدد الثقافيّ الخارجي، وهو خطاب يؤجج النزعات الشعبوية والانفصالية، ويسهم في سياسات الانعزال الثقافيّ والسياسيّ، وفي تصاعد مشاعر العداة والتّمييز التي تصل في بعض الحالات إلى معاداة الآخر على أساس ثقافيّ أو عرقيّ، ما يعيد إنتاج العنف الرّمزي والسياسيّ في قلب بنى المجتمع.

هكذا، يظهر الصراع في الترجمة – بوصفها ضرورة حضارية⁵⁶ – ليس فقط كخلاف لغويّ أو تقنيّ؛ بل كرصيف يصطدم فيه الوعي الفردي والمجتمعي والسياسيّ، وتتكشف فيه التّوترات العميقة حول الهوية والانتماء والتّمثيل الذاتيّ في عالم تتشابك فيه الثقافات بسرعة لم يعدها الإنسان من قبل. إنه صراع على المشروع الثقافيّ، على الحق في إعادة تعريف الذات في مواجهة تحولات كونية متسارعة، وصراع على مصير العلاقات بين الذات والآخر في فضاء متحول لا يكف عن إعادة تشكيل ملامحه

⁵⁶ ينظر، فخري لبّيب، الترجمة ضرورة حضارية، ضمن كتاب، الترجمة وتفاعل الثقافات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004، ص 717

وأبعاده. وفي كلّ هذه المستويّات، تتبدى الترجمة كخط مواجهة حقيقي وتجسيد حي لتلك المآزق الوجوديّة والثّقافيّة المتداخلة.

الترجمة ساحة نزاع حضاري أم جسر للتواصل؟

يتجلى بعمق في أنماط ردود الفعل التي تسلكها الثقافات لمواجهة ما تراها تهديداً وجودياً لأصولها وهويّة ذاتها، وهو صراع ينطوي على آليات نفسيّة واجتماعيّة تتراوح بين الانكفاء، والاستيعاب، والخلق الهادف لهويّة جديدة؛ إذ لا يُقبل التّلاقح الثّقافيّ دائماً بترحاب؛ بل يظهر الرّفص أحياناً في شكل انغلاق متصلب يصبو إلى الحماية القصوى بواسطة التّمسك الحرفي بالتّقاليد والتّراث تحت شعارات مثل "ذاتنا" و"أصالتنا"؛ حيث يهدف هذا الانكفاء إلى رسم حدود حازمة تمنع تسرب المؤثرات الخارجيّة، كأنه جدار يشيد ضد غزو ثقافيّ يُنظر إليه كتهديد وجودي. هذه الاستجابة، التي غالباً ما تنتهي إلى الحركات الأصوليّة، تعكس الرّغبة الشّديدة في الحفاظ على نقاء الهويّة وعدم فقدانها في بحر العولمة والاختلاط.

عكس ذلك، هناك ثقافات أو جماعات تتمتّع بثقة أكبر تمكّنها من الاستيلاء على عناصر الثقافة الوافدة وتطويرها داخل إطار محلي يخدم رغباتها وتطلعاتها، فتتولد ظاهرة التّهجين التي تمزج بين القديم والجديد، بين المحلي والعالميّ وتخلق لغة فنيّة وثقافيّة جديدة تفصح عن امتصاص ذكي للآخر بما لا يخل بهويّة الدّات. مثال ذلك يعد موسيقى الرّاب التي تتربع اليوم على قمة المشهد الفني في العديد من البلدان العربيّة حيث تحولت إلى تعبير محليّ يدمج بين إيقاعات عالميّة وكلمات تعبّر عن هموم وواقع المجتمع. إن هذه الآليّة الدّفاعيّة تفتح آفاقاً إبداعيّة تسمح للدّات الثّقافيّة بأن تظلّ فاعلة، مرنة ومتجددة، مستجيبة لتقلّبات الزّمان والمكان.

وفي ثنايا هذه العمليّة، برزت ظاهرة أعمق وأشمل، ألا وهي خلق هويّة هجينة تتناول عناصر من الثقافة الأصليّة والثقافة الوافدة، لكنها تأخذها في منحى فريد، لتكون مزيجاً متجانساً يعيش فيه الفرد شعوراً بالانتماء والارتياح رغم عدم انتمائه الكامل لأي من الطّرفين. هويّة لا ترفض الأصل ولا تستسلم للوافد؛ بل تستلهم منه لتعيد بناء ذاتها في فضاء متعدّد البُعد الثّقافيّ، يشكل مفهوماً جديداً للهنا والآن؛ حيث يغدو الفرد تجربته الثّقافيّة حالة مركبة من الحرّيّة والإبداع.

بهذا تكون آليات الدّفاع الثّقافيّ في وجه التّهديد هي عمليّة مستمرة تستدعي من الثّقافات استجابات متعدّدة، مركبة، تبدو أحياناً متناقضة لكنها تندرج ضمن سعي عام لحماية الدّات، لاستمرار الوجود، وللحفاظ على مساحات التّعبير الحضاريّ في عالم معولم ومتغيّر؛ حيث ينتقل الصّراع من مجرّد مواجهة إلى فرص للتّجديد والابتكار الوجداني الذي يؤسس لهويّات جديدة تتماهى مع متطلبات العصر دون أن تفقد جذورها وقيمها العميقة. هذا الصّراع، بمختلف أشكاله، هو إذن ليس مجرّد مقاومة أو انغلاق؛ بل هو فعل فني وجودي تعبير عن محاولة الإنسان الثّقافيّ لحفظ كيانه وسط ضغوط التّحوّلات المتسارعة.

ومن ثمة، فإنّ انتشار الهويّات الهجينة يحمل تداعيات عميقة ومستقبلية على مفهوم "الذّات" الثقافيّ؛ إذ يُعيد تشكيله من كيان ثابت ومحدد إلى كيان مرّن ومتعدّد الأبعاد يتعايش فيه التّناقض والتّعدد داخل إطار واحد. إنّ الذّات في هذا السّياق لم تعد معزولة عن محيطها؛ بل صارت نتاجاً ديناميكياً للتّفاعل المستمرّ بين مكوّنات متعدّدة، بعضها متجذّر في التّراث والأصول، والآخر متولد من التّجارب والانفتاح على الثّقافات الوافدة، ممّا يولد حالة من التّوأمة الوجوديّة التي لا تعني التّشظي بل التّداخل والتّحاور. هذه الهويّات الهجينة تعبّر عن قدرة الذّات على استيعاب الآخر وتحويله إلى مكوّن عضوي لبنيتها، لكنها في الوقت ذاته تفتح على سؤال فلسفيّ جوهري حول مفهوم الاستمراريّة: كيف تحافظ الذّات على وحدتها في ظلّ تعدد مكوّناتها؟ وكيف يمكن أن تظلّ وفيّة لذاتها في عالم لا يهدأ ولا يتوقف عن التّحول؟

التّداعيات المستقبلية لهذا الانتشار تتضمن تحولات معرفيّة وعاطفيّة عميقة؛ إذ إنّ الشّعور بالانتماء لم يعد محدوداً بأفق جغرافي أو ثقافيّ واحد؛ بل بات متسعاً ليشمل عوالم متعدّدة وربما متداخلة، وهذا يولد لدى الأفراد شعوراً مزدوجاً أو متعدّداً بالانتماء والاعتراق في آن. الذّات الثقافيّة الهجينة تتعدى الثّنائيّة بين الأصل والآخر، لتصبح فضاء مفتوحاً للتّجديد والابتكار، لكن هذا الفضاء لا يخلو من صراعات داخلية حول المعنى والهويّة، بين رغبة في الحفاظ على الذاكرة والبعد التّاريخي، ورغبة في الانطلاق نحو المستقبل والتّجديد.

وفي السّياق الاجتماعيّ والسياسيّ، يمكن أن تؤدي هذه الهويّات إلى إعادة تعريف النّسيج المجتمعي، فتصبح المجتمعات أكثر تعقيداً وتنوعاً، مع فرص جديدة للتّلاقح والتّعايش، لكنها قد تواجه أيضاً تحديات التّوتر بين الاندماج والتّمسك بالخصوصيّة، وهذا قد يتطلب سياسات جديدة تُعزز من التّفاهم والتّسامح الثقافيّ، وتعامل مع التعدديّة بوصفها ثراءً لا تهديداً. الذّات الثقافيّة الهجينة إذاً ليست حالة مؤقتة عابرة؛ بل آليّة تطوريّة تمكّن الإنسان من مواجهة تعقيدات العصر الحديث في عالم متداخل ومتغير بلا هوادة، ممّا يدفعنا لإعادة النّظر في أسس نظريّة الهويّة التّقليديّة لتشمل السّرديات المعقّدة والمتعدّدة، ولا تقيد الذّات ضمن حدود جامدة؛ بل تمنحها القدرة على التّجدد المستمر والتّكيف مع الواقع المعاصر.

بهذا المعنى، تتشكل الذّات الثقافيّة ليس كمنتج نهائيّ وإنما كسيرورة متفاعلة مع الآخر، مع تاريخها، ومع مستقبلها المحتمل، فتكون الهويّات الهجينة ميداناً فلسفياً خصباً يعيد طرح أسئلة الذّات والآخر، الثّبات والتّغير، الوحدة والتّعدد في مفاهيم تتعاقب فيها المكوّنات بعنفوان الوجود الإنسانيّ في عالم العولمة والتّقنيّات الحديثة.

رهانات تجاوز الصّراع من أجل بناء مشترك: الصّراع في مجال التّرجمة ليس مجرد نزاع لغويّ أو فني على مستوى الكلمات والمعاني؛ بل هو انعكاس لصّراع أعمق حول الهويّة الثقافيّة، والفهم المتبادل،

وإعادة إنتاج المعنى بين الثقافات المختلفة. ففي لحظة الترجمة، تتقاطع ثقافات متعددة، ويبرز السؤال الفلسفي حول حدود النقل والوفاء، وعن إمكانية أن تحافظ الثقافة المستقبلية على ذاتها وهويتها، بينما تستوعب نصوصاً وأفكاراً من ثقافة أخرى. كثيراً ما تتحول عملية الترجمة إلى ساحة صراع؛ إذ يمكن أن يشعر كل طرف بأن معانيه أو رموزه معرضة للطمس أو التحريف، بينما يرى الطرف الآخر في التدخل أو التعديل سبيلاً لجعل النص قابلاً للفهم والتفاعل في سياقه الجديد.

ولكن الصراع نفسه يمكن أن يصبح بوابة للحوار الحقيقي، إذا ما تعاملت الأطراف المتلاقية مع التحديات برؤية فلسفية واعية. فالتلاقح الثقافي في الترجمة يتطلب الاحترام المتبادل للرموز والقيم، بحيث لا يتحول النص إلى أداة لإلغاء الآخر أو فرض الهيمنة؛ بل إلى مساحة تتلاقى فيها المعاني من منطلق تقدير متبادل. وفي هذا الإطار، تصبح الثقة بالذات الثقافية شرطاً أساسياً؛ إذ تمكن الثقافة من استقبال الآخر دون خوف، ومن انتقاء ما يتوافق مع قيمها، ورفض ما قد يخلّ بتماسكها، دون أن تتحول إلى حصن متحجر يرفض كل جديد.

أخيراً، يتحقق التلاقح الثقافي الآمن والمنتج عندما يتحول الصراع إلى حوار مستمر، حوار يقرّ بالمساواة بين الثقافات في الكرامة الإنسانية، ويحوّل الاختلاف إلى مصدر إثراء، ويتيح للترجمة أن تكون أكثر من مجرد نقل للكلمات؛ بل جسراً يفتح أفقاً للفهم، والتعاون، والإبداع المشترك؛ بحيث يصبح كل نصّ مترجم تجربة فكرية وفلسفية تعكس قدرة البشرية على تجاوز الخوف والهيمنة، وتستثمر التفاعل الثقافي في بناء عالم أوسع وأكثر وعياً.

باختصار، لا يمكن أن يكون التلاقح الثقافي عملية ناجحة قائمة على فرضية التسلط أو الإملاء من جانب ثقافة مهيمنة على أخرى؛ بل يجب أن يكون حواراً حياً بين ثقافات متساوية في الإنسان والكرامة؛ حيث تستمع كل ثقافة إلى الأخرى بإرادة السلام والتفاهم، فتنتج بذلك تفاعلات ثقافية حقيقية تصهر الفروق والاختلافات، وتخلق فضاءات مشتركة ينبض فيها التنوع والتكامل، ليس مجرد تسامح بل تعايش وإثراء متبادل. هذا هو جوهر التلاقح الذي يخرج من دوامة الصراع إلى فضاء الإبداع والتجديد، ويجعل من التراث والحداثة بنياناً متكاملأً تُبنى عليه حضارة الإنسان المعاصر.

وفي ضوء ذلك، تعيش المجتمعات المعاصرة في سياق عالمي يتميز بتنوع ثقافي هائل؛ حيث تتقاطع حضارات متعددة وتتعامل مع اختلافات في القيم والعادات والتقاليد. في هذا الإطار، يصبح التبادل الثقافي أداة محورية لبناء جسور التواصل والتفاهم بين هذه الثقافات المتباينة؛ إذ يسمح بتجاوز الفجوات الحضارية عبر التعرف العميق على الآخر واستيعاب تجربته الإنسانية والثقافية. يمكن النظر إلى التبادل الثقافي كعملية ديناميكية لا تقتصر على مجرد نقل المعلومات أو العادات؛ بل تمتد لتشكّل مجالاً لإعادة صياغة الفهم المتبادل وتعزيز التسامح والتعايش السلمي.

يُسهم التّبادل الثّقافيّ في تعزيز التّفاهم المتبادل بشكل ملموس؛ إذ عندما يتفاعل الأفراد من خلفيّات ثقافيّة مختلفة، يكتسبون قدرة على تفهم وجهات نظر الآخرين وقبول اختلافاتهم، ما يعمّق روابط الاحترام ويقوي أطر التّعاون. هذه العمليّة تمكّن الأفراد من التّعرف على القيم والتّقاليد والعادات المتنوّعة فتتحوّل الفروق إلى فرصة للتّعلم والنّمو بدلاً من أن تصبح مصدر صراع أو رفض للآخر.

كما يلعب التّبادل الثّقافيّ دورًا جوهريًا في تفكيك الصّور النمطيّة والتّحيزات الثّقافيّة؛ إذ يتيح التّفاعل المباشر مع الآخرين كسر الأفكار المسبقة واستبدالها بفهم أعمق وأكثر إنصافًا. يمكن للتّبادل أن يخلق فضاءً من الاحترام المتبادل حيث تصبح التّجارب الجديدة جزءًا من وعي الفرد الثّقافيّ، ويتمّ ترسيخ فكرة أنّ التعدديّة الثّقافيّة ليست تهديدًا؛ بل مصدر إثراء وإبداع.

علاوة على ذلك، يشكل التّبادل الثّقافيّ محفّزًا للتّعاون والابتكار؛ إذ يتيح تبادل المعارف والخبرات والتّجارب العمليّة والفكريّة بين الثّقافات، ما يؤدي إلى تطوير حلول جديدة وخلق مشاريع مشتركة في مجالات العلوم والفنون والتّكنولوجيا والأعمال. هذا التّعاون العابر للثقافات يفتح آفاقًا واسعة للنّمو المشترك، ويؤكد أن التّعلم المتبادل هو أساس لتطور المجتمعات الإنسانيّة.

في النّهاية، يمكن القول إن التّبادل الثّقافيّ يمثل أداة استراتيجيّة لبناء جسور التّواصل والتّعاون بين الثّقافات المختلفة. إنه يعزز التّفاهم والاحترام المتبادل، ويزيل الصّور النمطيّة والتّحيزات، ويحفّز الابتكار والتّقدم المشترك. ومن خلال دعم هذا التّبادل وتشجيعه، وتفعيل الحوار والتّفاعل المباشر بين الحضارات، يمكن تحقيق مستقبل أكثر تفاهمًا وتعايشًا سلميًّا؛ حيث تصبح الفروق الثّقافيّة محرّكًا لإثراء المعرفة الإنسانيّة، وليس مصدرًا للتّنافر والصّراع⁵⁷.

كيفية تعزيز التّلاقح الثّقافيّ: يكشف الصّراع في مجال التّرجمة - حين يُنظر إليه من زاوية التّلاقح الثّقافيّ - عن أعمق توترات الوعي الإنسانيّ تجاه الآخر. فالترجمة ليست مجرد عمليّة تقنيّة لنقل الكلمات من لغة إلى أخرى؛ بل هي فعل وجودي، يلامس حدود الهوية، ويستدعي مواجهة الأسئلة الكبرى حول الذات والغير، الأنا والآخر. لهذا يصبح التّلاقح الثّقافيّ في التّرجمة مجالًا خصبًا للصّراع، لأنّه يضع الثّقافات في تماس مباشر؛ حيث يتجاوز الخوف من الدّوبان مع الرّغبة في الانفتاح، ويختلط هاجس المحافظة على النّقاء مع الحنين إلى المشاركة والإثراء المتبادل.

ولعلّ تجاوز هذا الصّراع يتطلّب الانتقال من منطق التّنازع إلى أفق الحوار، بحيث تُفهم التّرجمة كجسر لا كأداة هيمنة، وكفضاء لتبادل الرّؤى لا كآليّة لتسليع المعاني. فالحوار بين الثّقافات لا يتحقق

⁵⁷ ينظر، محمد العبادي، تعزيز التّبادل الثّقافيّ: بناء جسور في ظلّ اختلافات حضاريّة، الرابط <https://2u.pw/Uzr0x>

فقط عبر الكلمات؛ بل عبر المساحات التي تُنشأ للتعارف والإنصات، سواء في المؤتمرات والملتقيات الفكرية أم في لحظات التفاعل الإبداعي. إن كلّ لقاء بين مترجم ونص هو لقاء بين حضارتين، بين عالمين يتجادلان ويتفاعلان، ولا يمكن لهذا التفاعل أن يثمر إلا إذا بُني على الاحترام والاعتراف المتبادل.

غير أنّ اللغة تبقى العتبة الأولى في هذا المسار. فتعلّم لغة الآخر ليس مجرد وسيلة للتواصل؛ بل هو دخول في نسيجه الروحي والتاريخي، ومحاولة لفهم معناه الداخلي للعالم. حين يفتح المترجم على لغات متعدّدة، فإنه يكتشف أن لكلّ لغة رؤيتها الخاصة، وأن الترجمة ليست عملية نقل ميكانيكي؛ بل حوار أنطولوجي مع اختلافات العقول والقلوب.

ولا يقف التّلاقح عند حدود اللغة؛ بل يتجسد في الفنون والآداب التي تحمل بصمات الحضارات وتجسد تجاربها العاطفية والرمزية. دعم المشاريع الفنية والأدبية العابرة للثقافات يتيح إمكانات جديدة لفهم أعمق للآخر، ويمنح الترجمة بعداً جمالياً؛ حيث لا تكون المعاني فقط موضوعاً للنقل؛ بل موضوعاً لإعادة الخلق المشترك. إن الفن هنا يصبح لغة نالئة، تتجاوز حدود اللغات القومية، وتكشف عن وحدة الإنسان في تعدديته.

وتبقى الرحلة، أو ما يُعرف بالسياحة الثقافية، لحظة اختبار حيّ لهذا التفاعل. فالسفر إلى عوالم جديدة ليس مجرد انتقال في الجغرافيا؛ بل هو انتقال في الوعي. حين يواجه المرء ثقافة مختلفة في موطنها الأصلي، يختبر معنى أن تكون الترجمة حياة يومية؛ إذ تتحول الكلمات إلى جسور لعبور الفهم، وتصبح التجربة ذاتها ترجمة حيّة بين الذات والآخر.

إنّ التّلاقح الثقافيّ في الترجمة، إذن، هو مسار معقد يتجاوز حدود التقنية إلى أفق الفلسفة. هو صراع داخلي بين الرغبة في البقاء ضمن دائرة الهوية، والحنين إلى التوسع في فضاء المشترك الإنساني. وإذا كان الصراع أمراً حتمياً، فإن تجاوزه لا يتم إلا عبر ترسيخ الحوار، والانفتاح على لغات ومعارف جديدة، ودعم التعبيرات الفنية التي تحتضن التعدد، وتجربة السفر كبحث دائم عن الحقيقة الإنسانية المشتركة. هكذا تتحول الترجمة من ساحة نزاع إلى مجال خصوبة، ومن حقل توتر إلى أرضية سلام، تُبنى عليها جسور لا تفصل بين الثقافات؛ بل توصلها إلى أعماق مستويات الفهم والتّلاقح.

وفي ظلّ هذا السياق، لطالما شكّلت الترجمة ذلك الجسر الرفيع الذي تمتدّ فوقه حضارات الأمم، حاملةً في مضامينها روح الثقافات وجوهر المعارف. فهي ليست مجرد نقلٍ آليٍّ للكلمات؛ بل هي عملية إبداعية عميقة تنقل المضامين والرؤى والأفكار عبر حدود الزّمان والمكان، لتخلق حواراً متصلاً بين الشعوب. ومن خلال هذا الحوار، يتحوّل التّلاقح الثقافيّ إلى نسيجٍ خفيٍّ يربط بين الإنسانية في سرديتها المتواصلة؛ حيث تلتقي الحضارات وتتجاوز حواجز اللغة لتُثري بعضها بعضاً.

لقد كانت الترجمة على مرّ العصور وسيلةً أساسيةً لانتقال المعارف والعلوم، فبواسطتها انتقلت كنوز الحكمة الإغريقية إلى العربية، ثمّ عادت منقحةً ومطورةً عبر الترجمات اللاتينية لتُشكّل دعامةً لأوروبا العصور الوسطى. ولم يكن هذا الانتقال مجرد نقلٍ حرفيٍّ؛ بل كان تفاعلاً خلاقاً أضاف إلى المعرفة أبعاداً جديدة؛ حيث استوعبت الحضارة الإسلامية تراث اليونان وعلوم الفرس والهند، ثمّ أضافت إليه من إبداعاتها وعقلايتها، قبل أن تعيد أوروبا اكتشاف نفسها من خلال هذه الإضافات التي نقلها عنها مترجمون مثل جيرارد دي كريمونا Gerard Cremona في طليطلة.

لكن هذا التلاقح، رغم إيجابياته، لم يخلُ من تحديات عميقة. فالثقافات، عندما تلتقي؛ قد تشعر بالتهديد، وكأنّ هويتها تغزوها المؤثرات الخارجية. وهذا الشعور يولّد ردود فعلٍ تتراوح بين الانفتاح والانغلاق بين الاندماج والمقاومة. فالهوية، في النهاية، هي ذلك الكيان الحيّ الذي يتشكّل عبر التاريخ، ويخاف على ذاته من الدّوبان في تيار العولمة الجارف. وقد يتحول هذا الخوف إلى صراعٍ بين الأجيال، أو إلى أزمة انتماءٍ يعيشها الأفراد بين ثقافة الأصالة وثقافة المعاصرة.

ورغم هذه التّحديات، يبقى التّلاقح الثقافيّ ضرورياً لتطوّر المجتمعات، فهو الذي يفتح الآفاق أمام الإبداع والابتكار، ويخلق مساحاتٍ للتّفاهم والتّعاون. فالثّقافة التي تثق بنفسها لا تخاف على هويتها؛ بل تكون قادرةً على انتقاء ما يناسبها من المؤثرات الخارجية، وهضمها ضمن أطرها القيمية الخاصة. وهي بذلك لا تفقد أصالتها؛ بل تكتسب قوّة جديدةً تمكّنها من المشاركة في الحوار الحضاريّ العالميّ.

وفي عصرنا الحالي؛ حيث تسود العولمة وتتدفق المعلومات عبر الحدود بلا قيود، أصبحت الحاجة إلى الترجمة والتّلاقح الثقافيّ أكبر من أيّ وقتٍ مضى. فالجسور التي تبنى بين الثقافات اليوم ليست ترفاً فكريّاً؛ بل هي ضرورةٌ للتّعايش والسّلام. والترجمة، في هذا السّياق، ليست مجرد وسيلةٍ لفهم الآخر؛ بل هي أداةٌ لبناء عالمٍ أكثر انسجاماً؛ حيث تتعلم الشعوب أن تتفاعل معاً في احترامٍ متبادل، وتقديرٍ للتنوع الذي يثري التجربة الإنسانية.

وهكذا، تبقى الترجمة ذلك الفن الرّفيع الذي يجسّد لقاء الحضارات، وهي الشّاهد على أن المعرفة لا وطن لها، وأن الإبداع الإنسانيّ هو ثمرةٌ لتلاقح الأفكار وتفاعلها عبر العصور. فبينما نترجم الكلمات نترجم أيضاً الأحلام والقيم والرّؤى، ونبني جسوراً من الفهم تمتدّ عبر القارات، حاملةً معها الأمل في مستقبلٍ يتسع للجميع.

المراجع:

1. حاتم باسل وسميت، الخطاب والمترجم، ترجمة عمر عطاري، جامعة الملك سعود - الرياض، 1988.
 2. عبد القادر المهيري، الترجمة والتفاعل الثقافي، ضمن كتاب، الترجمة وتفاعل الثقافات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004
 3. فخري لبيب، الترجمة ضرورة حضارية، ضمن كتاب، الترجمة وتفاعل الثقافات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004
 4. ياسمين فيدوح، فن الترجمة، دار أجيال الرقي، الجزائر، 2025
- الرّوابط

محمد العبادي، تعزيز التبادل الثقافي: بناء جسور في ظلّ اختلافات حضارية، الرّابط
<https://2u.pw/Uzr0x>

الترجمة والأفق العالمي الجديد

أ.د. الطيب بودريالة- جامعة باتنة1- الجزائر

المقدمة: الإنسان كائن ترجيحيّ بامتياز، فهو يسعى دوماً لترجمة أحاسيسه ومشاعره وأفكاره ورؤاه عبر لغته وإيحاءاته وإيماءاته ووسائله التعبيرية المختلفة، وبتعبير أدقّ عبر منظومة من الرموز والإشارات والعلامات التي يعبر بواسطتها عن كلّ ما يختلج في جوانبته لتحقيق كينونته والتواصل مع الآخرين والعالم. فالترجمة هي المرتكز والقاعدة التي تتأسس عليها الهوية في مواجهة الغيرية والاختلاف والتنوع. بعد هذا المنطلق الأنطولوجي للترجمة، تأتي مستويات أخرى تتحقّق فيها الترجمة بالمفهوم الدقيق باعتبارها أداة استراتيجية لتحقيق العبور والالتقاء بين اللغات والثقافات والحضارات. بفضل الترجمة تمكّنت الأمم والشعوب من تحقيق التواصل والمثاقفة والإخصاب الحضاريّ. وبفضلها انتشرت عبر العالم مختلف الابتكارات والاكتشافات العلمية، رغم العوائق الجغرافية وبعد المسافات، ورغم تباعد اللسان واختلاف المرجعيّات الإيديولوجيّة والدينيّة والثقافيّة. وقد وصلت الإنسانية إلى ما وصلت إليه بفضل هذا التفاعل الحي وهذه الرغبة الجامحة في معانقة الآخر والتماهي معه اتّصلاً وانفصالاً، تأثيراً وتأثراً، نقداً وإعجاباً، إثراء واستيعاباً، تمثلاً وتجاوزاً. تختزن الترجمة التجارب الإنسانية وتحقّق التراكم لتؤدي في نهاية الأمر إلى نقلات نوعيّة وقطائع معرفيّة مؤسّسة لتحولات علميّة جديدة.

الترجمة مؤسّسة للحضاراتك بدأت المغامرة الإنسانية الكبرى في العهود الغابرة. وقد كان الشرق مهداً لكلّ الحضارات في بداياتها الأولى. إنّ حفريات ما قبل التاريخ تشهد على هذه المراحل الجينيّة التي جعلت الإنسان الأوّل يخرج من اليمن ضارباً في الأرض ومولياً وجهه شطر الشمال مؤسّساً للإرهاصات الحضاريّة الأولى التي كانت الشعوب الساميّة منطلقاً له ومحركاً لطاقتها الإبداعية.

موازاة مع ذلك خرج إنسان شبه القارة الهنديّة من أعماق الأدغال محملاً بلغاته وأساطيره وثقافته ومعتقداته لرفع تحديات الجغرافيا والتاريخ والوجود. فكانت هذه الملحمة الكبرى التي تمثلت في الاستقرار بجنوب أوروبا، وتحديداً في اليونان؛ حيث تحققت المعجزة الحضاريّة، بفضل عوامل بيئية وإنسانيّة وتاريخيّة⁽⁵⁸⁾. احتضنت اليونان عن طريق الاحتكاك بالشرق مختلف المؤثرات الشرقيّة التي انصهرت في بوتقة عبقرية المكان وتفرد اللحظة التاريخيّة. وقد أدى التراجمة والمترجمون والنقلة والوسائط الحضاريّة المختلفة دوراً بارزاً في إخصاب هذا المولود الجديد الذي يعدّ بحقّ الوريث الشرعيّ للشرق الذي أضواء كلّ ما حوله منذ الأزمنة القديمة. وقد اكتشف علماء اللغة في أوروبا في القرن التاسع عشر أنّ كلّ اللغات الأوروبيّة تعود إلى أصول هندية. فهي تنتمي إلى ما يعرف اليوم باللغات الهندو-أوروبية. مسّ هذا

⁵⁸-Roger Garaudy, *Pour un dialogue des civilisations*, Paris, Denoël, 1977.

التأثير مختلف اللغات والمعتقدات والرؤى والأساطير والثقافات. حتى إنّ كلمة أوروبا تعود في أصلها إلى الأساطير اليونانية التي تقول بأن أوروبا هي ابنة ملك صور التي اختطفها زيوس وجاء بها إلى جزيرة كريت، قرب اليونان؛ حيث تزوّج بها وأنجب منها عدّة أبناء.

انتقلت معظم أساطير الشرق الأوسط إلى اليونان ممثلة بأساطير البعث والنماء والإخصاب والحياة. إنّها أساطير بلاد ما بين النهرين والشّام وفلسطين ومصر والتي أعطت رموزاً أسطورية عالمية خلدها التاريخ الإنسانيّ مثل: أدونيس، عشتار، إيزيس، وأوزيريس. وقد استثمر عباقرة المسرح التراجيدي اليوناني من أمثال سوفوكليس وأوربيدس وأسخيلوس، التراث الأسطوري المصري ليعبّروا عن صراع الإنسان مع الوجود ومع القدر⁽⁵⁹⁾. اشتهرت الترجمة عند البابليين⁽⁶⁰⁾ وعند المصريين القدماء الذين كانوا يولون أهمية كبيرة لنشاط المترجمين باعتبارهم نقلة ووسائط ثقافية وحضارية. ويعود الفضل لحضارات الكتابة في الشرق الأوسط وفي اليونان في نقل كنوز حضارات المشافهة وتخليدها عن طريق التدوين والنقل والترجمة. هذا الاحتضان سمح بتحقيق التّواصل بين الحضارات وربط الحلقات المكوّنة للسلسلة التاريخية ودمجها في ديناميكية حيّة وصيرورة فعّالة.

الحضارة الرومانية من جهتها مدينة بكلّ شيء للحضارة اليونانية. فبفضل استراتيجيات الترجمة تمكّن الرومان من استيعاب علوم اليونان وفنونها وآدابها في فترة وجيزة؛ لذلك أقر المؤرخون بوجاهة المقولة المشهورة: "انتصرت روما عسكرياً على أثينا، لكنّها في المقابل انهزمت أمام هذه الأخيرة ثقافياً وحضارياً". لقد تتلمذ الرومان على اليونان في البدايات الأولى وقلّدوهم في كلّ شيء، مستعينين بالترجمة والاستيعاب والتّمثّل والتقليد والتّماهي، قبل أن يتحقّق لهم التّمكن والتأسيس الحضاريّ والسيطرة على جزء كبير من العالم القديم.

إذاً ألقينا نظرة على دور الترجمة في ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة فإننا نجد أنّ هذه الأخيرة قد ورثت كلّ الحضارات السابقة وهيمنت عليها: الهنديّة، الفارسيّة، المصريّة، اليونانية، والرومانية، بفضل الترجمة والنقل والتأثير والاستيعاب والتّمثّل. وقد استطاعت اللغة العربيّة بفضل تفعيل قواعد الاشتقاق والتّعريب والنّحت نقل المعارف الأجنبية واستنباتها في المحضن العربيّ بفضل تبني استراتيجيّة محكمة تقوم على تصنيف الاحتياجات المعرفيّة وترتيب أولويّاتها. كما خضعت المكوّنات الوافدة لرقابة صارمة أملت ظروف وملابسات وطبيعة الاحتكاك بالغيريّة.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نميز بين ثلاثة مستويات في مجال المواجهة بين الدّخيل والأصيل، بين الأنا والآخر، بين الهوية والغيريّة. لقد احتفى العرب أيّما احتفاء بكلّ ما يتعلّق بالمحتويّات والمضامين العلميّة والفكريّة الأجنبية دون تخوف أو تحفظ. كما أبدى العرب إعجاباً كبيراً بالمنهاج العلميّة الوافدة والتي برهنت على قدرتها في توجيه العقل واستثماره في شتى مجالات المعرفة. وكانت نتيجة ذلك ازدهار

⁵⁹-Etiemble, *Nouveaux essais de littérature universelle*, Paris, Gallimard, 1992.

3-Georges Steiner, *Après Babel*, Paris, Albin Michel, 1978.

كثير من المناهج الرياضيّة والوضعيّة والتحليليّة والتّجربيّة. وقد شجع الخلفاء والملوك والأمراء هذا التّوجه التّرجمي (إنشاء بيت الحكمة في بغداد مثلا من طرف المأمون) بهدف الأخذ بأسباب التّمكن المعرفي والحضاري في شتى المجالات. أمّا العنصر الثّالث فهو يتعلّق بمنطلقات المجتمع الإسلامي التي تقوم على التّوحيد والتي ترفض رفضا مطلقا الإحالة على الوثنيّة والشّرك. لذلك رفض النّسق التّرجمي الإسلامي التّعامل مع الآداب الأجنبيّة التي تقوم على الوثنيّة (مثل الملاحم والأساطير والمآسي اليونانيّة، وبعض الأجناس الأدبيّة الفارسيّة).

بفضل التّرجمة استوعب العرب المكوّنات الحضاريّة الأجنبيّة وذوبوها في بوتقتهم وطبعوها بميسمهم الخاصّ، بحيث أصبحت وكأنّها من المكوّنات الأصليّة والأصيلة. ذلك أن الموازين الحضاريّة كانت وقتها تشغل لصالح العرب بدون منازع، لأنّ العالم المسيحي كان يعيش وقتها في عصور الظّلمات⁽⁶¹⁾. التّرجمة العربيّة صانت حضارة اليونان وحفظتها من الضّياع وأضفت عليها رونقا وبهاء وسموا وروحا جديدة.

ساعدت التّرجمة في البداية على الاحتذاء والافتداء والاحتفاء بالمكوّن الأجنبي باعتباره إرثا مهما وإثراء وإخصابا وتمكينا للأمة الإسلاميّة الناشئة الفتية. بعد مرحلة التّتلّمذ جاءت مرحلة الموازنة والمقارنة والتّجاوز التي أدت إلى تأسيس نسق حضاري متميز له ميسمه الخاصّ ومهيمن على كلّ الحضارات⁽⁶²⁾.

قامت التّهضة الأوروبيّة في القرنين الخامس والسادس عشر على التّرجمات والتّقول التي احتضنها إيطاليا باعتبارها بلدا رياديا في هذا المجال. استحضّر الموروث اليوناني الرّوماني عن طريق التّرجمة إلى اللّغة اللّاتينيّة التي كانت وقتها تنافس اللّغة العربيّة حضاريا. وقد أخضع المكوّن العربيّ الإسلاميّ إلى "اللتّنة" أي إفراغه من هويته وأصله وتذويبه كليّة في قالب اللّغويّ اللّاتيني. وهذا يعدّ نوعاً من القتل الرّمزي للغربيّة العربيّة. حتّى إنّ أسماء الرّموز الإسلاميّة لم تسلم من هذا التّحريف والتّشويه. فهذا ابن سينا يتحوّل إلى Avicenne وهذا ابن رشد يصبح Averroes والأمثلة كثيرة في هذا المجال. وهذا يعني أن التّرجمة المسيحيّة قامت بمحو كلّ أثر يحيل على المرجعيّات العربيّة الإسلاميّة، لأنّها ترى فيها تهديدا للهويّة المسيحيّة.

بحثت أوروبا في عصر التّهضة عن الإرث اليوناني لتخصيب نهضتها، لكنها لم تجد إلّا التّزّر القليل. فلم تجد بدا من البحث عنه في التّرجمات العربيّة التي نقلته وأضافت إليه وسمت به إلى مراتب العالميّة والخلود. وحرى بنا في هذا المقام أن نوّكد أن الحضارة الغربيّة التي تشكّلت في العصور الحديثة قامت على ثلاث دعائم:

1- الدّعامة اليونانيّة الرّومانيّة؛

2- الدّعامة اليهوديّة المسيحيّة؛

⁶¹-Geneviève Contamine, (Dir.), *Traduction et traducteurs au Moyen-Age*, Paris, CNRS, 1989..

⁶²ينظر: زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1993.

3- الدّعاة العربيّة الإسلاميّة.

وقد تضافرت هذه المكوّنات الثلاثة لتشكيل هذه الرّوح الحضاريّة الجديدة بفضل التّرجمة والمثاقفة والتّحاور والاندماج الحي داخل المولود الجديد. لكن لاعتبارات دينيّة وإيديولوجيّة، فإن كثيرا من علماء الغرب ينكرون فضل العرب في هذا التّطعيم وهذا الإخصاب.

ويذكر التّاريخ أنّ هناك جامعات، ذات إشعاعيّة عالميّة؛ قد تمكّنت من الاضطلاع بهذه المشاريع التّرجميّة الكبرى لنقل المكوّن الحضاريّ العربيّ إلى أوروبا النّاهضة من سباتها العميق، مثل جامعة طليطلة بإسبانيا وجامعة بادو بإيطاليا. إن احتدام المواجهة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي لقرون طويلة لم يمنع التّرجمة من مد جسور التّواصل الثّقافيّ والحضاريّ بين الطّرفين.

قام العصر الكلاسيكيّ في أوروبا على الرّجوع إلى العصور الذهبيّة عند اليونان والرومان، بفضل التّرجمة والافتداء بالنّزعة الإنسانيّة والقيم الفنيّة والأدبيّة الخالدة. ويظهر هذا جلياً في روائع الآداب الكلاسيكيّة عند شكسبير وراسين وكورناي وموليير. ويعدّ النّاقد بوالو الوريث الشّرعيّ لأرسطو في مجال التّقعيد والتّنظير عند الكلاسيكيّين.

جاء عصر التّنوير، في القرن الثّامن عشر، ليعيد الاعتبار للشرق إنسانيّة وقيما وثقافة وحضارة. وقد استعان أدباء ومفكرو هذا العصر بالمرجعيات الشّرقيّة لمواجهة المملكيّة المستبدة وهيمنة الكنيسة والأفكار الباليّة. ترجم الشّرق بطرق شتى ليقترح بقوة المتخيل الغربي ويحدث فيه رجة كبيرة.

ولا أحد ينكر الزلزال الكبير الذي أحدثته ترجمة ألف ليلة وليلة من قبل الفرنسي أنطوان جالان والتي امتدت على مدار أكثر من عقد (1704-1716). اكتشف الغرب بفضل هذه التّرجمة الشّرق الجديد الشّرق السّاحر، شرق العجائب والغرائب والخوارق، شرق الأميرات السّاحرات والجزر المذهلة. وهكذا تحول الشّرق تدريجيا إلى مكوّن أسطوريّ عجائبي يحيل على جملة من الاستهجمات والتّمثيلات والتّصورات والمواقف والرّؤى الفكريّة والفلسفيّة والأدبيّة. يظهر ذلك جليا في كتابات فولتير مثل الصّديق، وكتابات مونتسكيو، وروسو، وديدرو، ودالانبار وغيرهم من الكتاب التّنويريّين. هذا الزلزال في المتخيل الغربي أدى بالضرّورة إلى ظهور الاستشراق⁽⁶³⁾، لأنّ العرفان يقترن دوماً بالسلطان. وكان نتيجة ذلك انطلاق الحملات الاستعماريّة الكبرى.

التّرجمة مؤسسة للقوميّات الحديثة: يعد القرن التّاسع عشر بحق عصر القوميّات في أوروبا، وقد ساعدت التّرجمة على تحقيق الوعي بالانتماء والتّمييز والاختلاف والهويّة. بدأت بعد عصر النّهضة مرحلة استقلال اللّغات الأوروبيّة المحليّة وانفصالها عن اللّغة الأمّ التي هي اللّغة اللّاتينيّة. ظهرت في البداية في شكل لهجات يطلق عليها اللّغات الرّومانيستيّة، نسبة إلى اللّغة الرّومانيّة. لكن ما لبثت أن استقلت وتشكلت كلغات وطنيّة حيّة بعيدا عن لغة الكنيسة والكنهوت. وكان لترجمة الإنجيل إلى اللّغة الألمانيّة من طرف لوثر وانتشار المذهب البروتستانتي في ألمانيا دور هام في قيام الأمة الألمانيّة وازدهار اللّغة الألمانيّة باعتبارها حاملة لكلّ مقومات الشّخصيّة الألمانيّة.

⁶³--Edward Said, *L'Orientalisme*, Paris, Seuil, 1978

ولإثراء وتقوية هذا اللغات الفتية كان من الضروري إنجاز ترجمات من المصادر والأصول والمناهل نحو هذه اللغات الجديدة. وقد بينت الدراسات التي أجراها برمان على التجربة الترجمة الألمانية في القرن التاسع عشر، كيف أن الأدباء والمترجمين الألمان قد عكفوا طيلة هذا القرن على تفعيل النشاط الترجمي لمد الأمة الألمانية الناشئة بكل ما تحتاجه من مكونات ثقافية وحضارية أوروبية لترقى إلى مصاف الدول الأوروبية الكبرى وتحقيق وحدتها القومية⁽⁶⁴⁾. وقد سعت كل القوميات الأوروبية الناشئة في تلك الفترة إلى الاستعانة بالترجمة لمقارنة الآداب والثقافات الوطنية بالآداب والثقافات الأجنبية وتبنيان الأصالة والتميز والعصرية القومية ولتنمية مقومات الأمة وتخصيبها. وقد كان المناخ الحضاري الأوروبي في هذه الفترة سانحاً ومناسباً لازدهار الترجمة واحتلالها المكانة اللائقة بها على جميع المستويات. إذ أن هناك عوامل حاسمة فرضت الترجمة ومكنتها من أداء رسالتها الحضارية في كل المجالات. ونذكر من بين هذه العوامل:

الروح الكوسموبوليتية، وروح المقارنة، والولع بالتخصص، واكتشاف اللغات والثقافات الشرقية والتوسع الاستعماري، والوعي بالوحدة الثقافية الأوروبية، وانفتاح أوروبا على العالم، وانتشار مبادئ الثورة الفرنسية، وازدهار علوم الأنثروبولوجيا.

بلوغ الترجمة سن الرشد: على الرغم من المسار الملحي الحضاري الذي عرفته الترجمة عبر كل العصور، فإنها لم تبلور في الماضي كعلم قائم بذاته ومستقل له مجاله ومصطلحاته ومفاهيمه ومناهجه وآلياته. اتجهت كل المعارف في القرن التاسع عشر نحو التخصص والاستقلالية بعيداً عن الموسوعة والتصورات العامة التي وسمت المعارف في العصور السابقة. لكن الترجمة بقيت بمعزل عن هذه التحولات المعرفية والقطائع الإستمولوجية.

ظهرت الحاجة ماسة في القرن العشرين إلى تأسيس علم الترجمة على غرار العلوم الأخرى، خاصة وأنه تبين أن الترجمة هي في الحقيقة أم العلوم، وأن العالم قد أصبح يشكل "قريّة كونية" تلحم كل مكوناتها المختلفة مع بعضها البعض في شكل رهيب. في خضم هذه الفوضى الكونية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وما انجر عنها من ويلات وأحوال وزلازل، اتضح لدى المشتغلين بالترجمة أن الممارسة الترجمة الحقيقية الميدانية لا تؤدي الأهداف والمقاصد المنوطة بها في جو يسوده التشرذم والتشظي وتحيط به الفوضى من كل جانب.

مع منتصف القرن العشرين بلغت الترجمة سن الرشد وأخذت تبتعد تدريجياً عن العلوم والمعارف التي كانت تستظل بها في السابق، مثل اللسانيات التطبيقية وفقه اللغة والفلسفة والنقد والأدب وعلوم السياسة والاتصال. كما دخلت الجامعات باعتبارها تخصصاً استراتيجياً لا تستطيع المجتمعات الاستغناء عنه؛ كما أنشئت المعاهد والمراكز المتخصصة في هذا المجال لتكوين المترجمين في شتى اللغات وفي شتى التخصصات: السياسية والديبلوماسية، الاقتصاد والقطاع المصرفي، الإشهار والإعلام، الثقافة

⁶⁴- Antoine Berman, *L'Epreuve de l'étranger*, Paris, Gallimard, 1984.

الجماهيرية،... إلخ.

نشطت حركة الترجمة في العالم العربي منذ عصر النهضة في القرن التاسع عشر. وكانت مصر سباقة في هذا المجال؛ إذ أسست مدرسة اللسان وشجعت الترجمة في مختلف المجالات بهدف الالتحاق بالركب الحضاري الغربي. ولا أحد ينكر أن النهضة العربية الحديثة قامت على ترجمة المكونات الثقافية والعلمية والحضارية الغربية عن طريق الإرساليات والثقافة والتأثر والأقلمة والاستنبات.

استطاعت دول الشرق الأقصى أن تحقق معجزة انطلاقها الاقتصادي التكنولوجي عن طريق الترجمة (اليابان، كوريا الجنوبية والصين). ولم تعد الترجمة عند هذه الشعوب الواعية نوعاً من الترف أو شيئاً من الكماليات؛ بل أصبحت مرتبطة بمصير الأمة وبمستقبلها وبوجودها.

الترجمة وتحولات العصر: الترجمة كغيرها من العلوم الحية تواجه دوماً مآزق وأزمات تضمن المراجعة وتجدد الطاقات الإبداعية وتشجذ إرادة رفع التحديات المختلفة.

وهذا شيء طبيعي لأنها تتقاطع مع حقول معرفية متنوعة ومتعددة المشارب والمرجعيات ولأنها كذلك مرآة عاكسة لإمكانيات اللغة اللامحدودة في التعبير وفي التدلال. ذلك أن المترجم لا يترجم لغات منفصلة عن العالم وعن الصيرورة الإنسانية؛ بل يترجم نصوصاً وخطابات وثقافات ورؤى وإيديولوجيات وحضارات، في سياقات وموازين قوة معينة تهيمن عليها سلطات تداولية قائمة على لعبة الإغواء والتحكم والمواجهة والسيطرة (بالمفهوم الحقيقي والرمزي).

ويبدو أن نظريات الترجمة المدعمة بالتراكم المعرفي الذي تحقق في كل المجالات تتجه بكل ثقة نحو تجاوز بعض المنطلقات المبدئية الخلافية لتحقيق التوافق والحوارية والتناغم المثمر. وهكذا يسعى المترجمون اليوم إلى تجاوز بعض الثنائيات الضدية العقيمة، مثل: الترجمة الحرفية، الترجمة الحرة الترجمة الوفية للغة الأصل، الترجمة الوفية للغة الهدف، الترجمة الممكنة، الترجمة المستحيلة⁶⁵... إلخ. وهذا يعني أن الترجمة واعية على الأقل نظرياً وابستمولوجياً، بضرورة تحقيق توافق وتعايش بين كل مكونات المعادلة الترجمية، لإنجاز الحوار الثري المثمر بين الهوية والغيرية، بين الأصل والدخيل، بين الخصوصية والعالمية، بين المركز والتخوم، بين الجذور والآفاق العالمية الواسعة. فالترجمة تتأرجح بين قوى الجذب وقوى الطرد، بين المتناهي في الصغر والمتناهي في الكبر، أمله في تحقيق وعي إنساني حقيقي بالرهانات الخطابية والحضارية والإيديولوجية في ظل عالم تتفاعل كل مكوناته في شكل رهيب.

الترجمة والأفق العالمي الجديد: ليست الترجمة جزيرة نائية معزولة عن العالم؛ بل هي فضاء مفتوح تتصارع فيه كل التيارات الفكرية والسياسية والإيديولوجية. وقد أصاب العالم الإيطالي أمبرتو إيكو عندما أعلن أن الترجمة هي اللغة الوحيدة المهيمنة في عالم اليوم. فهي بحكم وضعيتها البيئية والتواصلية تكثف وتختزل كل المكونات الحضارية العالمية. وعليه، فإننا لا نستغرب عندما نلاحظ أن عشر الإصدارات العلمية في العالم الغربي ينتهي إلى حقل الترجمة، خاصة في البلدان المتطورة. إلى حد أنها أضحت هاجساً يؤرق إنسان القرن الواحد والعشرين وهو يواجه هجمات العولمة الشرسة التي تحاصره من كل جانب.

65- محمد بن عبد الله آل عبد اللطيف، "الترجمة بين الشكل والتفسير" منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1492.

الترجمة هي كما يقال "نتاج منتج" ومعنى ذلك أنها وليدة ظروف وملابسات وسياقات تاريخية وحضارية معينة. فهي لا تتحقق طفرة واعتباطا. فهي تواكب المستجدات الثقافية والعلمية وتعكس الإنجازات والتطورات التي تتم في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى الدقيقة، فهي تنتهي على حد قول الماركسيين، إلى الأبنية الفوقية التي تتحكم فيها الأبنية التحتية العميقة المتمثلة في القاعدة الاقتصادية وفي قوى الإنتاج. هذه الجدلية الحية تتيح أيضاً للترجمة قدرة كبيرة في التأثير على مجريات الأمور وفي توجيه النشاطات الثقافية والفكرية والعلمية وجهة معينة.

إنّ ازدواجية في الصفة وفي الفعالية تجعل من الترجمة مرآة عاكسة لزخم التطور وفي الوقت ذاته محركاً للحياة لارتداد آفاق المستقبل وتحقيق التحوّلات الثقافية والحضارية. ويحدث في كثير من الأحيان أن تكون الإنجازات العلمية المتحققة في حقل الترجمة منطلقاً حاسماً لتخصيب تخصصات علمية وفكرية واعية في حقول كثيرة مثل الأدب المقارن نظرية الأدب، النقد الأدبي، الأنثروبولوجيا، الإعلام، الاتصال، علم الإشهار، المثاقفة.. إلخ. وقد قدمنا أمثلة عن دور الترجمة في التأسيس الحضاري وفي النهضة وفي البعث الثقافي وفي التحوّلات الفكرية الكبرى. وسعياً منا لبلورة مكونات الأفق الترجمي الجديد في ظلّ النظام العالمي الجديد الذي يهيمن عليه قوى العولمة، فإننا نعرض لبعض القضايا الجوهرية التي تعد من قبيل التّحديات الحقيقية والرّهانات الكبرى التي تواجهها الترجمة اليوم:

1- تمكنت الترجمة من التحرر من النظرة الضيقة التي كانت تتحكّم في السابق في الممارسة الترجّمية والتي كانت تقوم على الاهتمام بالجزئيات وبالبني الدّرية مثل الكلمات. أدرك المترجم أنّه لا يترجم لغات محضة معزولة عن العالم وإنّما يترجم أساليب وخطابات ونصوصاً وثقافات وحضارات تتحاور وتتعالق في سياقات وموازين قوّة معينة تهيمن عليها سلطات معرفيّة تداوليّة أيديولوجيّة ومؤسّساتيّة. كما أدرك الرّهانات الصّعبة للترجمة الأدبيّة: كيف يمكن ترجمة التّشبيه والاستعارة والكنائيّة والجناس والطّباق والتّوريّة والمحسنات البديعيّة والإيقاعات الشعريّة؟ وتتعدد الأمور أكثر مع الترجمة التي تتمّ بين لغات متنافرة ومتباعدة في الزّمان والمكان والمرجعيات الحضاريّة، مثل اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة. فالأولى تنتهي إلى أسرة اللّغات السّاميّة والثّانية تنتهي إلى أسرة اللّغات الهندو-أوروبيّة. هذا التّباعد في الأصول والمنابع والبيئات يجعل من الترجمة عمليّة شبه مستحيلّة. لذلك درج علماء الترجمة منذ مدة على التّعامل مع هذه النّصوص بكثّر من الحيطة والحذر والشك بعيداً عن اليقينيّات والحقائق والأحكام المطلقة. فالترجمة لا يمكن أن تكون إلا ترجمة خائنة وسرابيّة وانزياحيّة. لكن يمكن للخيانة أن تكون إبداعيّة ومؤسّسة لمخيّل أدبي ثري وفريد من نوعه⁽⁶⁶⁾.

2- لقد أدت التّحوّلات الفكرية التي أفرزتها ما بعد الحداثة وخطاب النّهائيات والمابعديات (post) إلى مراجعة كثير من اليقينيّات والمسلمات المعهودة، والتي كانت تعد من قبيل البديهيّات في السّابق. لقد أدت فكرة موت المؤلّف إلى فكرة موت المترجم. كما طال التّدنيس النّص الأصليّ الذي فقد قدسيّته وهالته السّحريّة. عدت الترجمة في السّابق مسخاً وتحويراً. أمّا اليوم فقد استطاعت الترجمة التّحرر من

⁶⁶- Georges Mounin, *Les Belles infidèles*, Paris, Presses Universitaires du Septentrion, 1952.

التنائيات والقوالب التي سجنها لقرون طويلة وذلك بتخليها عن المقولات الخاصة بالأصل والدّات والمعنى والهوية. ومن هذا المنطلق أضى النص المترجم لا يقل أصالة وقيمة وإبداعا عن النص الأصلي الذي فقد فرادته وعذريته لأنه يتموقع داخل سلسلة من التناسلات اللّاهائية واللامحدودة. ويعود الفضل في ذلك إلى التفكيك وإلى النقد الثقافي وإلى نظريات الخطاب الجديدة في السّمو بالترجمة إلى مستوى التّحديات المعرفيّة الحقيقيّة وتحقيق المراجعات الكبرى.

3- أسهمت كلّ من نظريّة التّلقي ونظريّة التّأويل في فتح آفاق واعدة للممارسة التّرجميّة، ممّا وجه اهتمام المترجمين إلى المتلقي وسياقات التّقبل والاستيعاب والتّمثّل. انتقلت الدّراسات النّقدية والثقافية من أسطورة المؤلّف إلى أسطورة القارئ باعتباره مفعلا للنّص ومنجزا له عن طريق التّحيين والفهم. والمترجم ما هو في الحقيقة إلّا قارئ متميز ومقتدر باستطاعته فك شفرات النصّ الأصليّ وطلاسمه. وقد ساعدت الدّراسات الثقافيّة التي ازدهرت في العالم الأنجلو- سكسوني في النّصف الثّاني من القرن العشرين على إيلاء أهميّة كبرى للثقافة المستقبلية بغية الاندماج فيها لتحقيق التّواصل الحي والفعال، وإنّ تطلب ذلك التّضحّيّة بالوفاء للنّص الأصليّ. ومن هذ المنطلق، فرضت التّرجمة الثقافيّة نفسها باعتبارها أفقا جديدا يستحيل تخطيه. ويمثّل هذا الاتّجاه عالم التّرجمة الأمريكي أوجين نيدا الذي انتقد التّراث التّرجمي المسيحي المتشبع بهاجس الوفاء للنّصوص المقدّسة الأصليّة، لتحقيق مقاصد تبشيريّة تدمج التّعاليم المسيحيّة كلّية في ثقافات الجماعات البشريّة المستهدفة بالتّنصير. ويعكس هذا الموقف استراتيجيّة تواصلية ذكيّة تهدف قبل كلّ شيء إلى نشر المسيحيّة على نطاق واسع في البلدان الإفريقيّة والأسويّة⁽⁶⁷⁾.

4- تواجه التّرجمة اليوم خطرا داهما يتمثّل في استغلال التّكنولوجيا والإعلام الاليّ لإنجازترجمات آليّة. والمتأمل لهذا النوع من التّرجمة يجد أنّها تبتعد كلّ البعد عن روح التّرجمة الإنسانيّة الحيّة. فتراكيها الجافة والمحنطة تفتقر كلّية إلى نبض اللّغة وروحها وحيويّتها. فهي قد تفيد إلى حد ما في الحقول التّقنيّة لكنها تبقى عاجزة كلّ العجز عن أداء مهمتها في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة وفي الفنون والآداب وفي الأشكال الرّمزيّة. التّرجمة الآليّة تعطينا صيغا باليّة وهياكل عظميّة بدون روح وبدون شحنة إنسانيّة. وتتجه التّرجمة اليوم كذلك إلى الاعتماد على لغات التّخصّص لأن كلّ حقل معرفي له مصطلحاته ومعاجمه ومفاهيمه وقواعده الدّلاليّة المحكمة.

5- أصبحت التّرجمة في عصر العولمة ممارسة دوليّة عابرة للقارات ومتعاليّة على الدّول لتنميط العالم وتغريبه وصوغه في أغلب الأحيان وفق النّمودج الثقافيّ الأمريكي، متطلعة إلى القضاء على كلّ الخصوصيّات القوميّة والإيديولوجيّة والثقافيّة والحضاريّة وفرض ثقافة جماهيريّة استهلاكيّة تشيؤ الإنسان وتهيمن على كينونته وعلى كلّ أبعاده الرّوحيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والنّفسانيّة ليصبح ريشة في مهب الرّيح تذروها الرّياح كيفما تشاء. العولمة هي تنميط واقتلاع للجذور وتغريب واستلاب وتذويب. إنّها الفوضى الخلاقة التي تعيد تشكيل ذرات العالم المتناثرة بغية التّحكم فيه وإدماجه في كيان جديد تسهل

⁶⁷ - Eugene A. Nida, *Contexts in Translating*, Amsterdam, J.Benjamins Publishing, company, 2002.

السيطرة عليه.

ومن الأسلحة الخطيرة والفتاكة التي تستعملها العولمة على نطاق واسع نجد سلاح الإشهار. لقد فرضت الإمبراطورية الأمريكية اقتصاد السوق على العالم مستعينة في ذلك بسلاح الإشهار الذي أضحى بمثابة سلاح الدمار الشامل. انفلت الإشهار من الإقليمية الضيقة وعبر الحدود الوطنية والإقليمية ليخاطب الأمم والشعوب في لهجاتها المحلية وفي لغاتها الوطنية عن طريق الترجمة التي تنشط على جميع المستويات: المستوى المحلي، الجهوي، الإقليمي، الوطني والعالمي. وهكذا نعيش ظاهرة "تدويل الترجمة" وعولمتها في شتى المجالات. أصبحت الترجمة أداة طيعة في أيدي المراكز المصرفية والمالية والاقتصادية. والترجمة هنا هي أبعد ما تكون عن الحياد، لأنها تحمل قيما وشحنات إيديولوجية وثقافية معينة. وهي أداة من أدوات التنميط والإدماج والتحكم التي تستهدف السيطرة على الذائقة الفنية وعلى الأحاسيس والمشاعر والرؤى والسلوكيات، لصوغ الإنسان "المعولم" الذي يخضع في تصرفاته لما يعرف بالمنعكس الشرطي (البهافيوريسم، أي السلوكية التي تقوم عليها نظرية بافلوف) وكنتيجة لذلك نلاحظ اضمحلال ملكة النقد والتمييز وانهيار قدرات الإنسان في المقاومة وفي مواجهة تحديات الوجود. ويبدو هذا جليا في إشهار وسائل الإعلام التي تقوم على الوسائط الساخنة.

وتستثمر الترجمة الإشهارية أحدث الإنجازات العلمية في حقول علم الاتصال والسبرنتيكا، وعلم النفس والأنثروبولوجيا الثقافية، والسيمولوجيا واللسانيات، وعلم الأساطير والصورولوجيا، وعلم الذكاء الاصطناعي. ومما يزيد من خطورة هذه الاستراتيجيات الترجيمية هو ارتكازها على الثقافة السمعية البصرية التي تهيمن على العالم وعلى وسائل الإعلام الساخنة والباردة وتوجه الرأي العام الوطني والدولي. وهي تنقل الصورة وترجم اللغات المرافقة لها والمدمعة لها إلى مختلف لغات العالم. وهكذا تغزى هذه الثقافات في عقردارها من قبل ثقافات إشهارية فتاكة بحيث تتم عملية اختراق الكيانات والهويات عن طريق الدبلجة والترجمات المكتوبة والمنطوقة. وهذا يعني أن الترجمة قد أصبحت ظاهرة شعبية جماهيرية تعدت نطاق النخب ونطاق الكتب، والمقروئية التقليدية. وقد عد أينشتاين القنبلة الإعلامية أخطر من القنبلة النووية.

6- الغرب يترجم الشرق انطلاقا من القتل الرمزي للغيرية وتعبيرا عن إسقاطات سيكولوجية وعن استهجمات خفية وهاجسية. الترجمة هنا تكريس لعقدة التفوق والاعتداد بالنفس ونزعة الهيمنة وهي أبعد ما تكون عن رغبة في التواصل والتحاور مع الآخر. يغلب على هذه الترجمات جانب التعلق بالغرائبي والعجائبي والخارق والمذهل، لرسم معالم إنسانية فولكلورية بدائية آيلة للانقراض والتي يجب أن تخلص كمعالم أثرية قبل أن توضع في متحف التاريخ. إن هذا المنظور الترجيمي يميل بطبعه إلى إفراغ هذه الشعوب الحية من ديناميكيتها وحيويتها ومقاومتها وتحنيطها داخل الأطر الإثنوغرافية الميتة التي ينهر بها الإنسان الغربي المتعطش لكل ما هو سحري وبدائي وإكزوتيكي، لدغدغة الغرائز والميولات الخيالية والترجسية المهمة. فالترجمة من هذه الزاوية هي بمثابة بطاقة بريديّة موجهة للسواح الأجانب لإغرائهم بهذه العذرية وهذه النظارة وهذا التوحش.

7- في المقابل يسعى العالم الثالث إلى اللحاق بالركب الحضاري عن طريق الترجمة والنقل وتحقيق

التراكم المعرفي لأنّ التّحكم في التّكنولوجيا وفي المعارف العصريّة يقتضي أقلمة العلوم وترجمتها وإدماجها في الكيان الأصليّ للأمة. لكن ما نلاحظه في الغالب هو سياسة التّشردم والتّشتت واللاوعي في تبني المشروع التّرجمي. ورغم الجهود المبذولة من قبل مجامع اللّغة العربيّة في العالم العربي في هذا المجال، فإنّ النّتائج ليست في مستوى الآمال والتّطلّعات نظراً لغياب استراتيجيّة محكمة في التّرجمة تحدّد الأهداف والمقاصد وتضع الوسائل والآليّات والإمكانيّات لتحقيق المقاصد والغايات المنشودة.

ورغم التّراكم المعرفي المتحقّق في هذا المجال ورغم الجهود التّرجميّة والإنجازات المحقّقة، فإنّ التّرجمة لم تستطع أن تخصص مشروعاً تنويرياً جديراً بالاهتمام، لأنّ الحلم التّهمسوي كلّ لا يتجزأ بحيث يجب عليه حشد كلّ الشّروط والقدرات والإمكانيّات والطّاقات التي تتفاعل وتنصهر داخل بوتقة تنمويّة ونهضيّة لدفع عجلة التّاريخ نحو الانطلاقة الحضاريّة الحقيقيّة المأمولة.

آفاق: ومهما كان الأمر فإنّ التّرجمة، على غرار كلّ العلوم الأخرى تبقى سلاحاً ذا حدين، قد يستعمل في أغراض الخير والازدهار والتّفاهم والتّواصل، وقد يستعمل في أغراض الشرّ والهيمنة والتّضليل والإقصاء والدمار. نفرق في هذا الصّدّد بين العالميّة والعولمة. فالأولى تعني قبل كلّ شيء التّشبع بالقيم الإنسانيّة الأصيلة التي تعبر عن تطلّعات الإنسان نحو التّحرر والخيريّة والتّضامن والمثل العليا التي تلتقي حولها كلّ الشّعوب والأمم والتي تعبر عنها الآداب والفنون والأشكال الرّمزيّة الخالدة. والعالميّة تقاس عمقا وأصالة وتواصلاً وتجنّزاً.

أمّا العولمة فهي مرحلة متقدّمة من مراحل التّحول الرّأسمالي؛ حيث يسيطر اقتصاد السّوق وتهيمن الشّركات المتعدّدة الجنسيّات وتتقلص الرّقعة الأرضيّة وتتفاعل كلّ مكوّنات العالم مع بعضها البعض في شكل رهيب. تصبّ العولمة كلّ شيء في قوالب معرفيّة واقتصاديّة وتواصلية جاهزة. وتعني أيضاً طغيان تيار تنميطي جارف يأتى على الأخضر واليابس ويفرض قيم الاستهلاك والتّشيؤ والاغتراب والاندماج في كلّ المجالات: الذّوق السّلوّك، التّصور الرّؤيّة، التّمثيلات، الفن، الفكر... إلخ. كما يسعى هذا التيار إلى اجتثاث الجذور والهويّات والكيانات المحليّة، بهدف القضاء على التّنوع والاختلاف.

إنّ كلّ فعل يؤدي بالضرّورة إلى رد فعل، فبفضل غريزة البقاء وإرادة الحياة، ترفض الخصوصيّة الانقراض والزّوال والتّلاشي وتلجأ إلى تبني استراتيجيّة المقاومة والمواجهة، رغم أن موازين القوّة ليست في صالحها. نحن أمام قوتين متصارعتين: قوّة الطّرد المركزيّة التي تسعى لتذويب العالم وعولمة كلّ شيء من جهة، وقوّة الجذب المركزيّة التي تمجد الجذور والهويّة والعراقة والتّنوع، من جهة أخرى.

الأسلحة هنا غير متكافئة لاختلال الموازين، لكن كما يقول المثل اليوناني القديم: "إنّ الإنسان مقياس كلّ شيء" أي أن الإيمان بالنّزعة الإنسانيّة وبإمكانيّات الإنسان في صنع التّاريخ وفي التّحكم في مصيره هي إمكانيّات لا نهائيّة. وقد أدركت شرائح اجتماعيّة هامة في العالم أنّه يمكن ترشيد العولمة وتوجيهها وجهة إنسانيّة جديدة تخدم السّلام والرّفاهيّة والعدالة والتّفاهم بين الشّعوب والتّعدديّة الثقافيّة. فظهر ما يسمى بالعولمة البديلة باعتبارها طوباويّة جديدة تستثمر انتصارات العقل وقدرات التّكنولوجيا لرسم معالم المدينة الفاضلة والمجتمع السّعيد.

التّرجمة مطالبة بالانخراط في هذه الصّيرورة الإنسانيّة الحبلية بكلّ التّحدّيات وبكلّ الوعود خاصّة

وأن الإنسانية بكلّ تجلياتها المختلفة تجد نفسها اليوم داخل سفينة واحدة. والترجمة مطالبة أكثر من غيرها من المعارف الاستراتيجية الرائدة بتحقيق الانفراج واستشراف الآفاق وحمل مشعل الإنسانية المستقبلية المحكوم عليها بالتّحاور والتّعدد وتقبل الاختلاف والتنوع داخل وحدة النوع الإنساني والثّوابت الإنسانية الخالدة.

المراجع:

1- باللغة العربية

- زيغريد، هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1993.
- محمد بن عبد الله، آل عبد اللّطيف، "الترجمة: بين الشّكل والتّفسير" منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1992.
- أولريش، بك، ما هي العولمة، ترجمة: د. أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا). 1999.
- بن عيسى، حنفي، التّرجمة في مضمار الحضارة بين الاستعراب والاستجمام، الموقف الأدبي، عدد 227-228، 1990، دمشق.
- بوطاجين، السّعيد، التّرجمة والمصطلح، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.
- جون، توملينوس، العولمة والثّقافة، ترجمة: إيهاب عبد الرّحيم محمد، عالم المعرفة، الكويت، 2008.
- جيرار، ليكلرك، العولمة الثّقافيّة، الحضارات على المحك، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس. 2004.
- حماد، أحمد، التّرجمة الأدبيّة بين قيود النّص وحرية الإبداع، عالم الفكر، عدد 4، مجلد 30، أفريل- يونيو 2002، الكويت.
- خمري، حسين، جوهر التّرجمة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، 2009.
- الديدوي، محمد، التّرجمة والتّواصل، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء/ بيروت، 200.
- شيخ الشّباب، عمر، التّأويل ولغة التّرجمة، دار الهجرة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دت، بيروت.
- المجلس الأعلى للغة العربيّة، (الجزائر)، أهميّة التّرجمة وشروطها إحيائها، الجزائر، 2004.
- نيومارك، بيتر، الجامع في التّرجمة، ترجمة حسن غزالة، دار الحكمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، دت، طرابلس.

Roger Garaudy, *Pour un dialogue des civilisations*, Paris, Denoël, 1977.

Etiemble, *Nouveaux essais de littérature universelle*, Paris, Gallimard, 1992.

Georges Steiner, *Après Babel*, Paris, Albin Michel, 1978.

Geneviève Contamine, (Dir.), *Traduction et traducteurs au Moyen-âge*, Paris, CNRS, 1989

Edward Saïd, *L'Orientalisme*, Paris, Seuil, 1978.

Antoine Berman, *L'Épreuve de l'étranger*, Paris, Gallimard, 1984.

Georges Mounin, *Les Belles infidèles*, Paris Presses Universitaires du Septentrion,

Eugene A. Nida, *Contexts in Translating*, Amsterdam, J.Benamins Publishing, c
Company, 2002.

خطاب الترجمة: نشاط لغويّ وفعل تأويليّ إبداعيّ وموقف إيديولوجيّ

د. أمين محمد الطاهر عثمان
أستاذ الأدب والنقد المساعد،
قسم اللغة العربيّة، جامعة حائل

إنّ الترجمة في المطلق هي وسيط بين الثقافات، ونافذة الذات على الآخر، نافذة للغة المترجمة على اللغة المترجمة، حتّى في حال الترجمات غير الموفقة أو المفتقرة إلى الدقة؛ بل يمكن عدّها من أهمّ قنوات التثاقف، التي تسمح لأيّ خطاب أو نصّ أن يعدل عن نطاق الاستعمالات العاديّة، إلى نطاق الأعمال الإبداعية الخالدة. إنّنا لا يمكن أن نتصوّر عالماً خلّوا من فعل الترجمة، لا بدّ أن يكون عالماً غثاً رثاً، باعتباره حشداً من الكيانات الثقافيّة واللغويّة المغلقة على نفسها النائيّة عن غيرها، عالم دون ترجمة ستسكنه لغات فارغة، هزيلة المعاني، ضيّقة المباني، منحسرة الخيال، لا أفق لها ممتدّاً تقليديّة في طرائق تحمّلها للمعاني وأساليبها وصيغها، وكذا في دلالاتها ومضامينها، عالم دون ترجمة لا يمكن للثقافة إلّا أن تنكفى على ذاتها وتتحجّر.

وبناءً عليه، فإنّ فعل الترجمة بالمقوّمات والخصائص المذكورة: فعل إبداعيّ، ونشاط لغويّ، وموقف إيديولوجيّ. إنّ فعل إبداعيّ، لأنّه ينقل الإبداع من لغة إلى لغة، ومن وسط ثقافيّ إلى وسط آخر، وهو نشاط لغويّ لأنّه يشتغل على اللغة الواحدة، وبين اللّغات المختلفة، ذلك أنّ الترجمة حالة وممكنة داخل اللّسان الواحد من حيث كونها تأويلاً للخطابات والنصوص، التي تحمل أكثر من معنى. إنّ امتلاك الإنسان للّسان وتنوّع الالسن واختلافها يجعل اللغة من صميم الوجود، أو على حدّ تعبير هيغل تسكن الوجود، مثلما تطالعنا مسلّمة أخرى عند جورج شتاير تعضد ما أسلفنا قوله، حين يُشير إلى "وجود الترجمة يبرّره كون البشر يتكلّمون لغات مختلفة، وأخيراً هو موقف إيديولوجيّ، لأنّه ينقل الرّؤى الخاصّة للعالم من لغة إلى أخرى. مثلما تأكّد النّظر إلى الترجمة، اليوم، وأكثر من أيّ وقت مضى، بأنّها قاطرة التّقدّم التي تقود الأمم إلى الأمام في معاركها ضدّ التّخلّف، وتحقيق أهداف التّنميّة وأبعادها القريبة والبعيدة، اتّساقاً مع المتغيّرات الكونيّة التي جعلت العالم قريةً كونيّة صغيرة، فكان من الطّبيعي أن تربو عمليّة الترجمة وتنوّع معارفها وتتعدّد مسارات البحث العلميّ فيها واتّجاهاتها، خصوصاً فيما يتعلّق بالأواصر العاقدة بين الأمم المتقدّمة بالعالم المتخلّف، وارتفاع صوت العالم الذي كان غارقاً في سبات التّبعيّة العميق، ليسوّج حضوره الصّاعد. وبناءً عليه، فقد ارتأينا أن نتناول بالبحث مداخلتنا الموسومة

ب"خطاب الترجمة: نشاط لغويّ وفعل تأوليّ إبداعيّ وموقف إيديولوجيّ"، وهو ما استدعى معالجته على النحو الآتي:

تناولنا في العنصر الأول، الموسوم بالترجمة: لغة واصطلاحاً وتمثّلات، تبين مفهوم الخطاب، ثمّ مفهوم الترجمة ومفهوم التأويل والإبداع وأيديولوجيا، وذلك باختصار شديد، لما في إجلاء معميّاتها وإبراز دلالاتها ونسيج ترابطاتها واشتباكها من بناء للدلالة وتشكيل للمعنى، ومعنى المعنى.

وأما العنصر الثاني، الذي وسمناه بالترجمة نشاطاً لغويّاً قائماً على الفهم والتّفهم، فقد اخترنا أن نقاربه وفق عنصرين فرعيّين، هما: أولاً الترجمة فهم وصفاء للقنوات بين الأنا والآخر، وثانيهما الترجمة وانفتاحها على التعدّد المرجعي والسيّاق.

وأما العنصر الثالث الموسوم بالترجمة بوصفها خطاباً للتأويل والإبداع، فقد أثرنا أن نحلّل في إطاره عنصرين مهمّين، وهما: أولاً الترجمة الحقّ فعل تعريب لا نقلاً حرفيّاً عن اللّغات، وثانيهما الترجمة خوون بالضرورة.

وفي العنصر الرابع والأخير، الموسوم بالترجمة بوصفها موقفاً إيديولوجيّاً، فقد عالجنّا فيه ميلاد المثقّف العالميّ القافز فوق أسور اللّغات والثّقافات، المارّ عبر القيم المحليّة لصياغة القيم الكونيّة. ثمّ أشفعناه بالحديث عن زاد المترجم ومعارفه الضّروريّة، المستوجبة، لرصد الأيديولوجيا العالقة بظاهر الخطاب المكتوب ومضمرات بنيّاته الدّاخليّة والمترادة لأعطافه وطبقاته المختلفة، ثمّ سنبرز قيمة تملّك المترجم لآليّات النّقد الثّقافيّ، ودورها في تفكيك الخطاب الكولونياليّ.

وفي الخاتمة، سنقدّم جملة من الخلاصات والاستنتاجات المتّفقة مع ما فصلّنا الخطاب فيه، في مسار تحليلنا للقضايا المثارة في مداخلتنا.

١) الترجمة: لغة واصطلاحاً وتمثّلات

الترجمة لغة واصطلاحاً

أمّا في ما يتعلّق بمصطلح "ترجمة"، فقد ورد الفعل ترجم والاسم منه في لسان العرب: "يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والشّخص يسمّى التّرجمان، وهو الذي يفسّر الكلام". وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: "الترجمة كعنفوان: المفسّر، وترجمه وترجمعنه، والفعل يدلّ على أصالة التّاء". غير أنّ المعاجم العربيّة لا تقدّم تاريخاً عامّاً أو مفصّلاً لتطوّر معاني تلك الكلمات ودلالاتها على غرار بعض المعاجم مثل The shorter Oxford English Dictionary، وقد ورد لكلمة ترجمة معنى عام هو

فسر وأبان وأوضح في حين لا نجد لهذه الكلمة موقعا في استخدامات ابن النديم، في فهرسته وإنما استعاض عنها بـ"النقل" فيقول: "أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي" ويشفع في موضع آخر، قائلا: "أسماء النقلة من الفارسي إلى العربي."

وبناء على ما تقدّم، نفهم أنّ كلمة ترجمة تعني اليوم، نقل الكلام من لغة إلى لغة، مفردات أنصوصا أو كتبا كاملة. إنّ كلمة ترجمة مصطلح عربيّ وأصيل، جاء ذكره في اللغة الأكاديمية وفي اللغة الآرامية والسريانية وفي العبريّة والحبشيّة ومعناها الأصليّ: تفسير الكلام. وكلمة ترجمة في تلك اللغات القديمة هي: كلمة ترجمانو (الواو علامة الرفع). وتأتي التاء فيها بالفتح أو بالضّم. كذلك تأتي الجيم فيها مفتوحة أو مضمومة. أمّا في الآرامية أو السريانية والآرامية اليهوديّة فهي: ترجمانا (بفتح التاء في السريانية، وضّم التاء في الآرامية واليهوديّة ثمّ بإمالة الجيم فيهما). وعلى الأغلب أنّ الكلمة انحدرت من الأكاديمية إلى العرب الجاهليّة، أو أنّها رحلت مع الأكاديميين إلى اليمن ثمّ إلى جنوب العراق.

إذن؛ للترجمة معنيان: سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته، ثمّ تفسير الكلام أو شرحه أو نقله من لغة إلى لغة.

إنّ الترجمة فنّ دون ريب. وهي بحاجة إلى ممارسة ومران دائمين، وهي كذلك بحث علميّ عندما تتوافر على جملة من الخصائص والمميّزات. أولى هذه الخصائص هي أن يشكّل النصّ الأصليّ المترجم، موضوع تحدّي وضرورة ماسّة، من حيث الشكّل أو المضمون، أو هما معا. على سبيل المثال حينما يُعنى النصّ بفرع من فروع المعرفة العلميّة الاتصاليّة أو التكنولوجيّة الترابطيّة الجديدة، حتّى وإن كان النصّ فلسفيّا أو أدبيّا لكنّه مكتوب بلغة مبتكرة أو عصيّة أو بلغة غابرة مثل أسجاع الكهان، وثانيا عندما تمسّ حاجة النصّ المترجم إلى تفسير أو شرح أو تقديم له بقلم صاحبه من أجل تجليّة أبعاده ورفع أيّ التباس مضمونيّ، وثالثا " عندما يكون النصّ بحاجة إلى شروح إضافية يمكن وضعها على شكل ملاحظات أو تعليقات في ذيل كلّ صفحة أو بقائمة خاصّة بالمترجم في نهاية النصّ أو نهاية كلّ قسم منه" ، وهذا النوع من الترجمة معروف بمصطلح "الترجمة المشروحة. (Annotated Translation) "وبناء عليه فإنّ الترجمة التي تستحقّ أن تكون علما أو بحثا علميّا، هي التي يُقدّم لها مُبدعها بعمل علميّ ولغويّ متميّز (Avant- Garde) يُعرب، من خلاله عن منهجه في تناول النصّ وطرائقه المستخدمة وأساليبه الموظّفة المائزة لعمله، فضلا عن تجليّة مغامضه وملغزاته المعجميّة والمصطلحيّة والدلاليّة إن وُجدت، مصحوبا بجملة من الملاحظات وثبت للمصطلحات المعربة، وقائمة خاصّة بالمراجع التي وظّفها.

وحَتَّى لا يكون ما قلناه جُزافا يمكن أن نمثّل له بالصّيّات الذّائع للشاعر الأمريكي بيارتيلر (Pierre Taylor)، الذي لم يبلغه بشعره؛ بل بترجمته لعمل الشّاعر الألماني "غوته" "فاوست".

والجدير بالذّكر أيضا أنّ من أولويّات فعل نظريّة الترجمة، ليس هو تقديم مجموعة من القواعد، من أجل إنجاز ترجمة أكثر مثاليّة أي تطابقا مع لغة النّص المترجم؛ بل البلوغ إلى فهم العمليّات الجارية أثناء ممارسة فعل الترجمة.

هذا عن الترجمة لغة واصطلاحا فماذا عن اختلاف التّمثّلات والتّصوّرات في ممارسة النّشاط الترجّمي؟

الترجمة تمثّلات ورؤى وتصوّرات: إنّ أغلب اللّغات تستخدم وعلى نحو هامّ كلمة أخرى، للدّلالة على تلك العمليّة الفنيّة والعلميّة المعقّدة، التي تُسمّى: الترجمة. فاللّغة الأندونسيّة مثلا تستخدم ألفاظا أو دوالاً أخرى Terjemahan وPertalan وPernjalinan والدّال الأخير أُتي به من جذر كلمة يعني حملت طفلا أو يبدل المرء ثيابه. وتستخدم اللّغة الألمانيّة دالاً مختلفا ليعني النّقل أو التّفاوض أو العبور والقفز فوق. مثلما أنّ الفرنسيّة كما الانكليزيّة، اشتقّ دالّها عن الترجمة من اللّفظة اللّاتينيّة Translatio وهي ذات معنى أوّلي يفيد في الحمل أو النّقل، فهي تستعمل كلمتي Traduction وVersion وتفيدان الترجمة أو النّقل من لغة أجنبيّة إلى اللّغة الأمّ، وهو ما ينطبق كذلك على اللّغة الإسبانيّة التي تستخدم Traduzioire وTransferimention ولا يمكن للقارئ المحقّق أن يتجاهل استمرار حدوث الصّورة اللفظيّة لكلمة ترجمة أو وجود وجه شبه من نوع ما بين الكلمة العربيّة ومعادلاتها في الأندونسيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة والإسبانيّة والألمانيّة. ومنه يمكن أن نستخلص أنّ فعل ترجم وترجمة وترجمان فصيحة تماما وعربيّة الأصل، وهي ليست من أصل أجنبيّ وليست محرّفة عن أيّة كلمة أخرى، وأنّ "الترجمة قد مثّلت فعلا حضاريّا أصيلا في الثّراث العربيّ العلميّ الثّقافيّ العامّ."

والترجمة نوعان: الأوّل الترجمة الشّفويّة أو الفوريّة أو التّتبعية، وهي قديمة قدم العلاقات الدّبلوماسيّة العاقدة بين الدّول والشّعوب. أمّا النّوع الثّاني، فهو الترجمة الكتابيّة وهي الأكثر ذيوعا وانتشارا وديمومة باعتبارها أداة الاتّصال والنّقل الحضاريّ عن الثّقافات واللّغات والمثاقفة، وهي تنماز بالدّقة والتّأني والرويّة والإحكام، بالمقارنة مع الترجمة الفوريّة. وتجدر الإشارة أنّ النّوع الثّاني من الترجمة فعل تأويل وإبداع للنّصوص أي لا يكتفى فيه بالنّقل عن اللّغة الأجنبيّة إلى اللّغة الأمّ، وإنّما يقوم على نوع من المحاورّة أو المساءلة الحضاريّة، ثمّ إنّ الترجمة كذلك أمّا أن تكون حرفيّة، فهي تعتمد أساسا على ترجمة مفردات الجملة ثمّ وضعها بصيغة لا تختلف عن المادّة العلميّة الأصليّة التي كتب بها المؤلّف

كتابه، وإما أن تكون معنوية اصطلاحية، وهي تلك التي تقوم على ترجمة معاني الجمل دون الألفاظ. وبهذه الطريقة يستطيع المترجم مجازة المعنيين: العام والخاص، وتقديم الفكرة الأساسية للنص دون الإخلال بمقاصد المؤلف الأصلي للكتاب، خاصة أن الكثير من المترجمين الذين ترجموا عن اليونانية، لا يعرفون اليونانية أصلا وإن عرفها بعضهم، فقد كان أولئك لا يجيدون العربية بفصاحة، لذا كانت الترجمة في تلك الأحوال تُنقل إلى السريانية، ومنها تترجم مرة ثانية إلى العربية.

كما أن فعل الترجمة ليس إنشاء بريئا؛ بل هو خطاب. ولا يخفى أن الاتفاق حاصل بين علماء الإنسان وعلماء الاجتماع وأساطين تحليل خطاب، بأن الخطاب إنجاز تواصل مسنون بمقام، ومحكوم بفاعلين ومرفود بمؤسسة تحدّد المنخرطين فيه وتضبط طرائق إجراء التواصل وأشكال التعاطي وتداول الدلالة بين جمهور الخطاب، في سياق مخصوص. لذا فالخطاب ليس مجرد تواصل عفوي؛ بل هو حدث اجتماعي. تواضعي يرتدّ إلى تاريخ متأصل في المجتمع والثقافة ومحروس بتقنيات صارمة تتعلق بدلالته ومغزاه وحقله ونمطه وإستراتيجياته ورهاناته، وتجعله أداء عالي المؤسسة موصولا بالبنى الاجتماعية وعلاقات السلطة، التي تتجلى في أنماط الخطاب وإستراتيجياته.

إذا كان هذا عن تمثّلات المترجم للنصّ الأجنبي، الذي ترجم منه لغة أو ثقافة إلى لغته الأم أليست في هذه التمثيلات، بتعبير آخر، ضربا من الخلق والإبداع؟

(III) الترجمة نشاط لغوي قائم على الفهم والتفهم:

الترجمة فهم وصفاء للقنوات بين الأنا والآخر: في الواقع، هناك وظيفة مهمة جدا للترجمة خاصة في الظروف التي يعيشها العالم العربي الآن، وهي أهمية فهم الآخر، ونحن في حاجة ماسة إلى فهم الآخر ونحن دائما نهم الغرب بأنه لا يفهمنا، وفي الحقيقة ومن خلال دراستنا كتب المستشرقين ومسألة الاستشراق وأقوال فلاسفة الحداثة وما بعد الحداثة عن الحضارة العربية الإسلامية وثقافتها ورموزها وتاريخها، نفهم ونتفهم أننا نحن أقلّ فهما للغرب من فهمه لنا. ولعلّ الترجمة هي القناة العلمية الممكن توسلها، لتبديد أوهام صورة الآخر، في تمثّلات الأنا، والعكس كذلك صحيح. وذلك لأنّه من الطبيعي عند غياب الإجابات العلمية عن الأسئلة المهمة المثارة في أذهان الأفراد وكذا الذاكرة الجماعية للمجتمع، يحلّ محلّها دور المخيال الاجتماعي والشعبي، في سدّ الثغرات وتقديم إجابات من طبيعة لا علمية، وتستند في الغالب على آليات التّضخيم والتّبخيس، والتّمجيد والمدح، والإعلاء والخفض.

ولكن نظرا لما يثيره السياق الثقافي والحضاري الراهن، من أسئلة وتفاعلات لغوية وتاريخية وإبستمولوجية، أصبح الخطاب حول الترجمة مرتبطا بمجموعة من التّصورات والمفاهيم الفلسفية

كالإدراك والفهم، والتأويل والتلقي، والتواصل، وذلك قصد فهم الآخر، ومحاولة ضبط وتقنين درجة هذه التفاعلات، التي تحدث إثر عملية انتقال العمل المترجم، من نسق لغوي وثقافي إلى آخر. ذلك أنّ من بديهيات الدراسات اللغوية واللسانية، أنّ الترجمة واللغة متلازمان منذ نطق الناس بالسن مختلفة؛ بل الترجمة واردة حتّى داخل اللسان الواحد، من حيث كونها تأويلا للخطابات والنصوص، التي تحتل أكثر من معنى. إنّ تملك الإنسان للسان من شأنه أن يجعل اللغة من جوهر الوجود، أو من صلب الوجود أو على حدّ تعبير هيجل "تسكن الوجود". ومن هنا، أنّ "وجود الترجمة يسوّغه تكلم البشر للغات مختلفة" وهو ما يبرز بجلاء الدور الأساسي للترجمة، باعتبارها جسرا لغويًا لحوار الحضارات، وإغناء اللغات، ما ينتج عنه تواصل أساسه الاختلاف والتنوّع، لانبثاقه على احترام الفوارق وتجميع الجوامع. وبناء عليه، فإنّ الترجمة رتق للخرق الحاصل بين اللغات والثقافات، لتبادل اللغات التأثير والتأثر، وتترافد.

إنّ اللغة التي يترجم إليها خطاب أو نصّ "لها طقوسها وشروطها، أنّها تقحم في النصّ مسائل وقضايا لا تكون واردة في شكله الأصليّ، وإذا بالمترجم مرغم على نقل ما لا يكون راغبا في نقله" الأمر المتحقّق تنمية اللغة المترجمة بفتّحها على لغة أخرى مختلفة عنها، لها كذلك طقوسها وشروطها. هذا وتسهم الترجمة في إغناء علم المصطلحيّة، وتوسيع أفق اللغة، وتخصيب مفرداتها وتراكيبها.

هذا الجانب التواصليّ، الذي لا مندوحة عنه للغة، وسيلة ضروريّة وناجعة لتحقيق المثاقفة (Acculturation) أي الاغتناء المتبادل الناجم عن هذا الملمح التنفيذ أو النّفوذ. للغات والثقافات، بناء على تساويها، من حيث أنّ لكلّ لغة ولكلّ ثقافة أسلوبها الخاصّ، وطرائقها المخصوصة في أداء المعنى ومعنى المعنى، تراكيب وأساليب، وأنماط وبلاغة خطاب. وقد يُتاح للغة المترجمة وهي تستند إلى نصوص طريفة، الولوج في حادثة تقدح الأذهان للطّفربإبداعات ما كانت لتكون، لولا ارتياد مغامرة امتلاك المنجز الفكريّ للغة مترجمة ومختلفة. لذا فإنّ المثاقفة، من هذا المنظور، موسومة بالإيجابية عموما، إلّا إذا دخلت لغة أو ثقافة ما شوب نزعة هيمنة، حينئذٍ تسقط الترجمة في انحرافات ومزالق قد تودي بالثقافة أو اللغة المترجمة. وتنخرط في هذا السياق المشوّه، الدعاوى الفرنكفونيّة والأنجلوسكسونيّة، التي تتفاعل مع المنطقتين: المغاربيّة والمشرقيّة من العالم العربيّ، وكذلك النزعة العولميّة المتطرّفة، التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكيّة بمخطّط يستهدف تدجين بلدان الجنوب أو العالم الثالّث وحمل العالم بأسره على الخضوع إلى لغة واحدة ونمط ثقافيّ واحد يبتغي اجتثاث الخصوصيّات الثقافيّة والهويّات المحليّة، على طراز ما بشّره بعض الفلاسفة المسيّسين، من حديث عن نهاية التاريخ والأيديولوجيّات، وصدام الثقافات، وكذلك تقويض مفاهيم إيجابيّة، مثل: الدّولة الوطنيّة، والأمة، والقوميّة، والسّيادة المحليّة، والاقتصاد الدّاتي، والإنتاج، لإرساء ما أسماه الفيلسوف ماركيز بالإنسان ذي البعد الواحد (L'homme

(unidimensionnel)، الذي يعبر عن ميلاد إنسان جديد، إنسان مجرد من أيّ رغبة في الإنتاج أو تطّلع إلى الإبداع أو التّعويل على الذات؛ بل همّه الأوحـد كامن في الاستهلاك، وسعاداته متماهية مع الإتيان فيه بدرجات عالية. فالسعادة عنده، أضحت ملازمة للاستهلاك؛ بل صنوه، والتفاوت في السعادة مشروط ببلوغ مراتب القدرة العليا على اقتناء جلّ المواد الاستهلاكية بوفرة كبيرة.

إنّ فعل المثاقفة الإيجابية التي تحقّقها الترجمة تجعل من الاختلاف أمراً مشروعاً، ومن قبول الآخر ميزة حضارية تُبرز جماليّات التّمايز بين الثقافات واللّغات، وهكذا يكون فعل الترجمة تركيبة لهذه الجماليّات التي تشحن طاقات الابتكار والإبداع، وتربّي الأذواق وتنمّيها، بالمعنى الذي يضعنا أمام منهجية متماسكة قادرة على تحويل الاختلافات والتنوّعات والتّمايزات، من موادّ متراصّة غير مهيكلّة ومعطلّة، إلى طاقة حيويّة خلّاقة تتفاعل فيها تلك الموادّ. وإذا استندنا على المجاز يمكن أن نحضر لدينا الذات والآخر باعتبارهما مادّتين متراصّتين، يفضي تداخلهما، بإقحام الذات في الآخر و"إقحام الآخر في الذات" إلى طاقة خلّاقة تُغني الوجود، " طاقة تجعل الترجمة على حدّ تعبير هايدغر عمليّة فكرية تمثّل الذات من قبلها أمام الفكر، مثلما يمثل المتهّم أمام المحكمة."

إنّ دمج الذات بالآخر باعتبارهما كيانيّن ثقافيين متمايزين، على صعيدي الفضاء الهويّ والمنهجية الثقافية الخاصة، هو المعادل الموضوعي الدقيق لمفهوم التّواصل الإنسانيّ، الذي تكون الترجمة نافذته بوصفها "وسيطاً بين الثقافات"، والكوة التي تنفذ منها الذات إلى الآخر، وبالتّبعيّة اللّغة المترجمة إلى اللّغة المترجمة.

وعلى أيّ حال، فإنّ الترجمة هي قناة التّثاقف التي تتيح، لأيّ نصّ أو خطاب أن يخرج من وضع الاستعمالات العادية إلى وضع التّداولات الإبداعية والفنية الرفيعة؛ وإذا تصوّرنا عالماً خلّواً من فعل الترجمة، فمن المؤكّد أنّه سيكون عالماً تشكّله مجموعة من الكيانات الثقافية المعزولة والدغمائية، ومثلّ هذه الكيانات، لا يمكن أن تُنتج إلّا صياغات لغويّة متهافنة، هزيلة شكلاً ومضامين. إذن، عالم دون ترجمة لا يمكن للثقافة إلّا أن تنغلق على نفسها وتحتجّر.

وبناء عليه، فإنّ فعل الترجمة بالخصائص المذكورة يصبح "ضرورة تاريخية"، وهو كذلك "فعل إبداعيّ ونشاط لغويّ وموقف إيديولوجي". إنّه حتميّة تاريخيّة، لأنّه الفعل المخصب للوقائع والأحداث، ثمّ إنّه فعل إبداعيّ، لأنّه موكول به نقل الإبداع، من لغة إلى لغة أخرى، ومن وسط ثقافيّ إلى وسط مغاير. وهو فعل لغويّ، لأنّه نشاط معنيّ بالاشتغال على لغة واحدة؛ كما بين لغات مختلفة. وهو أيضاً موقف إيديولوجيّ، لأنّه ينقل الرّؤى الخاصّة للعالم، من لغة إلى أخرى.

وتجب الإشارة إلى أنّ أثر فعل الترجمة لا يقف عند حدود اللغة والثقافة؛ بل يتخطاهما إلى ما يخصّ التقدّم الروحي للإنسان ، لأنّه ينقل القيم الميثوقة والمندسّة، داخل النصوص والخطابات. وهنا، لا يمكن الإغضاء عن كون بدايات التّرجمات في العالم كانت بين الخطابات المقدّسة، دينياً وأسطورياً. لكن كيفما تكون آثار الترجمة وانعكاساتها، فإنّ "حركة الترجمة ارتبطت بأكثر عصور الفكر ازدهارا في الغالب الأعمّ."

كما أنّ للترجمة دوراً مهماً في تقليص الفجوة العلميّة والرّقميّة، بين الآن والأخر ومدّ جسور التّواصل بينهما، على أساس ديناميّة التّموقع الحضاريّ وتحول الوضع الاعتباري للشعوب، بحسب تفاوت درجات همم علمائها ومفكرّهم في البلوغ بالترجمة إلى تثوير ذهنيّة مواطنهم، لمسايرة حركة التّقدّم الحضاريّ، وهو ما يمكن أن ينطبق على النّموذج الياباني، غداة ثورة المييجي وبفضل ما وظّفته الدّولة من إمكانيات ماديّة هائلة ومختصّين متفرّعين بالعدد الكافي لترجمة كلّ ما يصدر عن الغرب الأوروبي والأمريكي من كتب ودوريات، التي شملت حتّى دلائل السيّاقة والطّبخ والصّحة، واستعمال الآلات والمعدّات، والمقرّرات الجامعيّة والمدرسيّة، فكانت النّتيجة تغيير عقليّة المواطن الياباني، من الاستهلاكيّة إلى الإنتاجيّة، ومن التّمرکز حول اليوميّ إلى التّقدّم أشواطاً نحو الإبداع.

إنّ الترجمة في جوهرها نقل نصّ أو خطاب من لغة إلى لغة أخرى، ومن ثقافة إلى ثقافة مغايرة ومختلفة، وهي أيضاً عمليّة ذهنيّة وتقنيّة في آن، وأنّها فعل قصديّ مبدع، يُنجز بوعيّ وتفهم عميقين للغة والثقافة المترجم عنها والثقافة واللغة المترجم إليها. ومن المؤكّد أنّ "اتّساع رقعة الترجمة في أيّ عصر من العصور وخاصّة في عصرنا الحاضر يسهم بنصيب وافر في "ميلاد المثقّف الكوني" الذي يقوم باختراق المجالات الجغرافيّة، ويتجاوز تخوم اللّغات والثّقافات، ويمرّ عبر القيم المحليّة لتشكيل القيم الكونيّة تتعرّز هذه الخطوات الإيجابيّة بما يتحقّق في دنيا النّاس من مكتسبات تكنولوجيّة واتّصاليّة. ومن ثمّ، فلا غرابة من إلحاح المفكرّين والفلاسفة وتوصيّاتهم بضرورة إيلاء الترجمة مكانة أسمى ممّا يُرصد لها، في واقع الدّول من إمكانيات ماديّة واستعدادات بشريّة، لاقتناع متجدّراً بأنّ مستقبل التّفاهم بين البشر قصد إحلال السّلم وتبديد بؤر التّوتر في شتّى أنحاء العالم مشروط بالتّواصل الثّقافيّ من خلال الحوار والترجمة.

الترجمة وانفتاحها على التّعّدّد المرجعيّ والسّياقيّ: إنّ فعل الترجمة من لغة إلى لغة، ومن ثقافة إلى ثقافة، فعل معقّد، يتطلّب وعياً مضاعفاً بالمصطلحيّة وحقوقها وقضاياها، وكذلك بالمناهج النّقديّة الغربيّة، سواء منها ما له صلة مكينة بالنّصّ، من مثل: البنيويّة، والسّمائيّة واللّسانيّة والتّفكيكيّة، أم

ما هي أعلق بالقارئ، مثل: جمالية التلقي لهنس روبرت ياوس (Hans Robert Yaus) ، والفعل القرأني لأيزر. (Iser)

الترجمة، إذن، فعل انفتاح على النصوص الإبداعية والمراجع العلمية والموروثات الفنية الأدبية والجماليات الغربية والعربية، وكذا الذائقة الجمالية. مع العلم أن الوعي بكل هذه المعارف والعلوم تفهم وتُفهم، في ضوء اللحظة الراهنة المرتبطة بوعي المترجم المختلف والمتمايز عن غيره، من المترجمين وسياقاته التاريخية والحضارية والوطنية. ومن هنا، يكتسب الزخم المعرفي والتنوع المرجعي سمة الدينامية والتحول رجعا على صدى إيقاعات الذات والواقع والتاريخ والنصوص.

فإذا كانت الترجمة في مرحلة ازدهار الحضارة الإسلامية قد انصب اهتمامها على النصوص العلمية والفلسفية والتنظيرية في مجال الجماليات، فإن الترجمة في عصر النهضة الحديثة انفتحت على الآداب المرتبطة بحياة الإنسان والمعبرة عن مشاغله، "هذا يعني أن المثقفين العرب بدأوا يتعاملون مع أجناس أدبية جديدة كالقصة القصيرة والرواية والمسرحية... إلخ، كما بدأت عملية تطوير داخل اللغة العربية من حيث نظامها وهيكلها كما يوضح ذلك الباحث التونسي المنصف الجزار"

إن سمة الانفتاح المانزة للإبداعات الأدبية والفنية في الغرب الأوروبي والأمريكي، وكذلك الانفتاح على النصوص الفكرية التي تعالج كبريات إشكاليات العصر كانت لها آثار إيجابية، منها على سبيل الذكر لا الحصر سد الفراغات التي كانت تشتكي منها ثقافتنا العربية المعاصرة، والالتفات إلى مواطن الهشاشة البنيوية للفكر العربي، والزج بالمفكرين والمبدعين في خضم اهتمامات الحقبة الراهنة بمواجهة التحديات الكبرى في العالم المعاصر. "إن الترجمة- بفضل هذا الانفتاح - كانت خطوة حاسمة نحو تشكيل فكر عربي جديد". علاوة على ذلك فإن اتساع نطاق الكتب المترجمة خدم اللغة العربية، وجعلها قادرة على التعبير عن مجالات الفلسفة والعلوم، وأكسب الباحثين والنقاد وفرة مصطلحية جديدة أبدعها إبداعا بالاشتقاق والتجاوز، ونقل الكلمات من حقل دلالي إلى آخر، أو استوحوها من التراث الأدبي واللغوي، الذي لفت أنظارنا لترجمات النصوص الغربية إلى ما يرشح به من تنوع شكلي ووفرة دلالية. ما أتاح للنقاد إنجاز قراءة جديدة وطريفة لنصوص تراثية، ما كان ليتحقق بهذا الشكل لولا الاطلاع على ما أبدعه الآخر الغربي من مقاربات نظرية وممارسات إجرائية. فضلا عما ذكرنا فقد أسهمت الترجمة، بنوعها: الكتابي والشفهي إلى جانب المصطلحية في عملية نمو اللغات وبقائها. فالترجمة والمصطلحية تساعدان على تجديد الأساليب والمفردات العامة والمتخصصة لجميع اللغات بصرف النظر عن مدى انتشارها. وذلك لأن الميادين الجديدة التي تخوضها الترجمة، يقتضي منها بالضرورة أن تبحث عن صيغ ومفاهيم حديثة تلائم الواقع المعيش وهذا يعد وسيلة من وسائل تطوير اللغة وإغنائها. فعلى سبيل

الذكر لا الحصر، يؤدّي التلفاز والمذياع في أيّامنا هذه دوراً فعّالاً، في تنمية المهارات اللّغويّة، لدى النّاشئين الصّغار. إنّ تنمية الحصيلّة اللّغويّة لدى النّاشئة يتطلّب، على وجه الضّرورة، متابعة ما يجري للبرامج الأجنبيّة المترجمة من تطوّرات في الأصول والسّعي لتطوير ما يُترجم من هذه البرامج، وكذلك الحرص على ربطها بالواقع الفعليّ للجمهور، واستيحاء الصّور والمشاهد المشوّقة والحركات أو الفعاليّات المثيرة التي تجسّد الألفاظ ومعانيها في أذهان النّاشئة، أو تقرّبها إليهم وتثبتها في ذاكرة كلّ منهم، لا أن تترجم المشاهد والمناظر والشّخصيّات من الأصل الأجنبيّ ترجمة حرفيّة بعيدة عن النّظر إلى المحيط أو الوسط الاجتماعيّ الذي تعرض فيه. لذلك "كان من المتعيّن تجنّب ترجمة مسلسلات الأطفال، مثل: القصص والمغامرات، ترجمة حرفيّة، لأنّ ذلك يفضي إلى صعوبة فهم العبارات أو الألفاظ المستخدمة فيها على النّحو المطلوب". كما أنّ التّرجمات الأدبيّة ازدهرت، في الخمسينات والستّينات والسّبعينات، من هذا القرن، فضلاً عن الاحتكاك المباشر بالغرب جعل التّرجمة عاملاً أساسياً من عوامل إغناء المكتبة العربيّة، وإلى "إحداث تغييرات جوهريّة في أشكال الأدب العربيّ، بانعكست في شكل أجناس أدبيّة طريفة كلّ الطّرافة، وإلى تعديلات لأجناس أدبيّة أخرى موجودة من قبل أحيانا أخرى، كلّ ذلك أدّى إلى إغناء المكتبة العربيّة، من خلال تفاعل الأدب العربيّ مع الأدب العالميّ."

هذا عن التّرجمة وضرورة مراعاة المترجم التّعدد السّياقي والمرجع فماذا عن انفتاحها على الإبداع وعلى التّأويل بوصفه حيّة ونشاط ذهنيّ إنسانيّ مطلق غير محدود؟

(III) التّرجمة بوصفها خطاباً للتّأويل والإبداع

التّرجمة فعل تعريب لا نقلاً حرفيّاً عن اللّغات: ليست التّرجمة، مثلما يمكن أن يتبادر إلى أذهان بعض الدّارسين غير المختصّين، بأنّها عمليّة سهلة وبسيطة لا تتطلّب سوى كفاءة لغويّة لسانیّة، في مجال اللّغتين المترجم منها والمترجم إليها؛ بل هي عمليّة معقّدة ومتشابكة إلى أبعد الحدود، وتستدعي على وجه الضّرورة معارف كثيرة ينبغي الإحاطة بها من قبل من يمارس التّرجمة، منها العلوم الإنسانيّة وكذلك المناهج النّقديّة الحديثة أي تلك التي تبزّ على القارئ، أو المعنيّة بالنّص بنيّة لسانیّة مغلقة، بالإضافة إلى علم المصطلح والمصطلحيّة، وكذا ما يفرضه هذا النّشاط من جدوى الاطّلاع على الإبداعات العالميّة خاصّة تلك المتعلّقة بالفنون والآداب وأشكالهما الحديثة المختلفة، مثل الرّسم والرّواية والقصّة القصيرة والشّعر.

إذن؛ إنّ النّفاد إلى روح النّص الأدبيّ والإلمام بأفكاره، ثمّ نقل ذلك كلّ إلى لغة ثانية تستدعي دراسة مستفيضة وتقصيّاً دؤوباً وتأنّياً ومراساً ونفاذاً بصيرة. إنّ نقل الرّوائع والأعمال الجديدة الصّادرة

في شتى أنحاء العالم في مختلف المعارف والمجالات العلمية والموضوعات خاصّة تلك التي تفتقر إلى كتب أو أنّ مراجعها ضئيلة أو تلك المجالات التي لمّا تستقرّ فيها المصطلحات الاختصاصيّة بعد، ليست مجرد عمليّة نقل عاديّة أو عملاً فنيّاً صرفاً مفصولاً عن النّشاط الثّقافيّ والحضاريّ للمجتمع؛ بل هي على خلاف ذلك عمليّة تحتاج إلى تفاعل آليّات ومعارف وعلوم متشابكة وتخصّصات بينيّة (Interdisciplinaire) وعابرة للتخصّصات (Transdisciplinaire) ومتعدّدة (multidisciplinaire) يتمّ فيها التّجادل والمناقشة بين اللّغة والأدب والفكر والتّراث والمجتمع.

إذن؛ إنّ التّدخل بين اللّغتين القوميّة والأجنبيّة، في ذهن المترجمين؛ بل حضورهما على نحو مقارنيّ من ينبغيّات ممارسة التّرجمة، لذلك توفّر التّرجمة، في هذا المجال مجالات واسعة للتّدرب على استخدام اللّغة الجديدة والإحاطة بتراكيبها. انطلاقاً من ذلك، كان لا بدّ من "وجود أسس علميّة منهجيّة جديدة لتدريب مدرّسي ودارسي اللّغات الأجنبيّة على هذه المهارة مستفيدين في ذلك من النّتائج التي توصّل إليها علم اللّغة الاجتماعيّ والنّفسي في حقل تعلّم اللّغات الأجنبيّة وتعليمها."

إنّ عمليّة التّرجمة والتّعريب ركن من أركان العمل العلميّ الذي يمكن أن يسهم فعليّاً في تطوير المجتمع العربيّ وفي إغناء المعرفة الإنسانيّة لذلك لا بدّ لهذه العمليّة أن تتمّ في إطار مشروع مبنيّ على أساس وضوح الرّؤية والارتباط المكين بواقع أسئلة الأُمّة واحتياجاتها، ومن أجل تحقيق هذا الوضوح والارتباط لا بدّ من الإشارة إلى أمور ينبغيّ توفّرها:

أولاً ضرورة الرّبط بين التّرجمة والتّعريب بالبحث العلميّ وجذب مختلف الفعاليّات العلميّة والثّقافيّة بشتّى توجّهاتها وتياراتها للإسهام في إنجاز هذا المشروع الكبير.

وثانياً إنشاء مراكز للتّرجمة توظّف فيها إمكانيّات هائلة ماديّة وبشريّة وعلميّة من كافة الاختصاصات للعمل جنباً إلى جنب مع المترجمين، من أجل توفير الدّعائم الأساسيّة لإنجاح هذا المشروع البناء والمثمر لمستقبل زاهر للعالم العربيّ.

وأما ثالثاً يتمثّل في دعم المدارس والمعاهد والجامعات التي تمارس عمليّة التّرجمة وتدرّسها والتّعريب من أجل تخريج مترجمين مؤهلين يتمتّعون بمنهج علميّ مدروس وبحساسيّة جديدة تواكب الذّائقة الجماليّة واللّغويّة الحديثة لمجتمع التّلقي العربيّ.

رابعاً ضرورة التنسيق بين المجامع اللغوية والعلمية والمعرفية العربية، من أجل الاتفاق النهائي والحاسم على الثبوت المصطلحي العلمي المتعين الاشتغال به في العالم العربي وإحلاله وتعميمه في مختلف جامعاته.

هذا عن الترجمة فعلاً متحرراً من فعل الاستنساخ والتقليد للنص الأصلي، ألا يعني هذا أنّ الترجمة ممارسة خؤون أو لا تكون؟

الترجمة فعل خؤون بالضرورة: لو وجهنا نظراً النقدي تجاه الحضارة العربية الإسلامية، في الماضي، لأدركنا أنّ ثقافتها نشأت في أوج عصرها ومجدها في مفهوم الترجمة، ولكنها لم تكن ترجمة خالصة بالمعنى الحرفي للملفوظ وإنما كانت إعادة صياغة لإرث ثقافي وفكري مهم من الحضارة الهلنستية وغيرها إلى الثقافة العربية، ومنحتها طابعاً جديداً مقبولاً ينسجم مع الفكر الجديد للثقافة العربية.

وفي العصور الإسلامية الزاهية، نلاحظ أنّ مجال العربية توسّع بتوسّع العلوم فيها، بما أنّها أصبحت لغة أكبر ثقافة سائدة، ولهذا سيمتدّ تعالقيها مع لغات بينات أخرى وثقافات متنوعة. وكان من بين ما تُرجم من العربية إلى الفرنسية كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار المتوفى سنة 646هـ/1228م. ومن أهم مصنفاته أيضاً: تفسير كتاب دياسقوريدوس، والإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام والمغني في الأدوية المفردة.

والجدير بالإشارة من خلال إنعام النظر في ترجمة لكليرك (Leclerc) لكتاب ابن البيطار الجامع، أنّ ممارسة الترجمة وإنّ في مجال العلوم الطبية تحتاج إلى إبداع في حالات متعدّدة، من مثل في صورة عدم وجود مقابل للمصطلح في اللغة الأم، وهذا يحدث في اللغات التي تصف بينات ثقافية أو طبيعية ذات خصائص مختلفة (أي بينات يختصّ كلّ منها بموجودات لا توجد في للبيئات الأخرى: أجناس النباتات حيوانات، معادن، أو حتّى ممارسات وظواهر طبيعية واجتماعية) ويمكن أن نلاحظ هذا إذا نظرنا مثلاً في معجم الأجبان ومشتقّات الحليب في البيئات الفرنسية، ومعجم التمر، أو الصّحراء في البيئة العربية. وهذه الخانات المعجمية البيضاء أو الفارغة يملأها المترجم بتوليد وحدات معجمية جديدة. ويبرز هذا بجلاء من خلال ما يسمّى بالترجمة بالتفسير: من مثل: رخين (Petitlaitacide) ويسمّى أيضاً (ماء اللبن المطبوخ) ورطب (Dattefraiche) وزبيب (Raisinssecs)، وضيع (Plantemarine) نبتة.

وإذا كان حال الترجمة للعلوم الصحيحة هو إبداع وتصرف، فما بالك بالترجمة الأدبية والفنية، علماً وأنّ اللغة مسكن المجازات والاستعارات، وموطن الخرق والعدول، فضلاً عن كون فهم النقاد

والمترجمين ومدرّكهم وتكوينهم الأدبيّ والإنسانيّ مختلف ومتفاوت، ناهيك أنّ التّرجمة في العالم العربيّ، في الخمسينات والستّينات والسبعينات، عُيّنت بترجمة الروايات والسّير الدّاتيّة، فتلقّيت التّرجمات بوساطة هؤلاء المترجمين فآثرت في من أخذ عنهم من النّقاد والمترجمين، بالإضافة إلى أنّ المصطلحات النّقديّة والمصطلحيّة شكّلت، في بيئتها الأصليّة الغربيّة، مجال جدال ومناقشات عميقة انتقلت عدواها لبلدان المشرق والمغرب العربيّين بتأثير من المترجمين الأوّل لها. إذا كان هذا معنى الخيانة للنّصّ، موضوع التّرجمة، بوصفها إبداعاً فماذا عن حضور الأيديولوجيا بشكل شبه حتميّ، في خطاب التّرجمة ؟

(IV) التّرجمة بوصفها موقفاً إيديولوجياً:

زاد المترجم الضّروريّ ورفع الالتباس عن المصطلح: هذا ويبرز في بحثنا أمران نحسبهما على غاية من الأهميّة بحيث ينبغي أن يحتاط لهما المتصدّي لفعل التّرجمة، وهو، أولاً: أنّ الالتباس المصطلحيّ، هو مدخل الأيديولوجيا الكبير فالمصطلح هو مسكن التّخييل وبيت المخاتلة (Feintise) الأيديولوجيّة والقيميّة، وثانياً أنّ النّقد الأدبيّ نفيذ أونفوذ، بمعنى أنّه ينفّذ على اختصاصات وحقول معرفيّة متعدّدة، وكونه نفيذاً بمعنى أنّه حمّال معان ومشجب تعلّق عليه الأيديولوجيا رداءها، وتضع رأسها على الوسادة وتنام وثيراً، ولهذا ينبغي أن نضع بعين الاعتبار منطق الخرق (Transgression) والبينيّة الواسم لتقاطع الاختصاصات، حتّى نتمكّن من سبر التّشبع الثقافيّ (Saturation Culturelle) الذي يمتاز به المصطلح النّقديّ، ما يوجب في عمليّة التعريب ترجمة الطّاقة التّعبيريّة المتلبّسة بالمصطلح النّقديّ، التي تتحوّل معه حيثما وضعناه من درجات الاستعمال اللّغويّ (الكلمات/ الجمل/ التّراكيب/ النّصّ)

ولعلّ تعدّد الشّعريّات الواسم للأدب: إبداعاً وخلقاً كما النّقد: تنظيراً، وممارسة إجرائيّة ناجم عمّا يتلبّس بمفهوم الشّعريّة: متصوّراً ذهنياً، ومِراناً إجرائياً، من تعميم والتّباس يسوّغ التّعدّد الدّلاليّ والمصطلحيّ، الذي يقترن بها، بحكم اختلاف تمثّل النّقاد لها، وتنوّع ما يصدر عن من خصوصيّة مرجعيّاتهم الفكريّة والإيديولوجيّة، واختلاف منظوراتهم التي تؤثر في توقيع الوجهة المختلفة والمغايرة، في تمثّل هذا المفهوم وإدراك ملامحه واستيعاب شتّى أبعاده.

فالخطاب التّرجميّ العربيّ المعاصر كما النّقديّ خطاب جامع، ملتقى سرود، وتجديد مناهج، ومختبر مصطلحات، والمعلوم أنّ المصطلح يمرّ إلى النّصّ النّقديّ عبر بوابة التّرجمة، التي هي – مثلما هو معلوم- فعل ثقافيّ ونشاط حضاريّ، عصيّ، شقيّ، وموقف إيديولوجيّ لا يُدرك مرافق أمانه ومنتهى قصده، إلّا كما تدرك النّسور، وحدها، التّحليق، فوق قمم الجبال. ولا يخفى أنّ المفهوم له طرائق لنقله وترجمته:

النقل دون نقل (الدّخيل): مثل، /Parodie الباروديا، /Tragédie تراجيديا.

تعريب التّمثّل الذي يوجب استبطان المفاهيم.

التّرجمة الكاملة، التي نقصد بها مولّدات التّرجمة (Les Matrices De Traduction)

وثالثها أنّ المصطلح النّقديّ مصطلح متراكب، زنبقيّ، له تضاريس مخصوصة TextesInachevé

Par Excellence هو مولّد تمثيلات (Les Matrices de représentativité)

ورابعها والأهمّ، هو أنّ صعوبات العمل المصطلحيّ التي يواجهها النّاقّد داخل النّصّ النّقديّ لا تختلف عن الصّعوبات والهواجس التي يواجهها القاموسيّ أو المعجميّ، آن وأوان اختبار مصطلحاته، في حقوله التّداوليّة، وداخل ورشاته المخبريّة، لتبيّن حدود الدّلالة المتضمّنة فيها والمنبثقة منها، داخل الأنظمة السيّاقية الدّالة. فالمتّرجم كما النّاقّد كما القاموسيّ، يطمح إلى تبيّن وتوضيح الحدود المفاهيميّة، بين المدلول والمفهوم، فالمفهوم يجب أن يكون حجوزاً أي لا يتعدّى إلى فهم آخر، فكلّما أيقن أنّ المفهوم صار واضحاً سكت عن الكلام المباح.

إنّ مختلف التّحوّلات التي شهدتها النّقّد الرّوائي العربيّ المعاصر، خصوصاً منذ عقد الثّمانينات من القرن المنقضي، في أنساقه النّظريّة كما في أدواته الإجرائيّة وأنظمتها الدّالة تغتني وتناسل بما تعضده به الكتابات الرّوائيّة، فضلاً عن الإبداعات الأخرى في مجالات علوم الإنسان والدراسات الاجتماعيّة واللّسانيّة والسّيميائيّة، والبحوث المنجزة في الفلسفة والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا (الحفر في الأعماق) والجنولوجيا (فنّ التّأويل)؛ حيث تمثّل خلاصات هذه العلوم ونتائج هذه المعارف اللّسانيّة والإنسانيّة، على الصّعيديّ المنجز النّظري والإجرائيّ مورد إخصاب ورافد إغناء وتنويع للمستقرّ من رؤى هذا النّقّد الرّوائيّ وتصوّراته كما لمدوّنته النّظريّة ومكتسباته الإجرائيّة.

وهي التّحوّلات التي لم تبرأ من مآزق شملت المناهج المترسّمة والمصطلحات المتداولة، وجميعها تقحّم وافداً إلى البيئة الثّقافيّة العربيّة من أصول ثقافيّة وبيئات غربيّة مختلفة، وهي البيئة الفرنسيّة بالأساس التي أثّرت في بلاد المغرب العربيّ، والبيئة الإنكليزيّة التي طال تأثيرها بلاد المشرق العربيّ. وهي المناهج والمصطلحات المألوفة أو الهلاليّة في بيئاتها الأصليّة؛ حيث ظلّ التّداول في شأنها والجدال المتحمّس بين أهل الصّناعة من النّقاد كما المثقّفين والأدباء ماثلاً وبقوّة. وهي الإشكاليّات التي دارت معها بدوراتها في مجالات البيئات العربيّة: المشرقيّة والمغربيّة، لتتلبّس بأخرى عمّقت درجات ضبابيتها والتّباسها، ونمثّل لذلك بترجمة مصطلح الميتاروائي (Métafiction)، بين تعدّد الدّالّ ووحدة المدلول، فقد اعتري هذا

المصطلح، في نطاق التلقّي النقديّ العربيّ، اختلاف وتذبذب في ترجمته، ممّا قطع السبيل دون استقرار ترجمة موحّدة بعينها ويمكن ردّ ذلك إلى ما يتعلّق بدلالة البادئة (Méta) الدائمة التّشكّل وفق اللفظة الأخرى التي تلازمها موضوعيًا، والحقل المعرفيّ الذي تبرق إليه، فهي تعني:

" العلم المتعالّي ذا الطّبيعة المشتركة مع المبحث الذي يتعالّى عليه، لكنّه يختلف عنه في اهتمامه بعلمه الأصليّة، وأبعاده القصوى كما الأمر في الميتاتاريخ (Metahistory) والميتأخلاق (Metaethics) فالأول مثلاً يعني مساءلة المبادئ التي تحكم الأحداث التاريخيّة، وطريقة كتابة التّاريخ، لكنّها تعني " ما وراء " في اصطلاح ميتافيزيقا . " (Metaphysics)

مثلما يمكن ترجمتها بنقد أو فلسفة في نقد النّقد (Metacriticism) وفلسفة الفلسفة (Metaphilosophy) و"كبيرة" أو "كبرى" في (Metanarratives) التي تعني السّرد الكبرى ولغة الشّرح أو اللّغة الشّارحة وهي ترجمة لمصطلح (Metalanguage) ، والأدب الشّارح.

هذا بالنّسبة إلى قلق المصطلح واضطرابه في التّرجمات، من اللّغات والثّقافات الأخرى إلى اللّغة العربيّة، وهو مظنة انسراب الأيديولوجيّ وتلبّسه بالثقافة بوجه عام وبالخطاب التّرجيّي، فماهي العدة النّقدية أو الجاهزيّة التي يتعيّن توقّعها لكّي نحويّ ترجماتنا من اندساس الأيديولوجي في غلاتها الذي قد يتبدّى- على سبيل المثال- في الأفكار العنصريّة المتخفية وراء نزعات استعماريّة كولونياليّة قديمة يُراد لها الانبعاث من جديد في آداب الدّول الفقيرة والمهمّشة.

(2) آليّات النّقد الثّقافيّ ودورها في تفكيك الخطاب الكولنياليّ

أ-إبدالات النّظرية الأدبيّة: شكّلت أواخر التّسعينيات من القرن الماضي الامتداد الحقيقيّ لكشوفات الدّراسات الثّقافيّة للنّقد العربيّ المعاصر، فقد برزت إلى النّور نخبة النّقدية مع النّاقد عبد لله الغدامي الذي أطلق في كتابه المعنون بالنّقد الثّقافيّ: قراءة في الأنساق الثّقافيّة العربيّة صحيحة فزع إزاء تهافت المنجز النّقدّي العربيّ ودعا إلى ضرورة خلخلته وإعادة تفكيك قواعده ومسلّماته وآليّاته في تحليل الظّواهر وتحليل الخطاب، وتقويم مكان جودتها وتمييزها، ومردّ ذلك نشأة النّقد العربيّ القديم في أحضان البلاغة المعيارية والجزالة اللّغويّة ومقاييسها الفنيّة، ظلّ مشدودا في شعريّته القديمة لصور فنيّة أسرة ولغة كثيفة موهلة في التّرميز والاستعارية، ساهيا عمّا يندسّ وراءها من أنساق ثقافيّة مضمرة مترعة بعديد القيم السّلبية والتّعبويّة التي تشيع قيم الأنانيّة وتوقظ نزعات التّطرّف والعنصريّة وتعلي من الفحولة والغطرسة:

"وهي أنساق ثقافية جوهريّة انغرست في الوجدان الجمعيّ والتّكوين الحضاريّ للأمة العربيّة، ومثّلت منظورها للذات، والمجتمع والآخر، وقد تسرّبت إلى تاريخ الشّعْر العربيّ وصيرورته، وتبطّنت العديد من التّجارب الشّعريّة الحديثة، مثل تجريّتي أدونيس ونزار القبّاني اللّتين تدثّرنا بقيم التّعالي والتّفرد وتضخيم الذات وتبخيس الآخرين؛" بل اندّست هذه القيم السّلبية في نصوص التّرجمة، قد تكون سكنتها بوعي أو بغير وعي من المترجمين. لذلك بدا لعبد الله الغدامي، في إبدال النّقد الثّقافيّ وظيفة جديدة للممارسة النّقديّة من شأنها أن تفتح مسالك جديدة تهدف من ورائها إلى "كشف حيل الثّقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافيّة... وأمر كشف هذه الحيل يصبح مشروعاً في نقد الثّقافة، وهذا لن يتسوّى إلّا عبر ملاحقة الأنساق المضمرّة ورفع الأغطيّة عنها."

وبالإضافة إلى وجاهة هذا الجهد الحفريّ التّأويليّ اللَّمّاح الذي نهض به الغدامي واعتبار أهميّته في توطيد إبدال الدّراسات النّقديّة الثّقافيّة، فإنّ معالم هذا المشروع الكبير تتجلّى مع جهود الباحثة المصريّة ماري تريز عبد المسيح من خلال كتاباتها المتنوّعة وخاصّة كتابها المعنون بقراءة الأدب عبر الثّقافات، وهي تقوم بمعيرة كلّ إسهامات الأنطروبولوجيّة الثّقافيّة والسّياسيّة التي رأت النّور مع كلود لفي استراوس (Claude Lévi-Strauss) ومع غيره، بمناهضة عقد الاستعلائيّة الحضاريّة وفضح تهافت مسرحيّتها التي جسّدت مختلف مشاهدنا ومناظرها المركزيّة الأوروبيّة ودروس الوضعيّة العلميّة مع أوجست كونت (Auguste Comte) تقول الباحثة: من هذا المنطلق جاءت دراساتي الأدبيّة المقارنة. فalcراءة عبر الثّقافات كشفت لي أنّ الثّقافة العالميّة لم تكن من صنع الشّمال بمفرده؛ بل شاركت في صناعتها الجماعات الثّقافيّة المتنوّعة، ومقاومة المركز لا ينبغي أن تضعنا في موقع دفاعيّ يغفلنا عن الدّور الذي لعبه الأدب العربيّ في الثّقافة العالميّة، وهو مازال قادراً على الإضافة. والمتنبّع للخارطة الثّقافيّة العالميّة يلحظ تبادل الأدوار بين الثّقافات على مدار التّاريخ."

ولم يقف إفادة الباحثة من كشوفات الدّراسات الثّقافيّة في كشف تهايوي فكرة التّمركز الأوروبي، فقد حرصت كذلك على إبراز توقّف الرّواية العربيّة في إنجاز تسريد مضادّ مقاوم لأنماط الهيمنة والتّسلّط التي تلخّفت بها كثير من السّرديّات الشّموليّة المغرقة في التّمركز الهويّاتي. وبالإضافة إلى هذه الجهود تحضرنا إسهامات العراقي عبد الله إبراهيم في كلّ ما ألف وخاصّة في كتابه الموسوم بالسّرديّة العربيّة الحديثة: تفكيك الخطاب الاستعماريّ وإعادة تفسير النّشأة. فعبد الله إبراهيم يستثمر مبادئ خطاب ما بعد الكولونياليّة في نقد المركزيّات الضّيقة، وتفكيك مخيلات الاستعلاء المركوزة في سرديّاتها. مثلما تكشف الدّراسات الثّقافيّة الغويّة الإيديولوجيّة التي يمارسها خطاب الاستشراق، في مسعى خفيّ لأنّ يُديم على القامع قمعه وعلى المقموع تبعيته، ويسوّغ هيمنة الإمبراطوريّة التي تغدو مركزاً للقوّة التي

يمارسها القامع (الاستعمار) على المقموع (البلدان الواقعة تحت هيمنة هذا القامع) أو الشرق الذي يمعن خطاب الاستشراق في تركه على ما هو عليه من خنوع وتبعية لسلطة الاستعمار الذي يبتكر ضروب من المجازات هي أشبه بنوع من الأدلجة وممارسة القوة على المقموع كي يغيب وعيه ويستمر أسيرا لهذا النوع من الخطاب الذي هو ممارسة للقوة من فاعله، وممارسة للاستجابة المدعنة من المفعول به في فعل الخطاب بما يدين اقتناع المقموع بفعل القامع الواقع هو تحت طائلته، فلا يأخذه على أنه قمع؛ بل يرى فيه مزية وفضلا وتديبا على حذق مراس أساليب الرقي والتقدم. ولعل هذا هو جوهر التحيل الكامن في التخييل أو فعل الأدلجة الذي ينطوي عليه الخطاب الاستعماري الذي لا يمكن في نهاية المطاف وبضرورة تنامي الوعي في الذات الوطنية إلا أن يشجب وأن يرد المقموع على القامع حيله التخيلية بنقض أدلجته، ومن ثم تقويض وإزاحته الخطاب بإحلال نقيضه الذي يفيد التحول من وعي التبعية والاتباع إلى وعي الخلاص للامشروط من نير الاستعمار وأنساقه الرمزية ولوازمه الحديثة والعتيقة. ويحل الكتاب الذي ألفه ثلاثة مؤلفين هم: بيل أشكروفت وجانيت جريفشيز وهلين تيفين، الموسوم بخطاب نقض الكولونيالية ويشير إلى أن ضحايا الكولونيالية القديمة يردون عليها (Fire back) بالكتابة التي تعري خطابها مما يتضمنه من تخيل إيديولوجي، ما يجعل من التبعية السياسية والاقتصادية تبعية فكرية وأدبية في آن.

ب- سلطة المغيب والمقصي والمهمش: واعتبارا للفعالية المنتجة التي يمتلكها النقد الثقافي، وخطاب ما بعد الكولونيالية المنبثق عنه، في التعاطي مع أنماط الخطابات الأدبية وغير الأدبية باعتبارها منتجا ثقافيا، واستبطان أنساقها المضمرة، وفي نقد التفاعلات المتمكنة بين المعرفة والسلطة، وتفكيك آلياتهما المعدة لتركيز أصول الهيمنة وقواعدها، تمهيدا حقيقيا للمقاومة، وإعادة الاعتبار للهامشي والمقصي والمغيب. وقد استمر تدفق النقد الثقافي بكشوفاته وإمداداته الهائلة في النقد العربي سواء مع النقاد السابقين الذين ألحنا إلى مشاريعهم بالماعات عجل، أو مع جيل جديد من الباحثين الذي انطلقوا من المنجز النقدي السابق، وواصلوا تطعيم أطروحاتهم بمفاهيم جديدة تتصل بالدراسات الثقافية وما بعد الحداثة، مثل: التفكيكية، والتاريخانية، نقد الزنوجة، والنقد النسوي. وقد انصبّت جهودهم على مساءلة الرواية العربية المنتجة في سياقات ما بعد الكولونيالية في تفكيك مخيلات الاستعلاء الاستعماري، ونزعات الغطرسة والشوفينيّات الضيقة، وإعادة عكوف السرد على الاهتمام بصوت الجماعات المغمورة والمقصية والمهمشة التي حرمت من حقوقها في التعبير عن نفسها وصودرت حرياتهما، لفضح ما جثم على صدورهم من تسلط الاستعمار الغاشم وسطوته. بالإضافة إلى استدعاء التاريخ ومركزته داخل السرد، وإعادة تأويل براديجماته المطموسة والمغيبية، الاحتفاء بما هو هامشي وأصلائي

يرسّخ الشّعوب في انتمائها إلى سياقاتها الاجتماعية والحضارية الخاصة. ومن هؤلاء الجيل من النّقّاد المعنّين بهذه القضايا والإسهام في هذه الأنساق والطّروحات الثّقافيّة نذكر العديد من الأسماء البارزة مثل نادر كاظم ومحمّد شحات وإدريس خضراوي و...إلخ.

إنّ الإلمام بالدراسات الثّقافيّة، من شأنه أن يمكّن المترجمين للقصص والروايات والكتب النّقديّة من لزوم الاحتياط لمقصديّات المؤلّفين ولبعض الأهداف الموسومة بالسّلبية، من خلال ما يبثونه، في إبداعاتهم من قيم تكرّس الهيمنة والعنصريّة والعداوة الأجناس الأخرى والاحتقار للحضارات الشّرقية.

الخاتمة: بعد هذا العرض لمجمل مفاصل بحثنا، يبدو أنّ عمليّة التّرجمة عمليّة معقّدة جدّا، وتزداد تعقيدا في الوقت الرّاهن حيث تطرح أكثر من سؤال. لذلك لا بد لمن يتصدّى لترجمة اللّغات والثّقافات إلى اللّغة الأمّ من أن يتسلّح بعُدّة هامة تكون زاده في طريق الفعل التّرجمي، الذي هو فعل تعريب وتأويل وإبداع وليس نقلا حرفيا ونسخا مشوّها للّغة ما. ولعلّ مفاد هذه العُدّة، هي ضرورة الوعي بالمناهج النّقديّة الحديثة البنيويّة والسّيميائيّة واللّسانيّة والتّفكيكيّة ونظريّة التّلقي والفعل القرائي، وكذلك ما يستوجبه هذا الفعل من الاطّلاع الكبير على خلاصات العلوم الإنسانيّة ونتائجها الباهرة: علم النّفس، وعلم الاجتماع، والتّاريخ والأركيولوجيا، والأنثروبولوجيا، والجنياولوجيا... ونظرا لما يثيره السّياق الثّقافيّ والحضاريّ الرّاهن من أسئلة وتفاعلات لغويّة وتاريخيّة وإبستمولوجيّة، أصبح الخطاب حول التّرجمة مرتبطا بمجموعة من التّصوّرات والمفاهيم الفلسفيّة، مثل: الإدراك والفهم، والتّأويل والتّلقي، والتّواصل، وذلك قصد فهم الآخر، ومحاولة ضبط وتقنين درجات هذا التّفاعلات، التي تحدث، إثر عمليّة انتقال العمل المترجم، من نسق لغويّ وثقافيّ إلى آخر.

الإعلام الجديد واللغات علاقة متبادلة. اللغة العربية لأغراض خاصة أنموذجاً.

أ. د. هداية تاج الأصفياء حسن البصري

جامعة السودان المفتوحة - السودان

المقدمة: لقد أعادت التّحديات التي فجرها القرن الحادي والعشرون القِرح إلى اللغة العربيّة ألقها وتفاعلها القوي واستيعابها لمتطلّبات الحياة في ظلّ الإقبال المتزايد على تعليمها وتعلّمها من المتحدّثين بلغات أخرى بغية الاندماج في المجتمعات الإنسانيّة الجديدة على سبيل التّعايش الافتراضي أو الفيزيائي المباشر؛ حيث أضفت التّطوّرات السّريعة والمتلاحقة للثّورة الرّقميّة في ظلّ الإعلام الجديد مزيداً من الاحتكاك بين حضارات، وخبرات، وتجارب الشّعوب سواءً في المنحى الافتراضي أم الفيزيائي الذي أوجدته سهولة الحركة والانتقال والتنّقل الحر في جميع أنحاء العالم. لذلك فعند النّظر إلى هذه اللّغة كونها لغةً أجنبيّة فإن الاهتمام بأمرها يختلف باختلاف الدّوافع، فلكل باحث دوافعه ومنهجه؛ عليه فقد تراكمت تجارب الباحثين منذ أمدٍ بعيد، ممّا يجعل هذا البحث يعمل على الكشف عن الحاجة المستمرة لتعلّم العربيّة بوصفها لغة إنسانيّة بجانب أنها تحمل رسالة أمة الإسلام وحضارتها ممّا يميّزها عن الأغلبية العظمى من لغات العالم المختلفة؛ وهي أيضاً حاملة الرّسالة بعمومها للنّاس كافة دون تمييز ممّا يكثر من الحاجة لتعليمها وتعلّمها. كما وأنها قادرة على استيعاب مستجدات الإعلام الجديد من جانب، ومن جانب آخر فقد شاركت وماتزال في حفظ التّراث الإنسانيّ الذي حملته عبر القرون في زمن لم يدرك العالم فيه نور العلم. من هنا فقد تزايد الاهتمام بتعليم العربيّة لأغراض خاصّة نتيجة للتّطوّرات في هذا القرن والتي عملت على تسهيل حركة النّاس افتراضياً وفيزيائياً ممّا زادت من حاجتهم إلى التّواصل والتّبادل اللّغويّ داخل الفضاءات والمجتمعات الجديدة. فكان الاهتمام بعلاقة اللّغات عموماً مع الإعلام الجديد. إلى جانب خصوصيّة هذه العلاقة المتبادلة مع اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة، ولطالما أنها لا تنفك عن الارتباط بحاجات الدّارسين من أصحاب المهن والحرف والأعمال التي أصبحت تتجه نحو الدّقة والتّخصّص والتنوّع باستمرار ممّا يتطلب العمل المستمر لتلبية حاجات الدّارسين، ومراعاة رغباتهم في التّعلّم لأجل التّعامل مع تخصّصاتهم العلميّة والمهنيّة.

وعليه؛ فقد كان من أسباب اختيار الباحثة لهذا البحث قناعتها بضرورة الكشف عن قدرة العربيّة لأغراض خاصّة على التّفاعل مع الإعلام الجديد، لإبراز العلاقة المتبادلة دائمة التّجدّد ممّا يجعل هذا المجال خصباً، ويتمتع المرونة والمطاوعة التي تميز العربيّة عن غيرها من اللّغات في استيعاب الجديد وإظهار الحاجة إلى المزيد من جهد الخبراء والباحثين. أمّا الهدف فهو الإسهام في إبراز العلاقة المتبادلة وتسخيرها لتطوير المجال للإيفاء بجزء من حاجات الدّارسين مع قناعة الباحثة بأنها حاجات مستمرة ومتجدّدة في وقت تتّجه فيه تخصّصات العلوم والمهن والخدمات نحو الدّقة في التّخصّص .

كما تجيء أهمية هذا البحث من أنّ القرن الذي نعيشه الآن قد أسهم بوضوح في إعادة اللغة العربية إلى مكانها الطبيعي، وأنه أسند لها الدور الحقيقي لممارسة عبقريتها الفذة في ضوء الإعلام الجديد بوصفها لغة إنسانية ذات حضارة وثقافة عظيمة تسعى الأجيال المتعاقبة للتعرف عليها والتفاعل معها ومع المجتمعات الناطقة بها في الدول المختلفة. كما يكتسب هذا البحث أهميته أيضاً من اهتمامه بمجال يعمل في عالم متغير ومتطور باستمرار مما يتطلب استمرار الجهود التي تدعمه لجذته وأهميته.

أما مشكلة هذا البحث والمضمنة في عنوانه فيمكن التعبير عنها بسؤال رئيس هو، لأي مدى يمكن لمجال العربية لأغراض خاصة أن يستثمر في العلاقة المتبادلة مع الإعلام الجديد؛ بحيث يكون أكثر وأسرع في الاستجابة لحاجات الناطقين بلغات أخرى؟ وكيف تستجيب اللغة العربية كونها لغة أجنبية للظواهر المتعددة في التعليم والتعلم؟ وهل بإمكان مجال اللغة العربية لأغراض خاصة أن يتمكن من خلال العلاقة المتبادلة الإيفاء بحاجات الدارسين بمختلف تخصصاتهم ومهنهم وللإجابة على هذه التساؤلات سوف يُبنى هذا البحث في أربعة محاور ومقدمة؛ حيث اختصت المقدمة بتبيان ما يمكن أن يقدمه مجال اللغة العربية لأغراض خاصة للناطقين بلغات أخرى؛ إضافة إلى أساسيات البحث بينما يتناول في المحور الأول والدراسات السابقة والتعقيب عليها. أما في المحور الثاني فيتناول تعلم اللغات واللغة العربية لأغراض خاصة تعليمها وتعلمها. فيما يتناول المحور الثالث الإعلام الجديد واللغات علاقة المتبادلة. المحور الرابع الإعلام الجديد يدعم وظائف اللغة العربية لأغراض خاصة. ذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته وصولاً إلى النتائج التي تفيد المجال وتدعمه. تلت المحاور أهم الاستنتاجات ثم جاءت الخاتمة والنتائج النهائية التي استخلصت منها أهم النتائج النهائية والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

المحور الأول / الدراسات السابقة والتعقيب عليها: اطلعت الباحثة على العديد من الكتب والدراسات السابقة خاصة تلك التي اهتمت بتبيان نشأة مجال اللغة العربية لأغراض خاصة وما يتعلق ببلورة المفاهيم الخاصة بمجال العربية لأغراض خاصة، والكتابات التي أسهمت في النشأة الأولى لمجال اللغة العربية لأغراض خاصة، والتي عكست جهود الخبراء والعلماء في المجال من أمثال طعيمة والنّاقة وصالح بلعيد وعشاري وعمر الصّديق ومحمود صيني وغيرهم. وسوف يستعرض البحث بعض هذه الدراسات التي تُخبر عن بعض التجارب إذ يجيء الاهتمام بدراسات اللغة العربية لأغراض خاصة بوصفها ركيزة من ركائز عولمة اللغة العربية في هذا القرن، ونعني بعولمتها اتساعها تعليمياً وتعلماً في نطاق واسع من العالم.

1. عشاري محمود أحمد (1983) (بعنوان: تعليم اللغة العربية لأغراض محدّدة) نُشرت في العام 1983م وهي من أوائل الدراسات التي كتبت في مجال تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة؛ حيث تناولت مفهوم تعليم اللغة لأغراض خاصة، وخصائصه التي عددها في التحليل الدقيق لحاجات الدارس التواصلية والتركيز على القدرة الإبداعية، وعدم الالتزام بطريقة تدريس معينة، كما تناولت الأغراض الرئيسة لتعليم اللغات الأجنبية، ومسألة الفصحى والعامية وإستراتيجية نشر اللغة العربية. فكانت أهم

نتائجها فتح آفاق لبحوث ودراسات في الجامعات السودانية ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية الذي تحتضن مكتبته عشرات من بحوث الماجستير والدبلوم العالي.⁶⁸ إفادة الباحثة من هذه الدراسة أن العربية لأغراض خاصة تُبنى برامجها ومناهجها لتستجيب لحاجات الدارسين التي تُملها منهم وتخصّصاتهم وأعمالهم وهي بلا شكّ تتجدّد مادامت الحياة. تشير الباحثة إلى أنّه نتيجة لهذه الدراسة مقرونة بجهود زملائه كانت دافعاً لأن يعقد معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ندوة حول تعليم العربية لأغراض خاصة في عام 2003م. (عبدالرحيم وآخرون) والتي أسهمت في فتح آفاق لمجال العربية لأغراض خاصة؛ حيث اشتملت الندوة على ثلاث عشرة ورقة علمية قدّمها علماء وباحثون .

2.دراسة الصديق آدم بركات(2016). (مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، مباحث لغوية 2018، ص 83 وما بعده) اللغة العربية لأغراض خاصة في السودان نُشرت في العام 2018م، عرض فيها جهود السودان في تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة؛ حيث تتبّع ظهورها من حيث النشأة، كما رصد البرامج المقدمة وصولاً لأهم الأغراض وأهم المواد التعليمية كونها جهداً سودانياً لخدمة اللغة العربية ونشرها من خلال البرامج المقدمة لفئات مختلفة من الدبلوماسيين والعسكريين والقانونيين وغيرهم. استخدم في دراسته المنهجين الوصفي والتاريخي؛ حيث تتبّع بعض القضايا، كما جمع المعلومات من مصادرها، وأجرى المقابلات لاستكمال المعلومات التي لم تتوافر في الكتب والوثائق؛ حيث أوضح أنّ البرامج التي قدّمها المعاهد والمراكز والأقسام، كانت أكثرها شيوعاً في ثلاث مؤسسات لها نماذج لمواد تعليمية هي (كتاب العلوم التربوية للأغراض الأكاديمية، معهد اللغة العربية جامعة إفريقيا العالمية) و(كتاب برنامج ترقية الأداء باللغة العربية للعاملين في القضاء في السودان) و(دليل برنامج تعليم اللغة العربية للأغراض القانونية) معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها - جامعة السودان المفتوحة. كما تناولت التحدّيات التي تواجه تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة وسبل تجاوزها. فكانت أهم نتائجها: ضرورة تكامل الجهود بين المؤسسات المختصة في مجال تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة على المستوى المحلي والإقليمي لأجل نشر اللغة العربية وتسويق برامجها للأغراض الخاصة. فالمؤسسات السودانية تُمثّل بيت الخبرة لدى دول القارة الأفريقية. مع ضرورة الاهتمام بالمجال المعرفي لإثراء الأدبيات لهذا المجال، وذلك بالترجمة والنقل من المصادر الأجنبية، وتنظيم الندوات والمؤتمرات وتشجيع التأليف، وتحفيز الباحثين، وتكريم المتميّزين.⁶⁹ إفادة الباحثة من هذه الدراسة أنّها تدعم جهودها في هذا البحث، وتؤكد على الحاجة المستمرة والمتجدّدة في مجال تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة.

3.دراسة نهال بنت علي بن شهلوب القحطاني (1439هـ)(ماجستير غير منشور):

مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة التطبيقي من جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، بعنوان: (تحليل حاجات التّواصل اللّغويّ للدّبلوماسيّين النّاطقين بـلغات أخرى).

⁶⁸ -عشاري، محمود أحمد ، تعليم اللغة لأغراض محددة، المجلد الأول، العدد الثاني، معهد الخرطوم الدولي، 1983م، ص: 115- 125

⁶⁹ - بركات، الصديق آدم، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة تجارب وتقويم، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، مباحث لغوية، السعودية 2018

هدفت الدراسة إلى تحليل الحاجات اللغوية للقناصل (عينّة الدراسة) ولتحقيق هذا الهدف فقد اتبعت المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات وتحليلها؛ حيث كان توزيع الأداة على البعثات الدبلوماسية غير العربية في مدينتي الرياض وجدة بالمملكة العربية السعودية، وبعد تحليل البيانات احصائياً خلصت الدراسة إلى نتائج عدّة أهمها: أن المواقف التواصلية التي يتعرض لها القنصل وتتطلب منه استخدام اللغة العربية بلغت (6) مواقف أبرزها: حضور المناسبات، والاحتفالات، والندوات. حلّ المشكلات التي تواجه السفارة أو مواطنيها مع الجهات الرسمية في البلد العربي المضيف. أما الحاجات اللغوية القوية فبلغت (14) حاجة، أبرزها: بناء علاقات اجتماعية مع المواطنين والشخصيات البارزة في المملكة، متابعة الأخبار في وسائل الإعلام المحلية والإقليمية. فكانت أهم توصيات الدراسة: الاستفادة من النتائج لإعداد برامج تلبى حاجات الدبلوماسيين اللغوية، وضرورة الاهتمام بالحاجات الثقافية المحلية عند تعليم اللغة العربية للدبلوماسيين.

إفادة الباحثة من هذه الدراسة التأكيد على أن المتطلبات في مجال العربية لأغراض خاصة تتجدد باستمرار وفقاً لحاجات الدارسين؛ ففي الأغراض الدبلوماسية تتعدد حاجات الدارسين بحسب الوظائف التي يمارسونها فحاجات الملحق الثقافي، غير حاجات الملحق التجاري، غير حاجات الملحق العسكري، كذلك يستمرّ تجدد تفاصيل حاجاتهم تبعاً للمهن والوظائف والتخصصات العلمية والأكاديمية والعملية، وبها تتأكد أنّ العربية بوصفها لغة حيّة تمكّنت من إحداث التفاعل بين أصحاب اللغات الأخرى ومتحدثيها.

1. دراسة هداية تاج الأصفياء البصري وسامية عبد القادر (2016م) (منشورات معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة السودان المفتوحة):

تمّ في ضوءها تصميم برنامج لدورة تدريبية يتم تقديمها في (90) ساعة تواصل ولمدة (45) يوماً لأغراض قانونية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن تزايد الطلب على العربية لأغراض خاصة نتيجة للتطورات التي زادت من الحاجة إلى التواصل والتبادل اللغوي داخل الفضاءات والمجتمعات الجديدة. كما أبانت ارتباط الأغراض القانونية بحاجات الدارسين وهم القضاة التشاديين الذين تعلّموا العربية في العام 2014م في المعهد نفسه، وكانت حاجتهم إلى لغة الغرض القانوني، لأنهم سوف يمارسون المهنة في مجتمع فيه العربية لغة رسمية. فتمّ تصميم البرنامج في ضوء حاجاتهم التي تمّ التعرف عليها قبل مغادرتهم للسودان والعودة مرة أخرى لتعلّم لغة الغرض في فترة لا تتجاوز ستة أسابيع فكان تصميم محتوى البرنامج في ضوء موضوعاتهم القانونية، ومفردات المهنة الشائعة في البيئة اللغوية والثقافية لمجتمع تشاد وهو مجتمع مشابه لبعض مجتمعات السودان في كثير من المستويات الاجتماعية والثقافية.⁷⁰ إفادة الباحثة من هذه الدراسة التأكيد على استمرارية التجدد في مجال العربية لأغراض خاصة.

⁷⁰ - البصري، هداية تاج الأصفياء، وسامية عبد القادر (تعليم اللغة العربية لأغراض قانونية)، منشورات معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها 2016م.

تعقيباً على هذه الدراسات: بصورة مجملة فإنها قد بذلت ما في وسعها لإبراز الجهود المتلاحقة التي عملت على الاستيفاء بحاجات الدارسين في مجال اللغة العربية لأغراض خاصّة، وللتوسّع في المفاهيم الخاصّة بها، والتي تؤكد على إنسانية اللغة العربيّة. إضافة إلى التعريف بمصطلحات علوم أصحاب تلك اللّغات ومعارفها لقطاعات واسعة من البشروهي في ذات الوقت تمكّن أصحاب تلك اللّغات من التفاعل مع مجتمعاتهم الجديدة، ورؤية أنفسهم، وعلومهم، وأعمالهم، ومهمهم من خلال هذه اللغة التي حباها الله بقدره استيعابية هائلة كانت وما زالت تواكب بها التطوّرات المتلاحقة في العلوم والفنون وتستوفي حاجات الدارسين لممارسة حياتهم الجديدة في المجتمعات الهدف.

كما حملت بعض الدراسات في طياتها دعوات واضحة إلى توحيد الجهود لخدمة العربيّة عموماً وهذا المجال خاصّة؛ إذ لا يزال يحتاج إلى الكثير من الجهود نظراً لاستمراريّة تجدد حاجات الدارسين والرّاغبين فيه. كما أن الجهد الجماعي سوف يستوعب خبرات متعدّدة تعضد بعضها بعضاً لتنمية وتطوير المجال.

المحور الثاني / تعلم اللّغات واللّغة العربيّة لأغراض خاصّة تعليمها وتعلّمها: تميز هذا القرن بتعلم اللّغات الأجنبية ومهاراتها ممّا جعلها شريكاً استراتيجياً للاعلام الجديد، واوجد العلاقة المتبادلة بينهما. ذلك للحاجة المتبادلة إلى التّداول في عالم أصبح على مقربة من الجميع في شتى مجالات الحياة، فقد ترقمن كلّ شيء من حولنا. من هنا أضحت بالنسبة لنا مجال الأغراض الخاصّة من أهم مجالات تعليم وتعلّم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها. ذلك لتمييزها باستمراريّة التجدد تبعاً لتطوّر حاجات الدارسين؛ فقد أظهر هذا القرن الحادي والعشرون تزايداً في الإقبال على تعلّم العربيّة لأغراض خاصّة، ولا غرو في ذلك فقد شهدت اللغة العربيّة منذ نزول الوحي وبدء الدّعوة الإسلاميّة ودخول غير الناطقين بها في الإسلام فكانت الحاجة إلى تعليم اللغة لأغراض خاصّة، والذي انحصر في الأغراض الدّينية فقد كان هدف الذين دخلوا في الإسلام تعلّم العربيّة لفهم القرآن الكريم بوصفه مصدر الدّين والتّشريع الاسلامي، غير أن تعلّم اللغة العربيّة لم يقتصر على الجانب الدّيني فظهرت أغراض أخرى متعدّدة منها: التّجارة والصّناعة. ثمّ جاءت الحاجات العلميّة والعملية لإيجاد عناصر قادرة على التّواصل مع ولايات الخلافة المتراصة في أنحاء الدّنيا؛ وكذلك بين الخلافة والدّول الواقعة خارج حدودها. وقد ظلّ الأمر كذلك إلى نهاية القرون الوسطى؛ ثمّ تراخت النّهضة العملية العربيّة إلى أن عادت إلى الظهور بشدّة في القرن العشرين بعد مقاومة عصيّة للاستعمار الذي حاول جاهداً طمس العربيّة ومعالمها الثّقافية والحضاريّة، فشكّلت نهايات القرن العشرين انبعاثاً جديداً لتعليم وتعلّم العربيّة على مستوى الأغراض العامّة والخاصّة. فقد بذل الخبراء والمتخصّصون والمهتمون جهوداً حثيثة دعمتها المؤسّسات المعنيّة بالتّربية والثّقافة والعلوم حيث شهدت فعاليّاتها عواصم الدّول العربيّة؛ وبحلول القرن الحالي شهد تعليم وتعلّم العربيّة للأغراض الخاصّة انتشاراً واسعاً لمواكبة متطلبات فئاتها المتنوّعة والإيفاء بالحاجات الماسة للرّاغبين في تعلّم اللغة كلّ حسب غرضه؛ حيث تطوّر مفهوم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة نظراً لاستمراريّة تجدد أغراض التعلّم الذي شمل جميع تخصّصات العلوم التّطبيقية والنّظرية والفنون

وكافة ألوان التقنيّة المتطوّرة بغرض المواكبة التي تتطلب الاستجابة السريعة من المؤسسات التعليميّة العامّة في المجال⁷¹.

نشأة مجال اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة: يرى محمود إسماعيل صالح: (مدونته على الإنترنت) (نواة الاهتمام باللّغة لأغراض الخاصّة كانت نتيجة لاهتمام فئات مختلفة من الباحثين والعاملين في النّشاط اللّغويّ، وهم علماء اللّسانيّات الاجتماعيّة الذين كانت جزءاً من اهتمامهم الاختلافات اللّغويّة لفئات المجتمع المختلفة، ومن تأثر بهم من اللّسانيّين المهتمين بدراسات وظائف اللّغة، ومعلّمي اللّغات الأجنبيّة واللّسانيّين التّطبيقيّين خاصّة بعد ظهور ما يُسمى بالاتّجاه التّواصلي في تعليم اللّغات الذين أبدوا اهتماماً خاصّاً بقضايا السّياق الاجتماعيّ للاستعمال اللّغويّ والكفائيّة التّواصلية من جهة، وباحتياجات المتعلّمين أو الدّارسين من جهة أخرى. كذلك مجموعات الباحثين في حقل التّرجمة والتّرجمة الآليّة بصورة خاصّة بينما كان تركيز اللّسانيّين التّطبيقيّين بصورة رئيسة على تعليم هذه اللّغات لفئات الدّارسين ذوي الاحتياجات العمليّة المختلفة. فنشأ مصطلح تعليم اللّغة لأغراض خاصّة الذي يشمل التّخصّصات الفرعيّة، مثل اللّغة لأغراض أكاديميّة، ولأغراض طبيّة. هذا المفهوم حول النّشأة يؤكّد على أن اللّغة العربيّة تواكب حاجات العلوم الأخرى وتستجيب لها. فالأغراض الأكاديميّة على سبيل المثال لها فروع عامّة وفروع تفصيليّة تبعاً للتّخصّصات الأكاديميّة نفسها هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإنّ هذه التّفرّعات تؤكّد على استمراريّة تجدد حاجات الدّارسين والمستهدفين في العلوم الأكاديميّة. ذلك إذا غصّ النّظر عن الأغراض الأخرى غير الأكاديميّة مثل الأغراض المهنيّة والعمليّة والتقنيّة وغيرها من الأغراض التي تتجدّد وتتطوّر بتطوّر الحياة وحراكها على المستويّين الفيزيائيّ والاقتصاديّ.⁷² كما يرى عشاري أحمد محمود أيضاً: أنّ ظهور هذا الاتّجاه نتيجة للتّطوّر الذي حقّقه علم اللّسانيّات الاجتماعيّة فأوجد مرتكزاً نظريّاً ومنهجياً لهذا الاتّجاه يتمثّل في تحليل الخطاب والتّباين اللّغويّ وانتشار اللّغات وانحسارها، والتّخطيط اللّغويّ، والقدرة الإبلاغيّة أو القدرة لتبليغ الخطاب التي تشكّل المحور الأساسي لتعليم اللّغات الأجنبيّة لأغراض خاصّة⁷³.

مفهوم اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة: عرّف عشاري اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة بأنّها (ذلك المنهج الذي حدّد موادّ مقرّراته بصفة رئيسة، وفق تحليل مسبق للحاجات الإبلاغيّة للمتعلّم)⁷⁴، ويُعدّ هذا التعريف متسقاً مع المفهوم الذي ارتضيناه للّغة العربيّة لأغراض خاصّة حيث أن حاجات المتعلّمين الإبلاغيّة مستمرة ومتجدّدة تبعاً لتطوّر ناموس الحياة، وطالما ظلت الحياة متطوّرة في علومها، وفنونها

⁷¹ - طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، موقع إلكتروني

www.academia.edu

⁷² - صالح. محمود، مدونة دكتور محمود اسماعيل صالح (صيني) على الإنترنت.

⁷³ - مجلة الدّراسات اللّغويّة، المجلد الأول، العدد الثّاني، معهد الخرطوم الدّولي، ص: 28

⁷⁴ - صالح. محمود، مدونة دكتور محمود اسماعيل صالح (صيني) على الإنترنت، ص: 114

وتقنيّاتها. لذلك سوف تبقى العربيّة لأغراض خاصّة متجدّدة بتجدّد الحاجات الإبلاغيّة للمتعلّمين وعلى سبيل المثال لا الحصر اللّغة العربيّة لأغراض طبيّة.

أما رشدي طعيمة فقد عرّف (تعليم اللّغة العربيّة لأغراض وظيفيّة محدّدة ولفئات خاصّة، تتطلّب أعمالها قدرّاً معيّناً من اللّغة الأجنبيّة التي يمكن توظيفها في هذه الأعمال⁷⁵. فيُلاحظ أنّ اللّغة العربيّة قد عملت على الاستيفاء بالحاجات الوظيفيّة لكلّ الذين يمارسون وظائفهم ومهنهم وبحوثهم العلميّة داخل المجتمعات العربيّة وكان لازماً عليهم الاندماج في المجتمعات الجديدة بمختلف بيئاتها الثّقافيّة. كما يُلاحظ أنّه كلما أصبحت حركة التّنقل بين البلدان مناسبة للراغبين عملت المؤسّسات المعنيّة بتعليم العربيّة لغة أجنبيّة على الإيفاء بحاجاتهم كلّ حسب وظيفته أو فئته التي أصبحت غرضاً لتعلّمه العربيّة. ما يجعلهم ينظرون إلى علومهم من خلال اللّغة العربيّة التي ظلّت تستحدث المقابلات لمصطلحات علومهم وتجعل استخداماتها متفاعلة مع ثقافات البيئات اللّغويّة أينما وُجدوا.

خصائص برامج اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة: تمتاز برامج اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة بخصائص عدّة، منها خصائص أساسيّة، ومنها خصائص متغيرة. وقد أوردها رشدي طعيمة ومحمود النّاقة⁷⁶، حيث ذكرنا من الخصائص الأساسيّة أن يتصف برنامج اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة بخمس خصائص غير أنّ التّجربة تجعلنا نضيف إليها أربع خصائص أخرى هي:

1. تلبية حاجات العلوم الأخرى من خلال تلبية حاجات المتعلّمين التي تعينهم في تقديم معارفهم باللّغة العربيّة؛

2. ارتباط محتويات البرنامج بالمجالات المعرفيّة للمتعلّمين سواء أكانت مهناً أم أعمالاً أم أنشطة أم علوماً أم فنوناً؛

3. ارتكاز تصميم البرامج على استخدام لغة تناسب الغرض المحدّد من حيث وصفها في السّياق الذي يتسق مع الغرض والموقف داخل البيئة الثّقافيّة الهدف؛

4. استخدام المفردات الشّائعة للّغة الغرض في البيئة الثّقافيّة للمجتمع الهدف.

أما الخصائص المتغيرة: فكان رأيهما حصرها في ثلاث خصائص؛ لكن من خلال التّجربة في جامعة السّودان المفتوحة يمكن إضافة ثلاث خصائص أخرى هي:

1. اقتصار بعض البرامج على تعليم مهارات لغويّة دون أخرى مثل تعليم مهارتي القراءة والكتابة دون غيرهما؛

2. ارتباط هذه البرامج بغرض محدّد، وحاجتها إلى لغة غرض محدّد في برنامج محدّد؛

3. يعدّ برنامج الأغراض الخاصّة مدخلاً إذ يهتم بمجموع المنطلقات والأسس العلميّة والفلسفيّة التي يستند إليها المقرّر على سبيل المثال الأغراض الدّيبُلوماسيّة.

مداخل اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة: حدّدها رشدي طعيمة والنّاقة في مدخلين هما:

⁷⁵ طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، موقع إلكتروني

ص:03 <http://www.academia.eddu>

⁷⁶ المرجع نفسه، ص:05

1. المدخل اللغوي: وهدفه تحديد المواقف التي تُستخدم فيها اللغة، ومن ثمّ تحديد المحتوى اللغوي؛
2. مدخل الدّارس نفسه: وما يتصل بعملية التعليم لديه: أي يركّز على تحديد أساليب اكتساب الكفايات اللازمة للدّارس؛
- لكن من خلال التجارب يمكن أن نضيف إليهما مدخلاً ثالثاً، هو:
3. مدخل المحتوى: وهدفه معرفة نوع النّص ومصطلحاته والغرض منه لتحديد مقابلاتها والدّلالة والخطاب وسياق الاستخدام المهنيّ أو الوظيفيّ أو غيرهما.
- أنواع اللغة لأغراض خاصّة:
- تتفرّع اللغة العربيّة لأغراض خاصّة إلى أنواع عديدة إضافة إلى ما ذكره طعيمة والنّاقة ومنها:

 1. أغراض العمل التي تتفرّع إلى وظيفيّة ومهنيّة؛
 2. أغراض أكاديميّة تتفرّع إلى تطبيقية وإنسانيّة؛
 3. أغراض علميّة وتشمل شتى تفرّعات العلم والبحث العلميّ.

- بينما كان رأى طعيمة والنّاقة حصّرهما في نوعين هما⁷⁷:

 1. اللغة العربيّة لأغراض أكاديميّة أو علميّة: وهذا ينطبق على اللغة العربيّة لأغراض تربويّة لطلاب المعاهد والجامعات؛ حيث يلبي البرنامج حاجات الدّارسين في فهم الكتب والمراجع الخاصّة بالتّخصّص، وتبادل الأفكار العلميّة عند التّواصل الأكاديميّ؛
 2. اللغة العربيّة لأغراض مهنيّة أو وظيفيّة: ويخدم البرنامج أصحاب المهن والأعمال الذين يحتاجون اللغة العربيّة وسيلةً لأداء واجباتهم الوظيفيّة أو المهنيّة، ويدخل في هذا النوع اللغة العربيّة للدّبلوماسيّين، ورجال الأعمال، ومرشدي السّياحة، وإلى غير ذلك من مهن ووظائف.

- أمّا العناصر المميزة لبرامج اللغة العربيّة لأغراض خاصّة: فمن وجهة نظرنا أن البرامج تتميز بالآتي:

 1. أهداف دقيقة ومعايير أساسيّة تعبّر عن الغرض من تعليم اللغة، بقصد الاتّصال الجيّد بالعربيّة مع النّاطقين بها، وتمكين الدّارس من هذا الاتّصال، إضافة إلى أنها تستلزم منهجيّة عمل في الأهداف ومعايير تحديد المهارات وإعداد الموادّ التعليميّة والتّقويم وطرق التّدريس. (تكامل الأهداف والمعايير)؛
 2. تمتاز بالتّشابه؛ لكن تختلف البيئة الثقافيّة من بلد لآخر فإن لغة العالم تتشابه في كثير من المهن مثل الطّب والهندسة عموماً؛ حيث تتّفق مصطلحات الطّب مثلاً بوجه عامّ، وتباين تبعاً للتّخصّصات أمّا سياقات العلوم فتختلف باختلاف التّخصّصات مثل الاقتصاد والاجتماع وإدارة الأعمال وغيرها. (الانتماء اللغويّ في المهنة أو التّخصّص مثلاً)؛
 3. يتجانس جمهور الدّارسين بالبرنامج الواحد في نوعيّة وطبيعته وتخصّصاته فتكون حاجاتهم اللّغويّة واحدة وغرضهم وأهدافهم الإجرائيّة مشتركة في عموميّات التّخصّصات ثمّ تأتي التّباينات التّخصّصيّة في التّفاصيل كلّ حسب تخصّصه الدّقيق. (نوعيّة الدّارسين وتجانسهم مع بعضهم ومع الجمهور المتعامل معهم)؛

⁷⁷ طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، ص: 20

4. تمتاز بأنّ الاستخدام فيها يكون عاجلاً لأنّ كلّ دارس في هذه البرامج يحتاج إلى العربيّة لغرض خاصّ للاستخدام المباشر أي بعد الانتهاء مباشرة، لذلك يكون الزّمن المخصّص للبرنامج الواحد قصيراً ومحسوباً بدقة للإيفاء بحاجات الدّارس. (الاستخدام والزّمن المخصّص)؛
5. تمتاز بأنّ الجمهور الذي يتعامل معه الدّارس يكون حقيقياً ملموساً كما يكون الجمهور المتوقّع قد تمّ تصنيفه بما يملّيه الدّارس، وما يتوقّعه من معاملات الجمهور الحاليّين أو المتوقّعين. (الجمهور الحقيقيّين أو المتوقّعين)؛
6. تمتاز بأنّ مناهجها تُبنى على حاجات الدّارس حسب الوظيفة أو التّخصّص مع مراعاة البيئة الثقافيّة للمجتمع الجديد، على أن تكون موضوعات المحتوى التّعليميّ مشتملة على المهارات اللّغويّة الأربع، مع التّركيز على المهارات التي يطلبها أو يرغبها الدّارس بحسب التّخصّص أو المهنة مثل التّقارير، والخطابات، وبذلك فإنّ الدّارس سوف يرى تخصّصه أو مهنته أو عمله من خلال هذه اللّغة الأجنبيّة التي تمثّلها وهي اللّغة العربيّة. (المنهج وحاجات الدّارسين)؛
7. تمتاز بأنّ موادّها التّعليميّة تُبنى على حاجات الدّارس؛ حيث تُختار النّصوص في ضوءها، فتصبح لغة الغرض محدّدة فتختلف النّصوص من حيث الطّول، والتّدريج حسب المهام أو المهمّة التي تتحدّد بالغرض وتستقصى النّصوص من مصادرها الأصليّة على سبيل المثال التّقارير الطّبيّة والديّپلوماسيّة. (المحتوى التّعليميّ وموادّه التّعليميّة). لذلك تتجدّد محتويّات الموادّ التّعليميّة تبعاً للحاجات التّفصيليّة للدّارس نفسه، ومستوى التّطوّر في تخصّصه أو مهنته والذي يترتّب عليه تجدّداً في حاجاته؛
8. تمتاز بأنّ التّركيز فيه يكون على المهارات الدّراسيّة المتّصلة بالغرض المحدد مع مراعاة المهارات اللّغويّة التي تخدم الغرض نفسه؛ والتي تجعل من اللّغة العربيّة مرآة لعلوم الغرض نفسه أو الأغراض المطلوبة. (مهارات الدّراسة). فكل غرض له لغته وتركيزه على مهارات بعينها بنسبة تزيد عن المهارات الأخرى؛
9. تمتاز بأنّ الأنشطة فيها تكون القبليّة منها داعمة لخطة التّدريس، فيكون تحضير الدّرس معتمداً على جزء من متطلبات التّعليم (لغة الغرض) لاستثارة الدّافعيّة لدى الدّارس وزيادة القابليّة لديه. (الأنشطة الدّاعمة)⁷⁸؛
10. تمتاز بأنّ التّقويم يقوم على رصد الرّبط بين ما هو مطلوب عملياً حسب لغة الغرض والتّطبيق الفعليّ الذي يؤدّيه الدّارس لإظهار المضمون العمليّ من خلال اللّغة الهدف وهي اللّغة العربيّة. وبهذا يكون التّقويم حافزاً للدّارس للقيام بالمزيد من التّدريبات التّطبيقيّة التي تُظهر قدراته العمليّة. (التّقويم والتّقويم الدّاتي)؛

⁷⁸ - طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، ص:20

11. تمتاز بأنّ الدّارس فيها هو محور الارتكاز الذي تركز عليه أغلبية الأنشطة من خلال تبادل الأدوار والعمل التعاوني بينه وبين الدّارسين معه، وبينهم وبين الأستاذ. (محورية الدّارس أو الدّارسين- التعليم التعاوني).

أمّا مميّزات تعليم العربيّة لأغراض خاصّة فقد حصرها طعيمة والناقة في ثلاث مميّزات هي:

1. توفير وقت الدّارس؛

2. مراعاة الجانب الاقتصاديّ في عمليّة التعليم؛

3. الحفاظ على دافعيّة الدّارس.

لكن من خلال التجربة يمكن أن نضيف إليها ثلاث مميّزات أخرى هي:

1. تلبية حاجات الدّارس والحصول على رضاه؛

2. سرعة اكتساب الكفايات المستهدفة من خلال ملائمة البرنامج لحاجاته؛

3. زيادة دافعيّة الدّارس بالتفوّق على تطلّعاته من خلال الأنشطة الدّاعمة.⁷⁹

المحور الثالث / الإعلام الجديد واللّغات علاقة متبادلة :

يشهد العالم اليوم تحولات عميقة على صعيد الاتّصال الإعلام ، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على اللّغات ووظائفها ومجالات استخدامها. وفي خضم هذه التّحوّلات، برزت اللّغة العربيّة بوصفها لغة ذات خصوصيّة ثقافيّة وتاريخيّة، تواجه تحديات جديدة، وتُمنح في الوقت نفسه فرصًا غير مسبوقة للتّجديد والانفتاح. من هذا المنطلق، يتناول هذا الكتاب موضوعًا ذا أهميّة بالغة ، يتمثّل في: "اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة في عصر الإعلام الجديد: نحو تجديد عالي للوظيفة اللّغويّة"، ساعيًا إلى تقديم رؤية تأصيليّة وتطبيقيّة تستجيب لمقتضيات ومتطلبات هذا العصر المتسارع.

لقد أفرزت العلاقة المتبادلة بين اللّغات والإعلام الجديد ملامح جديدة لواقع اللّغة، وقدمت تساؤلات عميقة حول جدوى التّماذج التّقليديّة في تعليم اللّغات وتوظيفها. ومن هنا تنبع أهميّة هذا الكتاب؛ إذ يسعى إلى إبراز النّقاط المضيئة التي تولّدت عن تفاعل اللّغة العربيّة مع الإعلام الرّقمي، خاصّة حين نُقارِبها من منظور اللّغة لأغراض خاصّة، بوصفها أحد فروع اللّسانيّات التّطبيقيّة التي تركّز على الحاجات الإبلاغيّة للنّاطقين بغير العربيّة في تخصّصاتهم المهنيّة الدّقيقة.⁸⁰

وعليه؛ فقد أصبح الإعلام الجديد وبما لا يدع مجالاً للشكّ أنّه لا يقتصر على النّشر الرّقميّ فحسب؛ بل يشمل العمليّات التّفاعليّة ومخرجاتها، والوسائط المتعدّدة وتعلّم اللّغات فيها ، ومن ثمّ الانتشار العالميّ لهذه اللّغة عبر إيّائها بالحاجات الإبلاغيّة المتجدّدة للدّارسين والمستهدفين ببرامج اللّغة العربيّة للأغراض الخاصّة.

يلحظ أنّ مثل هذا التّحوّل قد أدّى إلى نشوء منصّات تعليميّة غير تقليديّة، وأصبح بإمكان المتعلّمين الوصول إلى محتوى لغويّ مخصّص لأهدافهم المهنيّة أو التّخصّصيّة.

⁷⁹ طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، ص:20.

⁸⁰ البصري، اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة في عصر الإعلام الجديد نحو تجديد عالي للوظيفة اللّغويّة. 2025، ص:16.

فقد باتت اللّغات تُتعلّم عبر، مقاطع الفيديو (YouTube, TikTok)، (البودكاست)، التّطبيقات التّفاعليّة التي حقّقت اختراقات واسعة في عمليّات التّعليم والتّعلّم وكانت لها مخرجات ماهرة. الألعاب التّعليميّة، وهي أكثر جاذبيّة للصغار والكبار وزادت نسب الفهم والاستيعاب، كما أدّت إلى رفع الكفاءة الأدائيّة للدّارسين والأساتذة.

الدّورات عبر الإنترنت (MOOCs)، وكانت مخرجاتها مائزة.

الإعلام الجديد واللّغة العربيّة، حضور متزايد وفرص كامنة :

على الرّغم ممّا تعانيه اللّغة العربيّة في بعض المناطق ببعض الدّول من حيث التّحدّيات التّقنيّة في الوسائط الرّقميّة، إلّا أنّ السّنّوات الأخيرة شهدت تناميًا ملحوظًا في حجم المحتوى العربيّ، خصوصًا المحتوى التّعليميّ. كما توجد اليوم قنوات عربيّة مخصّصة لتعليم العربيّة للناطقين بغيرها، وتطبيقات موجّهة للأغراض الخاصّة، مثل:

(منصة "AlifBee"، قناة "Learn Arabic with Maha"). كذلك بذلت مراكز ومعاهد الجامعات السّودانيّة العامّة دورات تدريبيّة مجانيّة تطويريّة، وأخرى متقدّمة في مجال تعليم العربيّة للناطقين بغيرها.

تعليم العربيّة لأغراض خاصّة عبر الإعلام الجديد:

عند النّظر إلى اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة في تطوّر تعليمها وتعلّمها بموجب ما أحدثه تكنولوجيا التّعليم عبر الحقب المختلفة، ثمّ انتقال عمليّات التّعليم والتّعلّم في الوسائط الإلكترونيّة الحديثة قبل أن يوفّر الإعلام الجديد أدوات فعّالة وحديثة لتعليم العربيّة لأغراض خاصّة ، نذكر هنا بعض إسهاماته التي من أبرزها⁸¹ :

_ دورات في "العربيّة الطّبيّة" للأطباء والممرضين؛

_ تعليم "العربيّة الدّبلوماسيّة" للمتخصّصين في العلاقات الدّوليّة وغيرها؛

_ فيديوهات مبسّطة للمصطلحات القانونيّة أو التّجاريّة.

وهذه كلّها تساعد الطّلاب على التّعلّم وفق حاجاتهم، وبأسلوب مرئيّ وسمعيّ سهل الاكتساب.

التّحدّيات والمخارج الأمنيّة: يعمل الإعلام الجديد في علاقته المتبادلة مع اللّغات على الإسهام بفعاليّة في الكشف عن التّحدّيات، وبذل بعض من مقترحات بالمخارج الأمنيّة. تتمثّل بعض التّحدّيات في الآتي :

_ نقص المحتوى العربيّ المتخصّص عالي الجودة؛

_ غياب التّنسيق بين المتخصّصين في اللّغة والتّخصّصات المهنيّة لمعالجة المصطلحات ترجمة

صحيحة وموحدة، بدلا من التعرّيبات الكثيرة التي باتت تشوّه اللّغة العربيّة؛

_ قلة وجود منصّات عربيّة موثوقة تعمل باحترافيّة. وهو ما يمكن إرجاعه إلى التّكاليف التي يمكن

مقابلتها بالشّراكات التي تعمل على توحيد الجهود تمنحها قيمة مضافة.

أمّا المخارج الأمنيّة فيمكن أن تتمثّل في الآتي :

⁸¹ البصري، مرجع سابق. ص:18

_ تطوير مناهج إلكترونية في العربية لأغراض خاصة حسب الحاجات الإبلالية للدارسين في المجال؛

_ إنشاء شركات بين الجامعات والمبرمجين والمنصات؛

_ دعم إنتاج المحتوى العربي التفاعلي والتخصصي؛

_ عمل شركات مع الأطراف ذات الصلة لتوحيد المصطلحات لمختلف التخصصات العامة والدقيقة.

أما الحقيقة المؤكدة فهي، أن الإعلام الجديد ليس خصمًا على اللغة العربية أو غيرها من اللغات ؛ بل حليفًا استراتيجيًا للغة العربية لتجديد حضورها العالمي، ذلك إذا أحسن توظيفه؛ حيث يمكن أن يصبح أداة فعالة في تحويل العربية إلى لغة للأغراض الخاصة، كل حسب التخصص، والعمل ، وتواصل عالمي في بيئات الطب، والعلوم، والسياسة والتقنية وغيرها من العلوم.

المحور الرابع / الإعلام الجديد يدعم وظائف اللغة العربية لأغراض خاصة:

أفرزت هذه البيئة أنماطًا جديدة من التواصل تتطلب إعادة تعريف لوظائف اللغة، وأساليب توظيفها في مجالات مثل الإعلام الطبي القانوني، والتقني، لم تعد اللغة مجرد أداة لنقل المعلومات؛ بل غدت مكونًا فاعلاً في تشكيل المعنى، والتأثير، وبناء الهوية المهنية. يتناول هذا التحليل واقع اللغة التخصصية في فضاء الإعلام الرقمي، ويناقش التحديات والفرص التي تطرحها المنصات التفاعلية مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والبودكاست، وقنوات اليوتيوب التعليمية. كما يعرض نماذج مختارة من استخدام اللغة العربية المتخصصة في هذه الوسائط، ويوضح أهمية مراعاة الخصوصية الاصطلاحية والأسلوبية في هذا السياق الإعلامي المتجدد.

نحاول هنا في هذا المحور أن نربط بين الإعلام الجديد وتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، في سياق التحول العالمي المتسارع في التواصل والتعليم والهوية اللغوية. وفي ضوء ازدياد الطلب على تعلم العربية لأغراض خاصة (مثل الأغراض الطبية، الديبلوماسية، الأكاديمية، الدينية... إلخ)، إذ يمكننا هنا صياغة إجابة منهجية تنطلق من ثلاث نقاط:

الأولى: الإعلام الجديد تمثل فرصة استراتيجية: الإعلام الجديد (الرقمي، التفاعلي، الشبكي) يقدم أدوات قوية يمكن استثمارها لتحقيق قفزة عالمية للغة العربية لأغراض خاصة منها على سبيل المثال: ⁸²

1. منصات تعليمية مرنة: تتيح تقنيات التعليم الإلكتروني تصميم دورات رقمية متخصصة تناسب

شرائح مختلفة من المتعلمين في مختلف بقاع العالم؛

2. شبكات التواصل الاجتماعي: توفر مجالاً واسعاً للترويج للغة العربية المتخصصة من خلال

محتوى جذاب، مبسط، وعملي؛

3. الذكاء الاصطناعي: يمكن الاستفادة منه لتطوير تطبيقات تعلم ذكية تقدم محتوى لغوياً

متخصصاً وفق مستوى المتعلم (مثل المحادثة الطبية أو القانونية)؛

⁸² البصري، مرجع سابق. ص: 32

4. الواقع المعزز والافتراضي: لإنتاج تجارب تعليمية غامرة تحاكي الواقع المهيّ (مثل مشفى افتراضي لتعلم المصطلحات الطبية بالعربية).

الثانية : اللغات لأغراض خاصة ومرونة اللغة العربية: تتمتع اللغة العربية بمميزات تجعلها قادرة على التكيف مع الأغراض الخاصة، إذا ما أحسن تصميم المحتوى على سبيل المثال لا الحصر:⁸³

1. ثراء المعجم وقابليته للاشتقاق، ممّا يسمح بابتكار مصطلحات تلي حاجات تخصصية دون اللجوء إلى الترجمة المباشرة؛

2. وجود تراث لغويّ علمي وديني ودبلوماسي يمكن توظيفه في برامج تعلم اللغة لأغراض خاصة؛

3. الطلب المتزايد من غير الناطقين بها، خاصة من المهنيين في العالم الإسلامي وأفريقيا وآسيا. الثالثة : فيما يتعلق بكيفية تحقيق اللغة العربية قفزة عالمية؟ نقول يمكن لهذه اللغة العظيمة أن تحقّق القفزة المرجوة، بتحقيق موجبات محدّدة ، تتمثل في تكامل الجهد اللغويّ والبيداغوجي والتّقنيّ والإعلامي، من خلال :

1. بناء برامج رقمية متخصصة:

تصميم مناهج عربية مهنية في مجالات مثل الطب، الهندسة، الأعمال، الإعلام، العلوم الشرعية.

التركيز على الجانب التّواصلي الوظيفي لا القواعد وغيرها من العناصر اللغوية.

2. تعريب الذكاء الاصطناعيّ والمحتوى الإعلامي، ذلك بعمل الآتي :

- تطوير روبوتات محادثة متخصصة باللغة العربية لأغراض خاصة؛

- إنتاج بودكاستات وفيديوهات قصيرة تشرح المصطلحات والسياقات التخصصية.

3. التشبيك بين المؤسسات اللغوية والتّقنية والإعلامية: وذلك من خلال التعاون بين

المجامع اللغوية ومراكز تعليم اللغة العربية وشركات التقنية لإنشاء موارد عالمية.

4. ترسيخ الهوية وتجديد العرض: وذلك من خلال :

- تقديم اللغة العربية باعتبارها لغة علم ومعرفة، لا فقط لغة تراث؛

- التجديد المستمر للمحتوى ليناسب المستجدات والمصطلحات الحديثة.

نختم هنا في هذا المحور الأخير بأنّ القفزة العالمية التي نريدها للغة العربية لأغراض خاصة ليست مجرد طموح؛ بل فرصة ممكنة التحقيق في ضوء الإعلام الجديد، بشرط أن يُعاد تصميم المحتوى وفق مناهج مدروسة، وتُستثمر الأدوات الرقمية، ويُعاد تقديم العربية بوصفها لغة نافعة وظيفية تستوعب المستجدات إلى جانب مكانتها الثقافية والدينية.

⁸³ المرجع نفسه، ص:43

أهم الاستنتاجات:

من خلال الدراسة برزت الاستنتاجات الآتية:

1. الاستثمار في العلاقة الإستراتيجية المتبادلة مع الإعلام الجديد لجعل مجال تعليم العربية لأغراض خاصة أكثر قدرة على التفاعل في الاستجابة السريعة لحاجات الدارسين المستمرة؛
2. إعادة تصميم محتوى المناهج بما يضمن الاستفادة من الأدوات الرقمية؛
3. يُمثل تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة حاجة وظيفية محدّدة تبعاً للمهنة أو التخصص أو العمل؛

4. يُمثل الدارسون فئات خاصة تجمعهم أعمال محدّدة يحتاجون إلى اللغة الأجنبية بمقدار توظيفها في أداء الأعمال سواء أكانت تخصصية أم مهنية أم عملية أم خدمية؛
5. ضرورة أن يتضمن المحتوى ما هو علمي، وأكاديمي، ومهني، وتقني، وفني، وخدمي. فمصطلحات في العلاج الطبيعي، غير مصطلحات في تقانة الأسنان، وهي في ذات الوقت غير مصطلحات خدمات تقني الأطراف الصناعية، أو خدمات التمريض كذلك فإن مصطلحات الطبيب العمومي غير مصطلحات اختصاصي الجهاز البولي أو الحساسية على سبيل المثال؛
6. إن المشترك بين فئات الدارسين هو التخصص في المجال، أو المهنة، أو العملية مثل تعليم العربية للممرضين والممرضات؛

7. إن تصميم الدروس اللغوية تتضمن المصطلحات المهنية أو العلمية أو العملية مع مراعاة تناسب المحتوى اللغوي لبيئة وثقافة المجتمع الهدف؛
8. إن حاجات الدارسين تحدّد المحتوى المناسب بحسب لغة الغرض ذلك لأن :

أ. لغة غرض التخصص: تكون أيضاً دائمة التجدد والاستمرارية لحاجة التخصص نفسه إلى تخصصات فرعية دقيقة تتطور بتطور الحياة.

ب. لغة غرض المهنة: فالمهنة أيضاً لها عمومياتها وتفرعاتها التي تتجدد بتطور حياة الناس. بالتالي فإن هذا المجال (اللغة العربية لأغراض خاصة) يتصف بالديمومة والتجدد بتجدد المعارف الحياتية وتطورها.

الخاتمة والنتائج النهائية والتوصيات: نختم بأن الحاجة إلى العربية لأغراض خاصة دائمة التجدد فهي حاجة مستمرة مما يجعل المجال في حاجة ملحة للاستثمار في العلاقة المتبادلة مع الإعلام الجديد، ليظلّ في حركة دائبة لمواكبة ما يطرأ في العلوم، والمهن، والأعمال، والتخصصات، والخدمات، وفنون الحياة الأخرى..

النتائج النهائية: يمكن تلخيص النتائج النهائية في الآتي:

1. أن اللغة العربية لأغراض خاصة تتفاعل مع الإعلام الجديد وتستجيب لظواهر الأغراض الخاصة التي تتصف باستمرارية التجدد؛ إذ تنوع فيها حاجات الدارسين التي تعمل العربية على الاستيفاء بها منتجة لغة لكل غرض وتفاصيله المختلفة. فهناك لغة لغرض كل تخصص دقيق؛

2. أن محتوى موضوعات تعليم العربية في الأغراض الطّبيّة يمثّل حصيلة نتائج تحليل حاجات الدّارسين الإبلاغيّة، بالتّالي فإنّ التّجديد المستمرّ للمحتوى ليناسب المستجدات والمصطلحات الحديثة؛

3. أن حاجات الدّارسين والمستهدفين تستمرّ وتتجدّد بتجدّد المعارف والتّخصّصات، فتتجدّد البرامج وتتطوّر بتطوّر الحياة واستمراريتها تكاملاً مع التّطوّرات في أدوات الإعلام الجديد؛

4. ضرورة التّشبيك بين المؤسّسات اللّغويّة والتّقنيّة والإعلاميّة ذلك بإيجاد أطر تعاونيّة بين المجمع اللّغويّة ومراكز ومعاهد تعليم اللّغة العربيّة وشركات التّقنيّة لإنشاء موارد عالميّة؛

5. التّركيز على بناء برامج رقميّة متخصصة يتم بموجها إعداد وتصميم مناهج عربيّة لأغراض خاصّة مهنيّة في مجالات مثل الطّب، الهندسة، الأعمال، الإعلام، العلوم الشرعيّة. مع التّركيز أيضاً على مهارات التّواصل الوظيفي.

التّوصيات:

أخيراً يُوصي البحث بالآتي:

ضرورة تضافر كلّ الجهود للاستفادة من :

1. الأدوات الرّقميّة وغيرها من الأدوات المتاحة من خلال الإعلام الجديد.
2. الاستفادة من التّجارب والخبرات التّراكميّة التي تمكن اللّغة العربيّة من الاستيفاء بالأغراض الخاصّة تعليمياً وتعلّماً.
3. حثّ الخبراء والباحثين على بذل المزيد من الجهد والاهتمام بمجال تعليم العربيّة لأغراض خاصّة في ضوء العلاقة المتبادلة مع الإعلام الجديد فهو مجال دائم التّجدّد والتّطوّر المستمر.

المصادر والمراجع :

1. البصري، هداية تاج الأصفياء، اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة في عصر الإعلام الجديد، نحو تجديد عالمي للوظيفة اللّغويّة، دار نفرتيتي للدراسات والنّشر والترجمة. القاهرة، مصر، 2025م.
2. البصري، هداية تاج الأصفياء، وساميّة عبد القادر (تعليم اللّغة العربيّة لأغراض قانونيّة)، منشورات معهد اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها 2016م.
3. القحطان، نهال بنت علي بن شهلوب، تحليل حاجات التّواصل اللّغويّ للدّبلوماسيّين النّاطقين بلغات أخرى، ماجستير غير منشور، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلاميّة، الرياض، السّعوديّة، 1439هـ.

4. بركات، الصّديق آدم، تعليم اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة تجارب وتقويم، تعليم اللّغة العربيّة لأغراض خاصّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّولي لخدمة اللّغة العربيّة، مباحث لغويّة، السّعوديّة 2018.

5. دليل معهد اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها وجامعة السّودان المفتوحة
وأنظر الرّابط (<http://www.lua.edu.sd/about-us/history.html>)

6. دليل جامعة إفريقيا العالمية، 2017
7. عشاري، محمود أحمد ، تعليم اللغة لأغراض محدّدة، المجلّد الأول، العدد الثّاني، معهد الخرطوم الدّولي، 1983م.
8. علي. عبد الرّحيم وأخران، 2003، كتاب ندوة تعليم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة.
9. صالح. محمود، مدونة دكتور محمود اسماعيل صالح (صيني) على الإنترنت.
10. طعيمة، رشدي ومحمود النّاقة، تعليم العربيّة لأغراض خاصّة مفاهيمه ومنهجيّاته ومسوغات الحركة، موقع إلكتروني <http://www.academia.edu>
11. منشورات معهد اللغة العربيّة للناطقين بغيرها بجامعة السّودان المفتوحة (أعد المعهد كتاباً لتعليم اللغة العربيّة لرجال الأعمال إعداد الأستاذة المرحومة/ آمال يوسف السّيمت. وسلسلة للأغراض الطّبيّة إعداد المجلس الأكاديميّ للمعهد 2022م، وسلسلة الأغراض الدّبلوماسيّة إعداد المجلس الأكاديميّ للمعهد 2022م. ودليل مقررات تعليم اللغة العربيّة للأغراض القانونيّة هداية تاج الأصفياء وساميّة عبد القادر، 2014، وكتاب تعليم اللغة العربيّة للعاملين في الحقل الطّبيّ إعداد الأستاذ الدّكتور/ المهدي أحمد عبد الماجد. ومسرد الأغراض القانونيّة للحروف أ، ب، ت. لدكتورة هداية تاج الأصفياء).

Traduire l'intraduisible : Enjeux et défis de la traduction littéraire et coranique à l'ère de la mondialisation

طالي فايزة

Maitre de conférences A

Université d'Alger 2 Abou El Kacem

Algérie Saâdallah

Introduction: Traduire, c'est traverser une frontière. Non pas seulement celle des mots, mais celle des mondes. Plus qu'un simple acte de transposition linguistique, la traduction engage une opération complexe de passage entre des univers de pensée, des systèmes symboliques, des horizons culturels parfois irréductiblement distincts. Dans le cas du texte littéraire, la tâche du traducteur devient doublement difficile : non seulement il doit rendre le sens d'un message, mais il doit aussi préserver l'esthétique d'une forme, les résonances d'un imaginaire, les échos d'une sensibilité profondément ancrée dans une culture source. Le défi est donc à la fois linguistique, poétique et éthique.

À l'ère de la mondialisation, cette tâche se complexifie davantage. Le contexte actuel est marqué par une circulation accélérée des textes, une multiplication des points de contact entre langues et cultures, mais aussi par une tension croissante entre diversité et homogénéisation. Tandis que les technologies et les flux médiatiques facilitent l'accès à des productions culturelles d'origines variées, la domination de certaines langues — notamment l'anglais — et de certaines grilles de lecture tend à imposer des cadres interprétatifs standardisés, susceptibles d'appauvrir ou de déformer la richesse des productions originales. La traduction se trouve ainsi prise dans un paradoxe : elle est à la fois le vecteur privilégié du dialogue interculturel et un lieu où s'expriment les tensions géopolitiques, idéologiques et identitaires propres au monde globalisé.

Dans ce paysage mondialisé, la traduction des textes religieux — et en particulier du Coran — occupe une place singulière et hautement sensible. Le Coran, considéré dans la tradition musulmane comme la parole incréée de Dieu révélée en arabe au Prophète Mohamed, est doté d'un statut linguistique, doctrinal et symbolique exceptionnel. Sa langue

— l'arabe classique — est tenue pour inimitable (*i'jāz*), et son contenu est perçu comme indissociable de sa forme. Traduire le Coran ne saurait donc se concevoir comme une simple transposition d'un texte vers une autre langue : c'est une opération à la fois périlleuse et nécessaire, où se jouent la fidélité au texte sacré, la clarté du message destiné à des publics plurilingues, et le respect des multiples interprétations possibles d'un texte fondateur.

Ce défi prend une dimension encore plus aiguë dans le contexte contemporain. En effet, dans un monde où les sociétés sont de plus en plus multiculturelles, et où les textes religieux circulent au-delà de leurs sphères d'origine, la traduction du Coran devient un enjeu culturel, politique et spirituel majeur. Elle doit répondre à des exigences souvent contradictoires : rester fidèle à la lettre et à l'esprit du texte original ; permettre la compréhension du message par des lecteurs étrangers à la langue et à la culture islamiques ; éviter les malentendus ou les interprétations erronées dans un contexte où les représentations de l'islam sont fréquemment traversées par des stéréotypes, voire des discours islamophobes. Traduire le Coran revient donc à tenter un équilibre précaire entre sacralité et accessibilité, entre altérité et intelligibilité, entre particularisme linguistique et universalité du sens.

Dans ce cadre, il est légitime de s'interroger : comment la traduction du texte littéraire, et en particulier celle du Coran, se confronte-t-elle aux défis posés par la mondialisation, notamment en termes de fidélité sémantique, de diversité culturelle et de réception interculturelle, tout en participant à la médiation entre un texte sacré à la langue inimitable et des publics plurilingues et multiculturels ? Cette problématique, au croisement de la traductologie, de l'anthropologie religieuse et des études postcoloniales, invite à une réflexion approfondie sur les logiques de pouvoir, les tensions épistémiques et les dynamiques d'interprétation qui traversent l'acte de traduire dans un monde globalisé.

Nous articulerons notre réflexion autour de trois axes majeurs. Dans un premier temps, nous explorerons les enjeux de la fidélité et de l'intraduisibilité dans les textes littéraires et sacrés, en mettant en lumière la spécificité du langage coranique et les limites de sa transposition. Dans un second temps, nous analyserons la réception interculturelle des traductions du Coran et des textes littéraires dans les contextes plurilingues, en tenant compte des lectures divergentes, des attentes culturelles et des enjeux de pouvoir qui conditionnent leur circulation. Enfin, nous interrogerons la fonction médiatrice de la traduction dans un monde traversé par l'hétérogénéité linguistique et symbolique, en montrant comment la

traduction peut contribuer — malgré ses limites — à faire émerger des formes de compréhension mutuelle, de reconnaissance de l'altérité et de cohabitation des imaginaires.

I. La fidélité et l'intraduisibilité : traduire entre singularité littéraire et sacralité religieuse: Traduire suppose toujours une forme de tension entre deux pôles : la fidélité à la lettre et la fidélité à l'esprit. Dans le domaine littéraire, cette tension est particulièrement manifeste, car ce qui est en jeu ne relève pas uniquement du contenu informationnel, mais aussi de la forme, du style, du rythme, des connotations culturelles et de l'univers esthétique d'un auteur. La traduction d'un texte littéraire exige donc une lecture profonde, une compréhension sensible de l'œuvre, et une capacité de recreation dans la langue d'arrivée. Or, cette fidélité est problématique dès lors que l'on admet qu'aucune langue ne recouvre exactement les champs sémantiques d'une autre, et qu'il existe dans toute œuvre des éléments que la traduction ne peut que perdre, atténuer ou reformuler.

Le traductologue Antoine Berman insistait sur le fait que « traduire, c'est d'abord affronter l'étranger »⁸⁴. Cela signifie que tout texte porte en lui une altérité radicale, qui résiste à l'assimilation. Le langage littéraire est par définition marqué par cette altérité : il travaille la langue, la fait dévier de ses usages normés, la rend poétique, opaque, polysémique. Le traducteur, confronté à cette complexité, est inévitablement contraint de choisir : privilégier le sens au détriment de la forme, ou préserver la forme en risquant d'altérer le sens. Dans les deux cas, il s'agit d'une forme de perte. Walter Benjamin, dans son célèbre essai *La tâche du traducteur*, suggère que la traduction ne saurait être une reproduction fidèle du texte original, mais plutôt une reconfiguration, un écho, un prolongement dans une autre langue, conservant quelque chose de l'"intention pure" du texte⁸⁵.

Lorsque cette problématique est transposée au champ religieux, et plus précisément à la traduction du Coran, elle prend une dimension encore plus aiguë. Le Coran est un texte unique dans la tradition islamique : il n'est pas seulement un recueil de paroles révélées, mais une parole divine inimitable, qui constitue en elle-même un miracle linguistique. L'islam considère que le Coran n'existe pleinement que dans sa version arabe originale, révélée au Prophète

⁸⁴ Antoine Berman, *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*, Paris, Seuil, 1999, p. 17.

⁸⁵ Walter Benjamin, *La tâche du traducteur* (1923), in *Œuvres*, trad. M. de Gandillac, R. Rochlitz et P. Rusch, Paris, Gallimard, coll. Folio Essais, 2000, p. 255-267.

Mohamed entre 610 et 632. L'acte de traduction, dans ce contexte, est non seulement complexe, mais profondément chargé sur le plan théologique et doctrinal.

En effet, l'arabe coranique se distingue par sa densité sémantique, sa musicalité, son rythme, et son usage fréquent de figures de style telles que l'ellipse, l'asyndète, le parallélisme ou l'hyperbole. Un seul mot peut comporter plusieurs niveaux de sens, parfois contradictoires ou complémentaires. Le terme *fitna*, par exemple, peut désigner à la fois l'épreuve, la discorde, la tentation ou encore le châtiment, selon le contexte⁸⁶. Le traducteur doit alors faire un choix, réduire l'ambivalence, fixer une signification là où le texte original ouvre des possibles.

La tradition islamique, consciente de cette difficulté, a toujours entretenu une forme de méfiance vis-à-vis de la traduction du Coran. Plusieurs écoles juridiques considèrent que la récitation du Coran dans une autre langue que l'arabe est invalide dans le cadre des prières rituelles. De plus, la plupart des éditions modernes précisent qu'il s'agit d'une « traduction des significations du Coran », non du Coran lui-même⁸⁷. Ce glissement terminologique souligne la précaution avec laquelle la traduction est envisagée : elle ne saurait prétendre restituer l'essence du texte révélé, mais seulement en proposer une interprétation linguistique approximative.

Cette approche prudente a conduit à une production abondante mais différenciée de traductions du Coran à travers l'histoire. Dès le Moyen Âge, certaines traductions en persan, en turc ou en ourdou ont été réalisées pour répondre aux besoins spirituels des non-arabophones musulmans. En Europe, les premières traductions latines datent du XII^e siècle, comme celle de Robert de Ketton, mais elles s'inscrivaient souvent dans une visée polémique⁸⁸. À l'époque moderne, des figures comme Mohamed Asad, Jacques Berque ou Denise Masson ont proposé des traductions cherchant à concilier rigueur philologique et sensibilité spirituelle. Chacune de ces tentatives révèle un rapport singulier à la fidélité : fidélité au texte, mais aussi fidélité à l'intention spirituelle, à l'oralité, au contexte historique, aux usages liturgiques.

⁸⁶ Claude Gilliot, « Du Coran à la littérature : quelques réflexions sur le langage coranique », *Studia Islamica*, vol. 80, 1994, p. 5-28.

⁸⁷ Voir par exemple : Muhammad Asad, *Le Message du Coran*, Paris, Albouraq, 2008.

⁸⁸ Thomas Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom, 1140–1560*, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 2007.

La question de l'intraduisibilité du Coran n'est donc pas un simple obstacle technique. Elle engage une réflexion profonde sur la nature du texte, sur son autorité symbolique, et sur les frontières entre langue, religion et culture. À la différence du texte littéraire, où le traducteur peut assumer une part de liberté interprétative, la traduction du texte sacré est soumise à des contraintes théologiques strictes. Le moindre glissement sémantique peut être perçu comme une trahison, une altération du message divin, voire une manipulation idéologique. Pourtant, dans un monde où la majorité des musulmans ne parlent pas l'arabe comme langue maternelle, la traduction du Coran devient une nécessité religieuse et éducative. Elle permet une première approche du texte, une médiation entre le fidèle et le sens révélé.

La fidélité, dans ce contexte, devient alors un idéal régulateur, plutôt qu'une norme absolue. Elle est moins une reproduction qu'un engagement herméneutique, un effort constant pour faire résonner, dans une autre langue, l'écho d'une parole perçue comme inaltérable. C'est dans cette tension que se dessine la spécificité du travail du traducteur du Coran : ni copiste, ni auteur, mais interprète humble et vigilant d'un texte dont il connaît les limites de la transmission.

II. Réception interculturelle des traductions dans un monde globalisé : entre malentendus et reconfigurations: Dans un monde globalisé, marqué par la fluidité des échanges culturels et l'expansion des technologies de l'information, la traduction devient un vecteur essentiel de circulation des idées, des récits et des textes fondateurs. Elle ne se limite plus à un acte discret entre deux langues : elle devient une opération visible, médiatisée, et parfois hautement politisée. Les traductions du texte littéraire, comme celles du texte sacré — notamment le Coran —, circulent dans des espaces plurilingues, pluriculturels, souvent asymétriques, où la réception ne dépend pas uniquement de la qualité linguistique du travail accompli, mais aussi des attentes, des préjugés et des imaginaires culturels des lecteurs.

Dans ce contexte, le processus de réception est loin d'être neutre. Chaque traduction entre dans un champ de forces idéologiques, historiques et symboliques. Elle peut être perçue comme un pont vers l'autre, ou au contraire comme un filtre déformant, voire comme une appropriation coloniale. La réception du Coran traduit dans les sociétés non arabophones — qu'elles soient musulmanes ou non — illustre parfaitement cette ambivalence. D'un côté, la traduction permet l'accès au texte sacré pour des millions de croyants non arabophones ; de l'autre, elle soulève des interrogations sur l'authenticité de cette transmission, sur la légitimité

des interprétations qu'elle induit, et sur les usages sociaux, politiques et religieux qui en sont faits.

Dans les sociétés occidentales, la réception des traductions du Coran a souvent été façonnée par une double dynamique : l'intérêt philologique et l'instrumentalisation idéologique. Dès la Renaissance, des traductions latines ont été produites dans un but d'étude, mais aussi de réfutation, comme celle de Robert de Ketton en 1143, réalisée à la demande de Pierre le Vénérable pour servir les controverses théologiques contre l'islam⁸⁹. Dans la modernité, les traductions se sont multipliées, plus rigoureuses sur le plan linguistique, mais toujours prises dans des logiques de représentation. Certaines, comme celle de Régis Blachère ou de Denise Masson, ont été critiquées pour avoir gommé les aspects spirituels du texte au profit d'une approche plus littérale ou historiciste⁹⁰. D'autres, comme celle de Mohamed Hamidullah, plus proche des sensibilités musulmanes, ont été jugées trop apologétiques ou hermétiques pour un lectorat non musulman.

Dans les pays à majorité musulmane non arabophones (comme l'Iran, la Turquie, l'Indonésie, le Pakistan ou les pays d'Afrique subsaharienne), les traductions du Coran remplissent une fonction religieuse et pédagogique cruciale. Elles permettent l'enseignement du message coranique dans des contextes linguistiques éloignés de l'arabe, et favorisent une appropriation spirituelle du texte. Toutefois, ces traductions sont rarement neutres : elles sont souvent produites ou validées par des institutions religieuses qui en contrôlent le contenu, l'interprétation et la diffusion. Ainsi, en Arabie saoudite, la fameuse traduction d'Abdullah Yusuf Ali est diffusée massivement à travers le monde musulman, mais elle reflète une lecture salafiste du texte⁹¹. Ce type de traduction peut donc orienter la réception en excluant d'autres courants interprétatifs (chiites, soufis, modernistes), et en imposant une lecture unifiée d'un texte qui, historiquement, a donné lieu à une diversité exégétique considérable.

La réception interculturelle des traductions coraniques est également affectée par les dynamiques postcoloniales. Dans de nombreux contextes, la traduction est perçue comme une forme de réappropriation culturelle ou comme une réponse à des représentations déformées imposées par les anciens pouvoirs coloniaux. Traduire le Coran en langues

⁸⁹ Thomas Burman, *Reading the Qur'an in Latin Christendom, 1140–1560*, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 2007.

⁹⁰ Régis Blachère, *Le Coran*, Paris, Maisonneuve & Larose, 1957 ; Denise Masson, *Le Coran*, Paris, Gallimard, « Bibliothèque de la Pléiade », 1967.

⁹¹ Abdullah Yusuf Ali, *The Meaning of the Holy Qur'an*, Riyadh, Presidency of Islamic Research, 1989.

africaines, en tamoul ou en malais, ce n'est pas seulement rendre le texte accessible : c'est aussi affirmer une autonomie culturelle et théologique. Pourtant, cette revendication se heurte à la crainte — chez certains théologiens — d'une fragmentation de l'autorité scripturaire, voire d'une "profanation" par l'appropriation populaire du texte⁹².

À cela s'ajoute la circulation contemporaine des traductions sur les plateformes numériques. Le Coran traduit est désormais disponible en ligne, en accès libre, dans plusieurs langues. Des sites comme Quran.com ou des applications mobiles permettent une lecture parallèle de plusieurs versions, souvent accompagnées de commentaires. Cette accessibilité sans précédent transforme radicalement les conditions de réception. Le texte traduit devient un objet de lecture individuelle, autonome, parfois détaché des cadres d'interprétation traditionnels. L'utilisateur choisit sa traduction, compare, interprète librement. Si cette démocratisation de l'accès favorise l'appropriation personnelle du texte, elle peut aussi engendrer des lectures fragmentaires, décontextualisées, voire instrumentalisées⁹³.

Le texte littéraire, lui aussi, connaît des enjeux similaires dans sa réception mondiale. Un roman traduit peut devenir, dans un autre espace culturel, porteur de significations inattendues. La réception dépend du contexte sociopolitique, des attentes du public, et du paratexte éditorial (préfaces, choix de titre, présentation, marketing). Un écrivain comme Naguib Mahfouz, prix Nobel de littérature, n'est pas perçu de la même manière en Égypte, en France ou au Japon. Le traducteur, en opérant ses choix lexicaux, stylistiques ou culturels, joue un rôle central dans cette reconfiguration du sens. Comme le note Lawrence Venuti, la traduction est toujours un acte interprétatif qui peut rendre visible ou invisibiliser certaines dimensions de l'œuvre⁹⁴.

La mondialisation a donc multiplié les voies de la traduction, mais aussi les risques de malentendus. Elle a permis une diffusion sans précédent des textes, mais elle a aussi fragilisé les dispositifs d'interprétation collective qui permettaient, autrefois, d'encadrer leur réception. Face à cela, il devient essentiel de repenser la traduction non comme un simple outil de transmission, mais comme une médiation culturelle consciente, éthique et contextualisée.

⁹² Abdoulaye Elimane Kane, « Traduction du Coran et langues africaines : entre transmission et pouvoir », in *Revue Islam et Société*, n°13, 2010, p. 45-59.

⁹³ Mona Baker, *Translation and Conflict: A Narrative Account*, London, Routledge, 2006.

⁹⁴ Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, London, III. Traduire comme acte de médiation dans un monde plurilingue et multiculturel

III. La fonction médiatrice de la traduction : entre sacré, pluralisme et globalisation:

Dans un contexte mondial profondément marqué par les mobilités humaines, les pluralismes religieux, l'interdépendance des sociétés et la montée des tensions identitaires, la traduction se voit investie d'un rôle nouveau : celui de médiatrice culturelle. Elle n'est plus seulement une opération technique visant à rendre un texte accessible dans une autre langue, mais devient une forme de négociation entre des systèmes de valeurs, des traditions discursives et des imaginaires souvent dissonants. Ce rôle est d'autant plus crucial lorsqu'il s'agit de traduire des textes fondateurs ou porteurs d'une forte charge symbolique, comme les œuvres littéraires patrimoniales ou les textes religieux tels que le Coran.

Dans un monde plurilingue, où les langues ne coexistent pas de manière égalitaire, traduire revient aussi à rééquilibrer, à faire dialoguer et parfois à résister. Le processus de mondialisation n'a pas uniquement multiplié les échanges, il a également renforcé l'hégémonie de certaines langues — en particulier l'anglais — au détriment de nombreuses autres, souvent qualifiées de "mineures" ou "périphériques". Dans ce cadre, la traduction peut servir de contre-pouvoir, en assurant la visibilité de textes venus d'univers culturels marginalisés, et en permettant à des voix longtemps tenues à l'écart du canon occidental de prendre place dans les circuits dominants de la culture⁹⁵.

Cette fonction de médiation culturelle, appliquée à la traduction du Coran, s'exerce dans une double direction. D'une part, elle permet aux non-arabophones — qu'ils soient musulmans ou non — d'accéder à un texte central dans la civilisation islamique. D'autre part, elle crée un espace d'interprétation et de compréhension mutuelle entre des traditions religieuses et philosophiques qui, en l'absence d'un tel effort de traduction, risqueraient de rester cloisonnées dans leurs référents propres. Dans cette optique, la traduction devient un acte de paix, un pont entre les différences, un outil de cohabitation symbolique entre les cultures.

Or cette médiation n'est jamais neutre. Elle suppose une posture réflexive de la part du traducteur, qui doit assumer un rôle d'interprète, mais aussi de pédagogue et de diplomate du langage. Mohamed Arkoun insistait sur la nécessité, pour traduire le Coran avec justesse, d'associer des compétences multiples : philologiques, théologiques, philosophiques, mais aussi critiques⁹⁶. Le traducteur doit être capable de comprendre les enjeux herméneutiques du

⁹⁵ Pascale Casanova, *La République mondiale des lettres*, Paris, Seuil, 1999.

⁹⁶ Mohamed Arkoun, *Lectures du Coran*, Paris, Maisonneuve & Larose, 1982, p. 27-45.

texte original, tout en les reformulant dans une langue cible qui ne partage ni les structures linguistiques ni les systèmes symboliques de l'arabe coranique.

La médiation par la traduction requiert également une conscience aigüe des dynamiques de réception. Traduire pour un public non musulman en Europe ou en Amérique du Nord n'implique pas les mêmes stratégies que traduire pour des communautés musulmanes d'Afrique subsaharienne ou d'Asie du Sud-Est. Chaque contexte d'énonciation implique des attentes différentes, des niveaux de connaissance inégaux, et des cadres idéologiques variables. Le traducteur est ainsi amené à choisir entre explicitation ou retenue, entre annotation ou neutralité apparente, entre style littéral ou reformulation. Ces choix ne sont pas anodins : ils façonnent l'image du texte et conditionnent la manière dont celui-ci sera lu, compris ou rejeté⁹⁷.

Dans le champ littéraire également, la traduction médiatrice s'impose comme un enjeu central. Les textes issus du monde arabe, africain ou asiatique, lorsqu'ils sont traduits vers les langues dominantes, sont souvent reconfigurés pour s'adapter aux sensibilités du lectorat occidental. Cela peut mener à des formes de "domestication" culturelle, où l'altérité du texte est atténuée pour le rendre plus lisible⁹⁸. Face à cela, certains traducteurs revendiquent une stratégie inverse : la "défamiliarisation", c'est-à-dire le maintien volontaire de l'étrangeté, afin de respecter la singularité culturelle du texte original. Cette tension entre rendre familier ou préserver l'étrange est au cœur de la médiation littéraire par la traduction.

Mais cette fonction médiatrice prend tout son sens dans l'espace numérique mondialisé. Aujourd'hui, les traductions du Coran — tout comme les grandes œuvres littéraires — circulent largement en ligne, en formats numériques, accessibles instantanément par des publics très diversifiés. Cette mise à disposition massive transforme la fonction du traducteur : celui-ci devient une interface entre le texte et le monde, un passeur conscient des implications politiques et culturelles de son travail. Des plateformes comme Quran.com, Tanzil.net ou Alim.org proposent désormais plusieurs traductions simultanées, comparées, annotées, qui permettent à l'internaute de s'orienter entre les versions, de mesurer les écarts, d'exercer son esprit critique⁹⁹.

⁹⁷ Mona Baker, *Translation and Conflict: A Narrative Account*, London, Routledge, 2006.

⁹⁸ Lawrence Venuti, *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*, London, Routledge, 1998.

⁹⁹ Voir par exemple : www.quran.com et les fonctions de navigation multilingue proposées par Tanzil.net.

Dans ce contexte plurilingue et pluriculturel, la traduction du Coran — comme celle du texte littéraire — s'impose comme un espace éthique et politique. Elle ne peut être réduite à une opération mécanique de substitution de mots. Elle implique une responsabilité à l'égard du texte, mais aussi à l'égard du lecteur et de l'autre culture. Elle engage le traducteur dans un acte de dialogue, qui peut soit reproduire des stéréotypes, soit les déconstruire ; soit opacifier le texte, soit en révéler la richesse. Le traducteur, en ce sens, est l'agent d'une diplomatie symbolique : il incarne la possibilité d'une coexistence des différences à travers la parole partagée.

Ainsi, traduire le Coran dans un monde globalisé, c'est bien plus que transmettre un contenu sacré. C'est participer à une médiation active entre la langue inimitable d'un texte fondateur et la diversité irréductible des publics contemporains. C'est, enfin, œuvrer à l'émergence d'un espace de compréhension, où les frontières entre foi, culture et langage peuvent, sinon s'abolir, du moins se traverser avec respect, intelligence et responsabilité.

Conclusion générale : À l'issue de cette réflexion, il apparaît que la traduction du texte littéraire, et plus encore celle du Coran, ne saurait être réduite à un simple exercice de correspondance entre langues. Elle constitue un acte fondamentalement interculturel, interprétatif et politique, inscrit dans une géographie des savoirs et des rapports de pouvoir qui façonnent autant les pratiques traductives que leur réception. Dans un monde globalisé où les textes circulent avec une rapidité inédite, où les publics sont de plus en plus plurilingues et multiculturels, et où les appartenances identitaires deviennent parfois conflictuelles, traduire devient un lieu stratégique : un lieu de passage, de négociation et parfois de résistance.

La traduction du texte littéraire est déjà, en elle-même, un défi considérable. L'œuvre littéraire ne transmet pas seulement un contenu, mais un rythme, un souffle, un imaginaire — autant d'éléments qui ne se laissent pas aisément transposer. Le traducteur est dès lors confronté à des choix éthiques et esthétiques, souvent déchirants : faut-il traduire mot à mot, quitte à altérer la fluidité du texte cible, ou doit-on privilégier l'effet stylistique, au risque de trahir certaines nuances culturelles ? Cette tension entre fidélité et recreation n'est jamais complètement résolue ; elle constitue le cœur même du métier de traducteur, un métier d'équilibriste et d'interprète entre deux mondes.

Mais lorsque le texte à traduire est un texte sacré tel que le Coran, les enjeux se déplacent encore vers un terrain plus sensible. Le Coran est un texte d'une densité unique, à la fois

linguistique, doctrinale, poétique et théologique. Il n'est pas seulement porteur d'un message religieux, mais d'une forme inimitable (*i'jāz*), perçue comme un miracle en soi dans la tradition musulmane. Sa langue — l'arabe classique — est inséparable de sa portée spirituelle. Toute tentative de traduction est ainsi perçue comme un effort d'interprétation, toujours partiel, toujours imparfait, et par conséquent, toujours sujet à controverse.

Dans cette optique, la traduction du Coran ne peut être envisagée comme une opération neutre ou purement technique. Elle engage une responsabilité herméneutique, à la fois envers le texte source et envers le lecteur cible. Elle suppose de penser la traduction non comme un produit fini, mais comme un processus de médiation, où l'on cherche moins à produire une équivalence parfaite — illusoire — qu'à créer une passerelle intelligible entre des univers linguistiques et culturels distincts. Ce processus exige du traducteur une posture de discernement, de prudence et d'humilité, car il ne traduit pas seulement des mots, mais des visions du monde, des structures de sens profondément enracinées dans des systèmes de croyances.

La mondialisation introduit ici une double dynamique. D'une part, elle permet une diffusion élargie des traductions du Coran, les rendant accessibles à des millions de lecteurs dans le monde entier. Cette mise à disposition peut favoriser une meilleure compréhension de l'islam, ouvrir la voie au dialogue interreligieux, et corriger certaines représentations erronées, notamment dans les contextes marqués par des discours islamophobes ou orientalistes. D'autre part, cette même mondialisation peut introduire des formes de standardisation, voire de manipulation du message traduit, dans la mesure où les traductions sont parfois produites ou diffusées par des acteurs étatiques ou idéologiques visant à imposer une lecture unique du texte, au détriment de sa pluralité interprétative.

La réception interculturelle des traductions coraniques — tout comme celles des œuvres littéraires — révèle l'instabilité de tout acte traductif. Le texte traduit est toujours reçu dans un contexte, par un public, selon des cadres d'attente particuliers. Il peut susciter la fascination, la méfiance, la polémique ou la réappropriation. Il peut devenir un outil d'enseignement, un objet de polémique, un instrument de soft power, voire un support d'extrémisation s'il est extrait de son cadre théologique et manipulé. Le traducteur n'a pas le contrôle de ces usages, mais il porte une responsabilité éthique quant à la manière dont il façonne le rapport entre le texte original et ses lecteurs.

Dans cette perspective, la traduction du Coran — comme de toute œuvre de haute densité symbolique — doit être envisagée comme un espace de médiation critique, capable de rendre audibles des voix minorées, d'ouvrir des voies d'intelligibilité mutuelle et de résister aux tendances à la clôture identitaire. Elle suppose une posture non seulement philologique, mais herméneutique et politique, capable d'interroger ses propres présupposés et de s'adapter à la diversité des destinataires. Elle ne peut être réduite à une technique de transcodage, mais doit être pensée comme une pratique réflexive, ancrée dans une conscience du contexte, des enjeux, des usages.

Traduire, en définitive, c'est habiter l'entre-deux. C'est accepter que toute tentative de rendre un texte accessible à l'autre soit marquée par une part d'imperfection, de perte, mais aussi de créativité et de dialogue. C'est travailler à faire coexister des langues, des référents, des visions du monde — non en les uniformisant, mais en les mettant en résonance. Dans un monde où les tensions culturelles, religieuses et linguistiques sont exacerbées, la traduction apparaît comme l'un des rares espaces capables de résister à la fermeture des identités, de tisser du commun dans la différence, et de proposer, sinon des solutions, du moins des espaces d'écoute, de compréhension et de reconnaissance mutuelle.

Ainsi, traduire le Coran aujourd'hui, c'est contribuer, malgré les difficultés et les ambiguïtés, à un horizon de cohabitation pacifique entre les langues, les cultures et les mémoires. Et c'est là peut-être que réside la dimension la plus profonde — et la plus politique — de l'acte de traduire.

Bibliographie

- Arkoun, Mohamed. *Lectures du Coran*. Paris : Maisonneuve & Larose, 1982.
- Baker, Mona. *Translation and Conflict: A Narrative Account*. London : Routledge, 2006.
- Berman, Antoine. *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*. Paris : Seuil, 1999.
- Benjamin, Walter. *La tâche du traducteur* (1923), in *Œuvres*. Trad. M. de Gandillac, R. Rochlitz et P. Rusch. Paris : Gallimard, coll. Folio Essais, 2000.
- Burman, Thomas. *Reading the Qur'an in Latin Christendom, 1140–1560*. Philadelphia : University of Pennsylvania Press, 2007.
- Casanova, Pascale. *La République mondiale des lettres*. Paris : Seuil, 1999.
- Gilliot, Claude. « Du Coran à la littérature : quelques réflexions sur le langage coranique », *Studia Islamica*, vol. 80, 1994, p. 5-28.
- Kane, Abdoulaye Elimane. « Traduction du Coran et langues africaines : entre transmission et pouvoir », *Revue Islam et Société*, n°13, 2010, p. 45-59.
- Masson, Denise. *Le Coran*. Paris : Gallimard, « Bibliothèque de la Pléiade », 1967.

- Venuti, Lawrence. *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*. London : Routledge, 1998.
- Venuti, Lawrence. *The Translator's Invisibility: A History of Translation*. London : Routledge, 1995.
- Yusuf Ali, Abdullah. *The Meaning of the Holy Qur'an*. Riyadh : Presidency of Islamic Research, 1989.

التّرجمة وأخلاقيّات الذّكاء الاصطناعيّ

د. ليلي بوعكاز

أستاذة محاضرة أ، بجامعة: محمد الصّديق بن يحي -جيجل-

المقدّمة: في عصر العولمة الرّقميّة، أصبحت التّرجمة الآليّة المدعومة بالذّكاء الاصطناعيّ أداة حيويّة لكسر الحواجز اللّغويّة وتيسير التّواصل بين الثقافات، ومع التّقدم الكبير في تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ خاصّة في مجال النّماذج اللّغويّة الكبيرة ، مثل ChatGPT شهدت التّرجمة الآليّة تحولاً جذرياً من حيث الدّقة والسّياق والكفاءة، ومع ذلك؛ فإنّ هذا التّقدم السّريع يأتي مع تحديّات أخلاقيّة كبيرة تتطلّب دراسة متأنّيّة لضمان أن تكون هذه التّقنيّات مفيدة للمجتمع دون الإضرار بالقيم الإنسانيّة الأساسيّة.

تهدف هذه الورقة إلى استكشاف العلاقة المعقّدة بين التّرجمة الآليّة وأخلاقيّات الذّكاء الاصطناعيّ من خلال تحليل التّحديّات الأخلاقيّة المرتبطة باستخدام الذّكاء الاصطناعيّ في التّرجمة مثل التّحيز الخوارزميّ والشفافيّة والخصوصيّة، واستعراض المبادئ التّوجيهيّة لتصميم أنظمة لترجمة أخلاقيّة بالإضافة إلى مناقشة الآفاق المستقبلية لهذا المجال، ومن خلال الجمع بين الجوانب التّقنيّة والأخلاقيّة نسعى إلى تقديم رؤية شاملة تساعد الباحثين والمطوّرين على تعزيز ممارسات أكثر أخلاقيّة في تطوير أنظمة التّرجمة بالذّكاء الاصطناعيّ.

1- تحديد إشكاليّة الدّراسة وأهميّتها:

1-1- الإشكاليّة الرّئيسيّة للدّراسة:

تشهد ممارسة التّرجمة تحولاً جذرياً بفعل تطوّر أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ، وخاصّة تقنيّات معالجة اللّغات الطّبيعيّة (NLP) والتّرجمة الآليّة العصبيّة (NMT)؛ بينما تقوم هذه التّقنيّات بتحقيق كفاءة غير مسبوقة وسرعة فائقة، فإنّها تثير إشكاليّات عميقة تتعلّق بجودة النّص المترجم وأصالة الأسلوب، وطبيعة الدّور المستقبليّ للمترجم البشريّ، والتّبعيّة التّقنيّة، والتّحيز الثقافيّ المضمن في الخوارزميّات، تتمركز الإشكاليّة الرّئيسيّة في الكشف عن مدى قدرة الذّكاء الاصطناعيّ على تجاوز كونه مجرد أداة مساعدة ليصبح فاعلاً مستقلاً في حقل التّرجمة، وتقييم الآثار المعرفيّة والثّقافيّة والمهنيّة المترتبة على هذا التّحول.

1-2- الأسئلة الفرعيّة للدّراسة:

- التّساؤل التّقنيّ الأدائي: ما هي القدرات الحقيقيّة لأنظمة التّرجمة المدعومة بالذكاء الاصطناعيّ (مثل GPT Google NMT) في معالجة التّعقيدات اللّغويّة (كالمجاز، والتّراكيب النّحويّة المعقّدة والخصوصيّات الثّقافيّة) مقارنة بالتّرجمة البشريّة؟

- التّساؤل النّقدي التّقيني: ما هي إشكاليّات التّحيز الثّقافيّ واللّغويّ التي يمكن أن تنتج عن الخوارزميّات التي تُدرّب على مجموعات البيانات المهيمنة، وكيف يمكن أن تؤثر على تمثيل الثّقافات "الأقلّ انتشاراً"؟

- التّساؤل الوظيفيّ-المهنيّ: كيف يتغيّر دور المترجم المحترف في عصر الذكاء الاصطناعيّ؟ هل يتحوّل من مُنفذ للتّرجمة إلى مراجع وناقد ومدقّق (Post-Editor) لنتاج الآلة؟

- التّساؤل الأخلاقيّ-المعرفيّ: ما هي الآثار الأخلاقيّة لاستخدام الذكاء الاصطناعيّ في ترجمة النّصوص الحسّاسة (قانونيّة، طبيّة، أدبيّة) وما مدى مسؤوليّة المترجم البشريّة عن الأخطاء التي قد تنتج عن الآلة؟

2-3- أهميّة الدّراسة:

- الأهميّة الأكاديميّة والمعرفيّة: تسدّ هذه الدّراسة فجوة في الأدبيّات العربيّة التي لا تزال قليلة في مقارنة تقاطع الذكاء الاصطناعيّ مع علوم التّرجمة من منظور نقديّ. كما تسهم في إثراء النّقاش حول فلسفة التّكنولوجيا وتأثيرها على الحقول الإنسانيّة.

- الأهميّة التّطبيقيّة والمهنيّة: تقدّم الدّراسة إطاراً عمليّاً للمترجمين المحترفين وموسّسات التّرجمة لفهم كينيّة دمج أدوات الذكاء الاصطناعيّ في سير العمل لتحسين الإنتاجيّة مع الحفاظ على الجودة، وإعادة تعريف المهارات المطلوبة لهم في سوق العمل المستقبليّ.

- الأهميّة الثّقافيّة والاجتماعيّة: تنبّه الدّراسة إلى مخاطر التّحيز الخوارزمي والهيمنة اللّغويّة التي قد تعززها أنظمة الذكاء الاصطناعيّ، ممّا يسهم في الحفاظ على التّنوع اللّغويّ والثّقافيّ في الفضاء الرّقعيّ.

- الأهميّة التّربويّة: تقدّم توصيّات للبرامج الأكاديميّة في أقسام التّرجمة لتطوير مناهجها ودمج مهارات جديدة تركز على مراجعة وتحرير ناتج التّرجمة الآليّة وإدارة المشاريع اللّغويّة المعقّدة.

2- التّرجمة الآليّة: مفهوما وموقعها بين العلوم الأخرى:

تتمثل التّرجمة جسراً للتّواصل بين الحضارات والثّقافات، وهي ليست مجرد نقل كلمات من لغة إلى أخرى؛ بل هي عمليّة معقّدة تتطلب فهماً عميقاً للغات والثّقافات والعلوم المختلفة، تعتبر التّرجمة واحدة من أقدم الأنشطة الإنسانيّة التي مارستها الحضارات منذ آلاف السّنين؛ حيث بدأت مع

الحضارات الأولى مثل حضارة ما بين النهرين التي خلقت أول معجم معروف في التاريخ ، تطوّرت الترجمة عبر العصور لتصبح علماً قائماً بذاته يجمع بين الإبداع الأكاديمي والدقة العلمية، ممّا جعلها تحتلّ موقعاً فريداً بين العلوم الأخرى، إذا الترجمة تعرف على أنّها عملية نقل النصوص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف مع الحفاظ على المعاني والمفاهيم والأسلوب الأصليّ ، وهي تشمل نقل الحضارة والثقافة والفكر وليست مجرد نقل كلّ كلمة بما يقابلها في اللغة الهدف .

وفي المقابل يمثل مصطلح الترجمة الآليّة «الاسم المعياريّ والتقليديّ المتفق عليه، للتعبير عن مثل هذه النظم الحاسوبية المسؤولة عن إنتاج ترجمة النصوص، من إحدى اللغات الطّبيعية إلى لغات أخرى، سواء كان ذلك بمساعدة الإنسان أم بدونه، فالأسماء القديمة مثل الترجمة الميكانيكية والترجمة الأوتوماتيكية نادرة الاستعمال في اللغة الإنكليزية».¹⁰⁰

إذن؛ فالمصطلح «لا يحتوي على أدوات الترجمة الحاسوبية التي تدعم المترجمين، أمّا بتزويدهم بإمكانية الوصول إلى القواميس والقواعد والمعطيات الاصطلاحية عن بعد، أو بتسهيل إرسال النصوص المقروءة بواسطة الحاسب واستسلامها أو بمخاطبة ومجاورة برامج المعالجة وتحرير وطباعة النصوص وتحريرها ، ولكنه مع ذلك يشمل النظم التي يستطيع بها المترجمون والمستخدمون الآخرون تقديم العون إلى الحسابات عند إنتاج الترجمة ، بما في ذلك العمليات المتنوعة لتحضير النصوص للترجمة والمحاورة الآنية خلال عملية الترجمة نفسها والمراجعات اللاحقة للنصوص الناتجة عنها».¹⁰¹

الترجمة الآليّة هي عملية متكاملة تأخذ المحتوى الذي تم إنشاؤه لتفعّله الترجمة؛ إذ تُعدّ تقنية الترجمة الآليّة أداةً ضمن هذه العملية، تُسرّع الترجمة الأولى لأيّ محتوى مع وجود نظام ترجمة آليّة ناجح، ومن ثمة يتدفّق المحتوى من البداية إلى النهاية، وتكون العملية أكثر فعالية من حيث التكلفة. ومع ذلك، يجب أن يظلّ التدخل البشريّ عنصراً أساسياً في عملية الترجمة.

1. الترجمة الآليّة بين العلوم: جسر للمعارف في عصر الذكاء الاصطناعيّ:

شهدت الترجمة الآليّة (Machine Translation) تطوّراً مذهلاً في العقود الأخيرة، لتصبح أداة حيوية لكسر الحواجز اللغوية وتمكين التواصل العالميّ، لم تعد الترجمة الآليّة مجرد أداة لتحويل النص من لغة إلى أخرى؛ بل أصبحت علماً متعدّد التخصصات يجمع بين اللغويات الحاسوبية، الذكاء الاصطناعيّ، علم البيانات، والعلوم المعرفية، هذا التكامل بين العلوم المختلفة جعل من الترجمة الآليّة

¹⁰⁰ - عبد الله بن حمد حمدان: مقدمة في الترجمة الآليّة، مكتبة العبيكات للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 2001،

ص90

¹⁰¹ - المرجع نفسه ، ص 09

جسراً يعبر حدود التخصصات، مما أسهم في تسريع وتيرة تبادل المعرفة ونشر العلوم عبر الثقافات واللغات.

1- التطور التاريخي للترجمة الآلية:

تعود أصول الترجمة الآلية إلى القرن السابع عشر عندما طرح الفيلسوف رينيه ديكارت (René Descartes)، الذي اقترح فكرة "اللغة العالمية" التي تجمع الأفكار برموز موحدة عبر اللغات، إلا أن البدايات الفعلية للترجمة الآلية تعود إلى منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين، عندما قدم جورج أرتسروني (George Artsroni) أول براءة اختراع لـ "آلات الترجمة" تعتمد على قاموس آلي ثنائي اللغة باستخدام شريط مثقب، في نفس الفترة تقريباً، قدم الروسي بيتر تريانسكي (Peter Tryansky) مقترحاً أكثر تطوراً يتضمن نظاماً لمعالجة الأدوار النحوية بين اللغات، مستنداً إلى قواعد لغة الإسبرانتو.¹⁰²

وفي منتصف الخمسينيات من القرن الماضي حدثت نقلة نوعية في مجال الترجمة الآلية؛ حيث أجريت تجربة جورج تاون (IBM-Georgetown) الشهيرة عام 1954 والتي تم خلالها ترجمة أكثر من ستين جملة روسية إلى الإنكليزية آلياً، أدى نجاح هذه التجربة إلى موجة من التمويل الضخم لبحوث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة، رغم أن التقدم المحرز كان أبطأ بكثير مما كان متوقعاً.¹⁰³

لتظهر بعض التطورات الموازية في الاتحاد السوفييتي، حين أجريت تجارب مماثلة، وكان هناك اهتمام كبير بالترجمة الآلية بسبب التوترات أثناء الحرب الباردة؛ حيث سعت الولايات المتحدة لترجمة الوثائق الروسية العلمية والعسكرية بسرعة، أحدث هذا التطور تفاعلاً مرتفعاً خلال العقد الأول من البحث، «مع توقعات كثيرة باختراقات وشيكة، ومع ذلك، ازدادت خيبة الأمل مع مواجهة الباحثين عوائق دالية، لم يجدوا لها حلاً مباشراً، كانت هناك بعض الأنظمة التشغيلية - نظام Mark II الذي طورته شركة IBM وجامعة واشنطن - مركبة في قسم التكنولوجيا الأجنبية في القوات الجوية الأمريكية، ونظام جامعة جورج تاون Georgetown في هيئة الطاقة الذرية الأمريكية وفي يوراتوم بإيطاليا لكن جودة النتائج كانت مخيبة للأمال».¹⁰⁴

بحلول عام 1964، ازداد قلق الجهات الراعية للحكومة الأمريكية إزاء قلة التقدم؛ فأنشأت اللجنة الاستشارية لمعالجة اللغات الآلية (ALPAC)، التي خلصت في تقرير شهير صدر عام 1966 إلى أن

¹⁰² - عبد الله بن حمد حمدان: مقدمة في الترجمة الآلية: المرجع السابق، ص 24

¹⁰³ - المرجع نفسه، ص 24.

¹⁰⁴ - John Hutchins, The history of machine translation in a nutshell, revised January 2014. Look

<https://aclanthology.org/www> :

الترجمة الآلية أبطأ وأقل دقةً وأعلى بمرتين من الترجمة البشرية، وأنه لا يوجد احتمالٌ فوريٌّ أو متوقعٌ لترجمة آلية مفيدة، لم ترَ اللجنة حاجةً لمزيد من الاستثمار في أبحاث الترجمة الآلية؛ بل أوصت، بدلاً من ذلك، بتطوير أدوات مساعدة للمترجمين، مثل القواميس الآلية، ومواصلة دعم البحوث الأساسية في اللغويات الحاسوبية.¹⁰⁵

تشهد ثمانينيات القرن العشرين ظهور مجموعة واسعة من أنواع أنظمة الترجمة الآلية، في البداية، ظهر عدد من أنظمة الحاسوب المركزي، التي استمر استخدامها حتى يومنا هذا تقريباً، «فإلى جانب نظام سيستران، الذي يعمل الآن بأزواج متعددة من اللغات، كان هناك نظام لوغوس (ألماني-إنكليزي وإنكليزي-فرنسي)؛ والأنظمة المطورة داخلياً في منظمة الصحة للبلدان الأمريكية (إسباني-إنكليزي وإنكليزي-إسباني)؛ ونظام ميتال (ألماني-إنكليزي)؛ وأنظمة رئيسية للترجمة من الإنكليزية إلى اليابانية واليابانية إلى الإنكليزية من شركات الكمبيوتر اليابانية. وقد أدى التوفر الواسع لأجهزة الكمبيوتر الصغيرة وبرامج معالجة النصوص إلى خلق سوق لأنظمة الترجمة الآلية الأرخص، التي استغلتها في أمريكا الشمالية وأوروبا شركات مثل ALPS و Weidner و Linguistic Products و Globalink، والعديد من الشركات اليابانية، مثل Sharp و NEC و Oki و Mitsubishi و Sanyo ظهرت أنظمة أخرى تعتمد على الحواسيب الدقيقة في الصين وتايوان وكوريا وأوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، وغيرها»¹⁰⁶

استمرت هذه الاتجاهات حتى أواخر التسعينيات على وجه الخصوص، شهد استخدام الترجمة الآلية ووسائل الترجمة (محطات عمل المترجمين وذاكرات الترجمة) من قبل الشركات الكبرى نمواً سريعاً ، ولوحظت زيادة ملحوظة بشكل خاص في مجال توطين البرامج ،أي تكييف وترجمة الوثائق للأسواق الجديدة، وشهدت مبيعات برامج الترجمة الآلية لأجهزة الكمبيوتر الشخصية نمواً هائلاً ، ولم يقتصر الطلب على الأنظمة الجديدة فحسب؛ بل شمل أيضاً إصدارات مُصغرة ومُحسّنة من أنظمة الحواسيب المركزية السابقة، وبينما كانت الحاجة في هذه التطبيقات إلى ترجمة بجودة جيدة نسبياً (خاصةً إذا كانت النتائج مُعدّة للنشر)، كان هناك نموّ أسرع للترجمة الآلية لتطبيقات الإنترنت المباشرة (البريد الإلكتروني، وصفحات الويب، وما إلى ذلك)؛ حيث كانت الحاجة إلى استجابة سريعة آنية مع إيلاء أهمية أقل للجودة، وكان من الأمور المهمة للمستقبل طرح خدمات الترجمة الآلية عبر الإنترنت، بدايةً BabelFish

¹⁰⁵ - John Hutchins, The history of machine translation in a nutshell, <https://aclanthology.org/www>

¹⁰⁶ -- John Hutchins, The history of machine translation in a nutshell, <https://aclanthology.org/www>

ولاحقًا Google Translate ومع هذه التطورات، أصبحت الترجمة الآلية منتجًا متاحًا في السوق الشامل.¹⁰⁷

والآن أصبح الوصول إلى الترجمة الآلية متاحًا بشكل شبه حصري عبر خدمات الإنترنت المجانية (مثل ترجمة جوجل)، ولم يعد متاحًا عبر برامج على أجهزة الكمبيوتر، هناك تصوّر بأن جودة الترجمة أخذت في التحسن، سواءً في الترجمة الآلية العامة عبر الإنترنت أم في أنظمة البحث، ومع ذلك، لا يزال تطوير مقاييس التقييم مجالًا ذا أهمية بالغة لكل من المستخدمين والباحثين، لاسيما وأن التقييمات البشرية لجودة الترجمة غالبًا ما تختلف اختلافًا كبيرًا عن المقاييس الإحصائية.

فالترجمة الآلية تطوّرت من أفكار نظرية في القرون القديمة إلى أنظمة متطورة قادرة على ترجمة ملايين الكلمات يوميًا، إلا أن التقدم في الذكاء الاصطناعي والتعلم العميق جعل الترجمة الآلية أداة لا غنى عنها في العصر الحديث، لا تزال الترجمة البشرية ضرورية للجودة العالية؛ ولكن التكامل بين الآلة والإنسان هو المستقبل.

3- موقع الترجمة الآلية بين العلوم الأخرى: نحو تكامل علمي عبر الحدود اللغوية:

في عصر التدفق المعلوماتي العالمي، أصبحت الترجمة الآلية (Machine Translation) أداة محورية لكسر الحواجز اللغوية بين التخصصات العلمية المختلفة، لقد تطوّرت هذه التقنية من مجرد أداة لترجمة النصوص البسيطة إلى نظام معقد قادر على التعامل مع المفاهيم العلمية الدقيقة والمصطلحات المتخصصة، تعمل الترجمة الآلية كجسر معرفي يربط بين الحقول العلمية المتباينة، مما يمكن الباحثين من الوصول إلى أحدث الأبحاث والدراسات بلغات متعددة، ويعزز التعاون العلمي عبر الحدود اللغوية والجغرافية، إذ تستخدم الترجمة الآلية اليوم الذكاء الاصطناعي والتعلم العميق لتحليل النصّ المصدر وفهم معناه ثم توليد نص مكافئ باللغة الهدف مع الحفاظ على السياق والطلاقة

1- التداخل التخصصي: اللسانيات الحاسوبية والذكاء الاصطناعي:

الترجمة الآلية هي مجال متعدد التخصصات يجمع بين:

- ❖ اللسانيات الحاسوبية: تهتم بمعالجة اللغة الطبيعية وفهم التراكيب النحوية والدلالية.
- ❖ علوم الحاسب: تتضمن تطوير الخوارزميات والشبكات العصبية.
- ❖ الذكاء الاصطناعي: يركّز على تمثيل المعرفة والتعلم الآلي، هذا التداخل يسمح ببناء نظم قادرة على فهم النصوص العلمية المعقدة وتوليد ترجمات دقيقة.

ب- تطبيقات الترجمة الآلية عبر التخصصات العلمية:¹⁰⁸

1- في المجال الطبي والحيوي: تُستخدم الترجمة الآلية لترجمة الأبحاث الطبية والتقارير السريرية، مما يمكن الأطباء من الوصول إلى أحدث العلاجات والتقنيات من حول العالم. على سبيل المثال، تساعد في ترجمة مقالات عن أمراض نادرة أو أدوية جديدة، مما يساهم في تحسين الرعاية الصحية؛

2- في الهندسة والتكنولوجيا: تساهم الترجمة الآلية في نقل المعرفة التقنية والهندسية، مثل ترجمة براءات الاختراع ودلائل المستخدم والمواصفات الفنية. وهذا يتيح للشركات والمهندسين الاستفادة من التطورات التكنولوجية العالمية دون عوائق لغوية؛

3- في العلوم الاجتماعية والإنسانية: على الرغم من التحديات المتعلقة بالسياق الثقافي والفروق الدقيقة، فإن الترجمة الآلية تساعد في ترجمة الدراسات الاجتماعية والنفسية والأدبية، مما يعزز الحوار بين الثقافات والتخصصات؛

4- في نصوص التبسيط العلمي: تُترجم نصوص التبسيط العلمي (Popular Science Texts) التي تهدف إلى نشر المعرفة العلمية للجمهور العام باستخدام الترجمة الآلية ثم مراجعة البشر لضمان الدقة والوضوح، هذا يساهم في تعميم المعرفة وزيادة المحتوى العلمي العربي على الإنترنت .

ج- التحديات والعوائق أمام الترجمة الآلية بين العلوم:¹⁰⁹

- الاختلافات اللغوية: تختلف قواعد اللغة المصدر عن اللغة الهدف، مما يصعب عملية الترجمة، خاصة مثل العربية التي تتميز بظاهرة الإعراب وتشكيل الكلمات؛
- نقص الموارد اللغوية: تعاني بعض اللغات، مثل العربية، من نقص في القواعد اللغوية المدخلة في الأنظمة الآلية، مما يؤثر على دقة الترجمة؛
- تعقيد المصطلحات العلمية: تحتوي النصوص العلمية على مصطلحات متخصصة قد لا تكون موجودة في قواعد بيانات الترجمة الآلية، مما يؤدي إلى أخطاء في الترجمة؛

¹⁰⁸ - Huynh Tan Ho, Machine Translation And Its Impact In Our Modern INTERNATIONAL JOURNAL OF SCIENTIFIC TECHNOLOGY RESEARCH VOLUME 9, ISSUE 02, FEBRUARY 2020, p952

¹⁰⁹ - سليم عبده محمد عريشي: معوقات الترجمة الآلية، مجلة كلية الأزهرية بطيبة، المجلد 9، العدد 7 - الرقم المسلسل للعدد 7

2023، ص 1107.1028.

- **الفروق الثقافية:** قد تحمل المصطلحات دلالات ثقافية مختلفة، مما يتطلب فهماً عميقاً للسياق الذي تستخدم فيه؛
- **السياق العلمي:** تختلف استخدامات المصطلحات بين التخصصات العلمية، مما يتطلب تكييف النماذج وفقاً لكل مجال؛
- **غياب التشكيل:** يؤدي عدم وجود تشكيل في النصوص العربية إلى غموض في المعنى؛ حيث قد تحمل الكلمات تشكيلاً مختلفاً يغير معناها بالكامل (مثل كلمة "حمام" التي قد تعني طائر أو مكان الاستحمام)؛
- **نقص البرمجيات المتقدمة:** هناك قلة في البرمجيات الآلية التي تقدم ترجمة دقيقة من وإلى العربية مقارنة بلغات أخرى.

الترجمة الآلية ليست مجرد أداة تقنية؛ بل هي جسر حيوي يربط بين التخصصات العلمية والثقافات المختلفة، على الرغم من التحديات التي تواجهها، خاصة في التعامل مع النصوص العلمية المعقدة واللغة العربية، فإن التطورات المستمرة في الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية تفتح آفاقاً جديدة لتحسين دقتها وكفاءتها، من خلال الاستثمار في البحوث والتطوير، وتعزيز التعاون بين المجالات العلمية، يمكن أن تصبح الترجمة الآلية أداة فعالة لدعم التواصل العلمي العالمي ونشر المعرفة.

5- تطور الترجمة بالذكاء الاصطناعي: من الخيال العلمي إلى واقع التواصل العالمي:

شهدت السنوات الأخيرة تحولات جذرية في مجال الترجمة بفضل التطور المتسارع لتقنيات الذكاء الاصطناعي؛ حيث انتقلت من مجرد أدوات مساعدة بسيطة إلى أنظمة قادرة على ترجمة ملايين الكلمات بدقة وسرعة مذهلتين، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد تقنية تكميلية؛ بل أصبح أداة محورية في كسر الحواجز اللغوية وتيسير التواصل بين الثقافات المختلفة، يعكس هذا التطور الثورة التقنية التي غيرت مفاهيم التواصل العالمي؛ حيث أصبحت الآلات قادرة على فهم النصوص وترجمتها بطريقة تحاكي - إلى حد كبير - القدرات البشرية.

1- مفهوم الذكاء الاصطناعي:

يُعد الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) أحد أهم التقنيات الثورية في عصرنا الحديث؛ حيث يحاكي القدرات الذهنية البشرية من خلال الآلات والبرامج، يشهد هذا المجال تطوراً متسارعاً يؤثر على مختلف جوانب الحياة البشرية، من الطب إلى الصناعة إلى الترفيه؛ إذ يرى البعض في الذكاء الاصطناعي فرصة للمساعدة في حلّ المشكلات التي يعانيها البشر مثل مشكلة المناخ والفقر والبطالة واتخاذ القرارات الحكيمة، والبعض الآخر يرى فيه نقمة لما فيه من سلبيات ومضار تهدد الوجود البشري،

ولهذا يُعد الذكاء الاصطناعيّ اليوم من أكثر المجالات إثارة وجدلا، ورغم التطور الهائل في مجال الذكاء الاصطناعيّ وفوائده المتعدّدة، لا تزال هناك تحديات ومخاوف مرتبطة بأمان وخصوصيّة البيانات، وأخلاقيّات استخدام الذكاء الاصطناعيّ.

إذا؛ فالذكاء الاصطناعيّ «هي قدرة الآلة على محاكاة العقل البشريّ وطريقة عمله، مثل قدرته على التفكير والاكتشاف، ومع التطور الهائل للحواسيب، تبين أن باستطاعتها القيام بمهام أعقد ممّا نعتقد بحيث يمكن استكشاف وإثبات النّظريّة الرّياضيّة المعقّدة ، ويمكنه أيضا لعب الشّطرنج بمهارة عاليةّ ويتميّز بسرعة الانجاز للمهام بدقة عاليةّ، ونصف بسعة تخزين كبيرة، إلا أنه إلى الآن لا يوجد أي برنامج يستطيع مجازة مرونة العقل البشريّ، خصوصا فيما يتعلّق بالمهام الاستنتاجيّة التحليليّة التي يتعرض لها وفي المقابل هناك بعض التّطبيقات التي استطاعت أن تضاهي مستوى أداء الخبراء والمحترفين بالقيام بمهام مختلفة، ومن هذه التّطبيقات هي التّشخيص الطّبيّ، ومحرّكات بحث الحاسوب وقدرته على التّعرف على الصّوت والكتابة اليدويّة»¹¹⁰

إذن؛ الذكاء الاصطناعيّ هو فرع من فروع علم الحاسوب يهتم بتصميم أنظمة قادرة على محاكاة الذكاء البشريّ، بما في ذلك التّعلم، الاستدلال، التّفكير، الإدراك، واتخاذ القرارات، «يعرفه جون مكارثي وهو من صاغ المصطلح في عام 1955 بأنه علم وهندسة صنع الآلات الذكيّة، كما يعرفه أندرياس كابلان ومايكل هاينلين (Andreas Kaplan and Michael Heinlein) بأنه قدرة النّظام على تفسير البيانات الخارجيّة بشكل صحيح، والتّعلم من هذه البيانات، واستخدام تلك المعرفة لتحقيق أهداف ومهام محدّدة من خلال التّكيف المرن».¹¹¹

2- تاريخ الذكاء الاصطناعيّ:

تعود جذور الذكاء الاصطناعيّ إلى الحرب العالميّة الثّانيّة، عندما بدأت أجهزة الكمبيوتر بأداء مهام معقّدة كانت في السّابق حكراً على البشر، وقد تمثّل ذلك بداية ارتباط ضعيف بالذكاء البشريّ، ومع ذلك، كان الذكاء الاصطناعيّ في تلك الحقبة مختلفاً تماماً عن الأنظمة المتطوّرة التي نشهدها اليوم، وعلى الرّغم من التّطورات التي شهدتها تلك الفترة، ظلت مهام الذكاء الاصطناعيّ المبكرة بعيدة كلّ البعد عن تحقيق الذكاء البشريّ بالمعنى الحرفي للكلمة.

¹¹⁰ - مجلة إصدارات (نشرة توعويّة يصدرها معهد الدّراسات المصرفيّة)، ع4، السّلسلة 13 الكويت، مارس 2021، ص 03

¹¹¹ avicen , The History of Artificial Intelligenc, Sunnyvale, CA 94089, look: https://avicena.tech/wp-content/uploads/2024/03/The-History-of-AI_Avicena.pdf

من أربعينيات إلى خمسينيات القرن العشرين في عام 1943، تعاون عالم وظائف الأعصاب وارن ماكولوتش وعالم المنطق والتر بيتس على ورقة بحثية رائدة بعنوان "حساب منطقي للأفكار الكامنة في النشاط العصبي"، نُشرت في "نشرة الفيزياء الحيوية الرياضية"، كان الهدف الرئيسي من عملهما هو دراسة إمكانية تمثيل الدوال المنطقية من خلال شبكات من الخلايا العصبية الاصطناعية.

اعتمد ماكولوتش وبيتس (McCulloch and Bates) نهجًا منطقيًا ثنائيًا؛ حيث صوّرا الحالات العصبية أما "مفعلة" أو "معطلة"، وقد سهّل هذا التجريد الثنائي تطبيق المبادئ الرياضية لوصف السلوك العصبي، وأوضحت ورقتهما البحثية أنه من خلال ربط هذه الخلايا العصبية الاصطناعية في شبكات، أصبح من الممكن تنفيذ العمليات المنطقية، وأوضح المؤلفان كيفية تحقيق دوال منطقية معقدة من خلال دمج وحدات منطقية بسيطة، وطُرح مفهوم "آلة تورنج العالمية" ونوقش في سياق نموذجهما، وجادل بأن شبكتهما العصبية الاصطناعية قادرة نظريًا على محاكاة أي عملية حسابية تُجرىها آلة تورنج، يُعد المحتوى المقدم في هذه الورقة البحثية الرائدة أساسيًا في مجال الشبكات العصبية الاصطناعية¹¹². لقد أرسى هذا النموذج الأساس لتطوير نماذج حسابية مستوحاة من بنية ووظيفة الدماغ البشري، علاوة على ذلك كان له تأثير عميق على الأبحاث اللاحقة في مجالات الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، على الرغم من أن النموذج الذي اقترحه ماكولوتش وبيتس McCulloch and Bates يبدو بدائيًا مقارنةً بالشبكات العصبية الاصطناعية المعاصرة، إلا أن عملهما الرائد لعب دورًا محوريًا في تشكيل المفاهيم والنظريات المبكرة في الحوسبة العصبية، موفّرًا حجر الزاوية النظري للتطورات اللاحقة في مجال الذكاء الاصطناعي.

في أواخر أربعينيات القرن العشرين، «كان دبليو غراي والتر (W. Gray Walter) عالم الأعصاب والروبوتات رائدًا في تطوير أول روبوتات مستقلة عُرفت باسم "السلّاحف"، واسمها المر والسّي، صُممت هذه العجائب الكهروميكانيكية الصغيرة لتجسيد المبادئ الأساسية في علم التحكم الآلي والروبوتات القائمة على السلوك، تجاوز المر والسّي مجرد الاستقلالية؛ إذ أظهر ما أسماه والتر سلوك "الآلة التأملية"، مُجسّدين جوهر "الآلة التأملية" بفضل امتلاكهما مستشعرات للضوء، ومستشعرات للمس، وآليات تحكم أساسية، امتلكت هذه الروبوتات القدرة على التنقل في محيطها والاستجابة بشكل ديناميكي. شكّل عمل والتر المبتكر مع المر والسّي مساهمة كبيرة في التطور المبكر لعلم الروبوتات

¹¹² - AVICENA, The History of Artificial Intelligence, Sunnyvale, , look: https://avicena.tech/wp-content/uploads/2024/03/The-History-of-AI_Avicena.pdf

والسيبرانية¹¹³ «قدمت تجاربه رؤى قيّمة حول التفاعل المعقد بين الآلات وبينتها، ممّا أرسى أسسًا حاسمة للتطورات اللاحقة في هذه المجالات

من خمسينيات إلى ستينيات القرن الماضي، كان آلان تورينج (Alan Turing) عالم الرياضيات والمنطق والحاسوب ومحلل الشفرات، شخصية أخرى كان لها تأثير كبير على أساسيات الحوسبة والذكاء الاصطناعي، وقد أحدث تأثيرًا كبيرًا بكتابه "آلات الحوسبة والذكاء" الصادر عام 1950 في هذا العمل الرائد، قدّم تورينج مفهوم "اختبار تورينج"، مُقدمًا طريقة لتقييم قدرة الآلة على إظهار سلوكٍ ذكيٍّ لا يُميّزه عن سلوك الإنسان، على الرغم من الانتقادات التي وُجّهت لهذا الاختبار، فقد لعب دورًا محوريًا في صياغة النقاشات الدائرة حول الذكاء الاصطناعي، تاركًا بصمةً خالدةً في هذا المجال، ومع ذلك، فقد طُرِح مصطلح "الذكاء الاصطناعي" رسميًا خلال مؤتمر وورشة عمل دارتموث (Dartmouth) عام 1956 على يد جون مكارثي (John McCarthy)، عُرف المؤتمر بأنه حدثٌ بارز في تاريخ الذكاء الاصطناعي؛ إذ جمع نخبةً من الباحثين الذين جمعهم اهتمامٌ مشتركٌ بدراسة كيفية محاكاة الآلات للذكاء البشري، أشرف جون مكارثي، إلى جانب شخصيات مؤثرة مثل مارفن مينسكي، وناثانيال روتشستر، وكلود شانون، على تنظيم هذا التجمع المهم في كلية دارتموث، وخلال هذه المناسبة المحورية، صاغ مكارثي مصطلح "الذكاء الاصطناعي"، مُجسّدًا تركيز هذا المجال على الدراسة والبحث الهادفين إلى ابتكار آلاتٍ قادرةٍ على القيام بمهامٍ مرتبطةٍ تقليديًا بالذكاء البشري.¹¹⁴ من تسعينيات القرن الماضي إلى الألفية الثانية شهدت الساحة تحولًا جذريًا مع ظهور الإنترنت في أوائل التسعينيات، ممّا أتاح وفرة هائلة من البيانات لنماذج التدريب،» في عام 1998، حقق نظام ديب بلو، وهو نظام خبير من شركة آي بي إم، إنجازًا بارزًا بتغلبه على بطل الشطرنج غاري كاسباروف، اعتمد ديب بلو على خوارزمية منهجية تعتمد على القوة الغاشمة؛ حيث قيّم بدقة جميع الحركات الممكنة ووزنها، وبينما مثلت هزيمة الخصم البشري لحظة رمزية في التاريخ، إلا أن الواقع هو أن ديب بلو لم ينجح إلا في نطاق محدود للغاية - قواعد لعبة الشطرنج، وعجزت قدرته بشكل ملحوظ عن نمذجة التعقيدات المعقدة الكامنة في العالم الأوسع.¹¹⁵

ومن عشرينيات القرن الحادي والعشرين حتى الوقت الحاضر يُعتبر تطوير المحولات التوليدية المدربة مسبقًا (GPT) إنجازًا محوريًا في تطور الذكاء الاصطناعي، وقد طرحت شركة OpenAI، الشركة

¹¹³ <https://avicena.tech/wp-content/uploads>

¹¹⁴ - B.J. Copeland :history of artificial intelligence ,AI Last Updated: Jul 30, 2025 , look: <https://www.britannica.com>

¹¹⁵ - avicena , The History of Artificial Intelligence, Sunnyvale, CA 94089, look: https://avicena.tech/wp-content/uploads/2024/03/The-History-of-AI_Avicena.pdf

المبتكرة لـ ChatGPT العديد من محولات GPT، مع ظهور GPT-1 لأول مرة في عام 2018. لم يُطرح GPT-2 للجمهور، بينما ارتقى GPT-3، الذي كُشف عنه في يونيو 2020، إلى مستوى قياسي جديد مع 175 مليار مُعامل، مُرسِّخًا مكانته كواحد من أقوى نماذج اللغات في عصره. تمتد قدرات GPT-3 إلى توليد نصوص متماسكة، وذات صلة بالسياق، وشبه بشريّة بناءً على مطالبات الإدخال. ويمكنه أداء العديد من مهام معالجة اللغة الطّبيعيّة، والإجابة على الأسئلة، وتأليف المقالات، وتأليف الشّعْر، والمشاركة في المحادثات، من بين تطبيقات أخرى. وقد أُتيح النّموذج من خلال واجهة برمجة التّطبيقات (API) الخاصّة بـ OpenAI، ممّا يسمح للمطورين بدمج قدرات توليد اللغة في تطبيقاتهم وخدماتهم. في عام ٢٠٢٢، أطلقت OpenAI برنامج ChatGPT، الذي يتميز بواجهة دردشة مبنية على أساس GPT-3.5 LLM وقد حققت هذه القفزة التكنولوجيّة نجاحًا عامًّا كبيرًا وحفزت زيادة التّمويل.¹¹⁶

لا يزال مستقبل تطور الذّكاء الاصطناعيّ غامضًا، ولكن ما هو جليّ هو إمكانيّاته التّحويليّة لتغيير حياتنا اليوميّة، من السيّارات ذاتيّة القيادة، إلى التّطورات في مجال الرّعاية الصّحيّة وتأثيرها على ديناميكيّات وسائل التّواصل الاجتماعيّ، يكاد يكون من المستحيل التّنبؤ بتأثير الذّكاء الاصطناعيّ المستقبليّ.

ج- أنواع الذّكاء الاصطناعيّ:¹¹⁷

- الذّكاء الاصطناعيّ الضيّق (Narrow AI): أنظمة مصممة لأداء مهام محدّدة، مثل التّعرف على الصّور أو التّرجمة الآليّة؛
- الذّكاء الاصطناعيّ العامّ (Artificial General Intelligence - AGI): أنظمة ذات ذكاء يماثل الذّكاء البشريّ في القدرة على التّعلّم والتّكيّف مع أي مهمّة؛
- الذّكاء الاصطناعيّ التّوليديّ (Generative AI): تقنيّات قادرة على إنشاء محتوى أصليّ مثل النّصوص والصّور والفيديو؛
- الذّكاء الاصطناعيّ التّوكيليّ (Agentic AI): أنظمة مستقلّة قادرة على التّخطيط واتّخاذ القرارات دون تدخّل بشريّ .

8- مزايا التّرجمة بالذّكاء الاصطناعيّ:

- السّرعة: يمكن ترجمة آلاف الصّفحات في ثوانٍ؛

¹¹⁶ - avicen , The History of Artificial Intelligenc, Sunnyvale, CA 94089, look: https://avicena.tech/wp-content/uploads/2024/03/The-History-of-AI_Avicena.pdf

¹¹⁷ - مجلة إصدارات (نشرة توعويّة يصدرها معهد الدّراسات المصرفيّة)، ع4، السّلسلة 13 الكويت، مارس 2021، ص 03

- التكلفة: قليل التكاليف مقارنة بالترجمة البشرية؛
- التوافق: دعم عشرات اللغات والنصوص المتخصصة؛
- التعلم المستمر: تحسين الأداء عبر التعلم المستمر.

6- الترجمة وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي:

مع التقدم السريع لتقنيات الذكاء الاصطناعي، أصبحت الترجمة الآلية جزءًا أساسيًا من مشهد الاتصال العالمي، ومع ذلك، فإن هذا التقدم لا يأتي دون تساؤلات أخلاقية عميقة، تشير الأخلاقيات هنا إلى المبادئ التي تحكم سلوك الذكاء الاصطناعي بناءً على القيم الإنسانية، تطويره واستخدامه بطرق مفيدة للمجتمع، في سياق الترجمة، تشمل هذه الاعتبارات الدقة والإنصاف والشفافية والمسؤولية والخصوصية والآثار الاجتماعية.

1-6 المبادئ الأخلاقية الأساسية في الذكاء الاصطناعي:

أخلاقيات الذكاء الاصطناعي هي مجموعة المبادئ والقيم التي تهدف إلى ضمان أن يتم تطوير واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بطرق تحترم الكرامة الإنسانية وتعزز الصالح العام. وفقاً لشركة SAP، فإن أخلاقيات الذكاء الاصطناعي تشمل اعتبارات مثل الإنصاف، الشفافية، المسؤولية، الخصوصية، والأمان.

1- القيم الأساسية حسب منظمة الألكسو:¹¹⁸ في ضوء القيم والمبادئ التي تتبناها منظمة الألكسو، يمكن استعراض القيم الحاكمة بالذكاء الاصطناعي في الميثاق الأخلاقي المقترح على النحو التالي:¹¹⁹

❖ الكرامة الإنسانية واحترام حقوق الإنسان :تؤكد "الألكسو" على أن مخرجات أنظمة الذكاء الاصطناعي يجب أن يحترم الكرامة الإنسانية ويصون حقوق الإنسان. يجب أن تُطبق التقنيات بطريقة تعزز الحريات الأساسية، وتحمي الخصوصية، وتضمن ألا تنتهك كرامة الأفراد في أي سياق، لا بد من احترام كرامة الإنسان وحقوق الإنسان وحمايتها وتعزيزها وفقاً لأحكام القانون

¹¹⁸ - منظمة الألكسو: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، خرجت بتوصيات ميثاق استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في التربية والثقافة والعلوم ليكون إطاراً مرجعياً يوجه السياسات والممارسات الأخلاقية والتطبيقية لهذه التقنيات في العالم العربي. يركز هذا الميثاق على ثلاثة محاور رئيسية وهي مجالات التعليم والثقافة والعلوم. حيث يسعى هذا الميثاق في مجال التعليم إلى تسخير الذكاء الاصطناعي في تحسين جودة التعليم، وتوفير فرص تعلم متكافئة، ودعم المعلمين والطلاب من خلال أدوات تعليمية مبتكرة، وفي مجال الثقافة، يهدف هذا الميثاق إلى حماية وتعزيز الهوية الثقافية العربية، ودعم الإبداع الرقمي، وضمان استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في توثيق التراث الثقافي ونشره عالمياً. أنظر: محمد ولد أعرم: الألكسو: ميثاق الألكسو لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة تكنولوجيا المعلومات والاتصال، تونس، جوان 2025

¹¹⁹ - المرجع نفسه، ص 13

الدّولي، ومنها أحكام القانون الدّولي لحقوق الإنسان وحقوق الطّفل والمراهقين طوال دورة حياة نظم الذّكاء الاصطناعي، وترتبط كرامة الإنسان بالإقرار بالقيمة الذاتيّة الملازمة لكلّ إنسان، التي يتساوى فيها النّاس كافة بغض النّظر عن العرق، أو اللّون، أو النّسب، أو الجنس، أو السّن، أو اللّغة، أو الدّين، أو الآراء السّياسيّة، أو الأصل القومي، أو الإثني، أو الاجتماعيّ، أو الوضع الاقتصادي، أو الاجتماعيّ، المرتبط بالمولد، أو الإعاقة، أو أي سبب من أسباب التّمييز الأخرى؛

❖ العدالة والشّموليّة والإنصاف وعدم التّمييز: تلتزم الألكسو بتعزيز العدالة والمساواة، من خلال الذّكاء الاصطناعيّ، بحيث يكون الوصول إلى التّقنيّات والفرص المتاحة فيها متكافئاً، لجميع أفراد المجتمع، بغض النّظر عن الجنس، الدّين، أو الخلفيّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، يجب ألا تعزز الأنظمة التّكنولوجيّة المتفاوتات الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة، ينبغي للجهات الفاعلة المعنيّة بالذّكاء الاصطناعيّ أن تسعى إلى تعزيز العدالة الاجتماعيّة، وإتاحة تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ للجميع بمساواة وبما لا يتعارض مع المبادئ الأخلاقيّة وبشكل بسيط وغير مكلف بحيث يشمل الفئات المهمشة والأقل حظاً والأشخاص من ذوي الإعاقة وبما يضمن الوصول المتكافئ إلى فوائد وثمار تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ؛

❖ التّميّة المستدامة وحماية البيئة: يجب أن يكون تطوير واستخدام الذّكاء الاصطناعيّ متسقاً مع الأهداف البيئيّة والتّنمويّة المستدامة، تركّز الألكسو على دعم الحلول التّكنولوجيّة التي تحمي النّظم البيئيّة وتعزز الاستدامة البيئيّة لضمان مستقبل آمن للأجيال القادمة؛

❖ التّنوع الثقافيّ والشّمول: تدعم الألكسو التّنوع الثقافيّ والشّمول الاجتماعيّ في استخدام الذّكاء الاصطناعيّ، مع التّأكيد على أن التّقنيّات يجب أن تراعي التّنوع الثقافيّ والاجتماعيّ في العالم العربيّ، يتعين على الذّكاء الاصطناعيّ أن يعزز الحوار الثقافيّ والاحترام المتبادل بين الثقافات، ويضمن شمول الجميع في فرص التّكنولوجيا؛

❖ الابتكار العلميّ والتّقنيّ المسؤول: تؤكد الألكسو على أهميّة الابتكار العلميّ والتّقنيّ المسؤول في تطوير الذّكاء الاصطناعيّ. يجب أن تسهم الابتكارات التّكنولوجيّة في تعزيز رفاهيّة المجتمعات، وتحقيق التّميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، مع الالتزام بمعايير أخلاقيّة عالية؛

❖ احترام الموروث الحضاريّ العربيّ والمعتقدات والقيم الإسلاميّة: يتعين الحرص عند تطوير أو توزيع أو استخدام نظام ذكاء اصطناعي على احترام الموروث الحضاريّ العربيّ والمعتقدات والقيم الإسلاميّة وعدم التّعدي عليها أو تحريفها أو الإساءة إليها ومنها بالخصوص المساس بالمقدسات الإسلاميّة، كما يتعين الحرص على ذلك طوال دورة حياة نظم الذّكاء الاصطناعيّ بما في ذلك نظم الذّكاء الاصطناعيّ التّوليدي؛

❖ التّعاون العربيّ والدّولي: تشدد الألكسو على أهميّة التّعاون بين الدّول الأعضاء في تطوير الذّكاء الاصطناعيّ في مجالات التّربيّة والثّقافة والعلوم بطريقة تعزز الشّراكة الإقليميّة والدّوليّة، كما تشجع الألكسو على تبادل المعرفة والخبرات لدعم تنمية تكنولوجيا شاملة ومستدامة.

2-6- التّحدّيات الأخلاقية الرئيسيّة في ترجمة الذّكاء الاصطناعيّ:¹²⁰

1- التّحيز الخوارزمي: أنظمة الذّكاء الاصطناعيّ تتعلم من تبيانات التّدريب، إذا كانت هذه البيانات

تحتوي على تحيزات (مثل التّمثيل النّاقص أو المبالغ فيه لمجموعة معيّنة)، فإنّ الذّكاء

الاصطناعيّ سيعمل بطرق متحيزة على سبيل المثال، قد تقدم التّرجمة الآليّة تعبيرات غير

دقيقة أو نمطيّة عند التّرجمة بين لغات ذات خلفيّات ثقافيّة مختلفة؛

2- العواقب الواقعيّة: في المجالات الحساسة مثل الرّعاية الصحيّة أو السيّاقات القانونيّة، يمكن

للتّرجمة المتحيزة أن تؤدي إلى سوء فهم خطير للعلاجات أو إلى قرارات قانونيّة جائرة؛

3- الخصوصية وسريّة البيانات: غالبًا ما تتضمن مشاريع التّرجمة وثائق سريّة مثل العقود

القانونيّة أو السّجلات الطّبيّة أو استراتيجيّات الأعمال، هناك قلق كبير بشأن كيفيّة تخزين

هذه البيانات ومعالجتها بواسطة منصّات الذّكاء الاصطناعيّ وإمكانيّة استخدامها لأغراض

أخرى مثل التّدريب على التّماذج أو الإعلان؛

4- الانتهاكات المحتملّة: الكشف عن المعلومات السّريّة ليس فقط غير أخلاقي ولكنها أيضًا تكسير

لعلاقة الثقة ويمكن أن تؤدي إلى دعاوى قضائيّة؛

5- فقدان السيّاق والنّبرة: على الرّغم من كفاءتها، غالبًا ما تفشل أدوات التّرجمة بالذّكاء

الاصطناعيّ في التّقاط الفروق الدّقيقة في السيّاق، واللّهجات، والأسلوب الأدبيّ، والسّخريّة،

والمشاعر، هذا يمكن أن يؤدي إلى سوء التّرجمة الذي يشوه المعنى الأصليّ؛

6- إشكاليّة المساءلة: عندما تحدث أخطاء في التّرجمة تؤدي إلى عواقب ملموسة (مثل رفض طلب

لجوء بسبب خطأ في التّرجمة)، يصبح من الصّعب تحديد المسؤوليّة - هل هي على مطور

الخوارزميّة، أم مقدم الخدمة، أم المستخدم؟ .

3-6- تأثير الذّكاء الاصطناعيّ على مهنة التّرجمة:

❖ إزاحة الوظائف: يشكل الذّكاء الاصطناعيّ تهديدًا للوظائف التي تعتمد على المهام الرّوتينيّة في

التّرجمة، ممّا يثير تساؤلات أخلاقيّة حول مسؤوليّة الشّركات في إعادة تدوير العمال المتأثرين .

❖ التّقليل من قيمة العمل البشريّ: هناك قلق من أن الاعتماد المفرط على التّرجمة الآليّة قد يقلل

من قيمة المهارات البشريّة والخبرة الثّقافيّة العميقة التي يقدمها المترجمون المحترفون .

❖ مشكلة الصّندوق الأسود: العديد من خوارزميّات الذّكاء الاصطناعيّ تعمل كصناديق سوداء؛ حيث

يكون من الصّعب فهم كيفيّة وصولها إلى نتيجة ترجمة معيّنة، هذا يقوض الثقة ويجعل من

الصّعب تحديد مصادر الأخطاء أو التّحيز.

¹²⁰ - أنظر: هيئة صديا السّعوديّة للتّبيانات والذّكاء الاصطناعيّ، مبادئ وأخلاقيّات الذّكاء الاصطناعيّ، سبتمبر 2023، الموقع

الالكترونيّ: <https://sdaia.gov.sa/ar/SDAIA/about/Documents/ai-principles.pdf>

❖ نقص الإفصاح: لا تقوم جميع المنصّات بالإفصاح بوضوح للعملاء عن أنهم يستخدمون الذكاء الاصطناعي في الترجمة، أو عن حدود هذه التكنولوجيا .

7- المستقبل والتوصيات: نحو ترجمة أخلاقية مستدامة

1- اعتماد أطر أخلاقية قوية: هناك حاجة إلى أطر أخلاقية على مستوى الصناعة لتوفير إرشادات واضحة وقابلة للتنفيذ، يجب أن تستند هذه الأطر إلى المبادئ الدولية مثل تلك الصادرة عن اليونسكو وأن يتم تكييفها خصيصاً لتحديات الترجمة؛

2- الذكاء الاصطناعي القابل للتفسير: يجب أن يركّز البحث والتطوير على جعل نماذج الذكاء الاصطناعي قابلة للتفسير، بحيث يمكنها شرح السبب وراء اختيار ترجمة معينة، مما يزيد من الشفافية والثقة؛

3- التعاون وليس الاستبدال: المستقبل يكمن في النموذج التعاوني حيث يعمل الذكاء الاصطناعي والبشر معاً. handle الذكاء الاصطناعي الحجم والسرعة، بينما يركّز المترجم البشري على ضمان الجودة، والتحرير، والسياق الثقافي، والإبداع، كما قال سيمون يوكسون-غرانت من العنصر البشري يظل لا غنى عنه؛

4- التعليم والتدريب المستمر: يجب أن تركز برامج تعليم الترجمة على تعزيز المهارات التي تكمل الذكاء الاصطناعي، مثل التحرير المتخصص، والتحليل الثقافي العميق، وإدارة المشاريع، يجب أن يشمل التدريب الوعي الأخلاقي وفهم تحيزات الذكاء الاصطناعي وكيفية اكتشافها وتصحيحها.

خاتمة: الذكاء الاصطناعي هو أداة قوية غيرت مجال الترجمة بشكل لا رجعة فيه، مما يوفر كفاءة غير مسبوقة وإمكانية الوصول إلى اللغات، ومع ذلك، فإن قوته تأتي مع مسؤولية أخلاقية كبيرة، التحدي لا يكمن في إيقاف التقدم التكنولوجي، ولكن في توجيهه بطريقة تحترم الكرامة البشرية، التنوع الثقافي، والعدالة.

إنّ تحقيق هذا التوازن يتطلب جهداً تعاونياً من المطورين، الشركات، المترجمين، والعملاء، من خلال تبني المبادئ الأخلاقية، والشفافية، والرقابة البشرية، يمكننا استخدام الذكاء الاصطناعي ليس لاستبدال المترجم البشري، ولكن لتمكينه وتعزيزه، وبناء جسور اتصال عالمية تكون ليس فقط فعالة ولكن أيضاً عادلة ومحترمة وأخلاقية، المستقبل هو مستقبل هجين؛ حيث يعمل الذكاء البشري والاصطناعي في انسجام لتحقيق أفضل النتائج الممكنة.

من الفهم إلى التّوليد: دراسة تطبيقية في ترجمة السّياق عبر الذّكاء الاصطناعيّ

د. حليلة بولحية

أستاذة محاضرة صنف؛ جامعة محمد الصّديق بن يحيى - جيجل-

مقدمة:

تعدّ التّرجمة في ظلّ التّحوّلات الرّقمية المتسارعة، واحدة من أكثر المجالات اللّغوية تأثراً بتقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ؛ حيث لم تعد مقتصرة على المهارات البشريّة؛ بل دخلت في مدار إنتاج لغويّ توليدي تحكمه الخوارزميّات. وبقدرة ما وفّرت هذه الطّفرة التّكنولوجيّة إمكانيّات غير مسبوقّة في سرعة التّرجمة وتنوع اللّغات، إلّا أنّها أثارت في الوقت ذاته تساؤلات فلسفيّة عميقة حول جوهر "الفهم"، وحدود "السّياق"، ومعنى "التّرجمة" نفسها.

بينما تقوم التّرجمة البشريّة على التّفاعل التّأويلي مع النّص، وعلى استحضار خلفيّات ثقافيّة ومعرفيّة وسياقيّة معقّدة، تعتمد النّماذج التّوليديّة المعاصرة مثل ChatGPT و DeepL و Google Translate على بنيّات رياضيّة ولغويّة تستند إلى أنماط احتماليّة لا تفترض بالضرّورة وجود "نيّة" أو "فهم" بالمعنى الإنسانيّ.

من هنا، تطرح هذه الدّراسة إشكاليّة جوهريّة: هل يمكن للذكاء الاصطناعيّ أن "يفهم" السّياق مثلما يفعل الإنسان؟ أم أن ما يقوم به لا يعدو كونه توليداً لغويّاً ذكيّاً؟ وإذا كان الفهم السّياقي هو قلب العمليّة التّرجميّة، فهل يُمكن الوثوق في النّماذج الآليّة حين تتعامل مع النّصوص ذات البعد الثّقافيّ أو الرّمزيّ أو التّأويليّ؟

1- الإطار الفلسفيّ والتّقنيّ لمفاهيم الذّكاء الاصطناعيّ والفهم والسّياق في التّرجمة:

تُعدّ التّرجمة فعلاً تأويليّاً يركّز على الفهم العميق للنّص وللسّياق الذي ينشأ فيه، وهي ممارسة إنسانيّة صاحبت تطور اللّغات والثّقافات عبر التّاريخ، وقد اعتمد المترجم البشريّ لقرون طويلة على أدواته المعرفيّة والحسيّة لفهم المعنى ونقله بدقة وثراء ثقافيّ.

ظهرت أنماط جديدة من التّرجمة الآليّة التّقليديّة مع دخول الحوسبة إلى المجال اللّغويّ، والتي اعتمدت في بداياتها على القواميس الرّقميّة والقواعد المبرمجة مسبقاً، لكنها كانت محدودة القدرة على استيعاب التنوع الدّلاليّ والسّياقيّ للنّصوص. ومع التّطورات المتسارعة في الذّكاء الاصطناعيّ، ولا سيما في النّماذج التّوليديّة والشّبكات العصبيّة، انتقل هذا المجال إلى مرحلة جديدة، أصبح فيها الذّكاء الاصطناعيّ وسيطاً لغويّاً قادراً على معالجة النّصوص وترجمتها بدرجات متفاوتة من الدّقة.

وفي هذا الإطار، يهدف هذا العنصر إلى توضيح المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث، وهي: الذكاء الاصطناعي، الفهم، الفهم الآلي، السياق، والسياق الآلي، باعتبارها مدخلاً ضرورياً لفهم التحوّلات التي يشهدها الفعل الترجمي في عصر التكنولوجيا الذكيّة.

1-1- الذكاء الاصطناعي: "Artificial Intelligence" (AI) هو فرع من علوم الحاسوب يهتم بإنشاء أنظمة قادرة على أداء مهام تتطلب عادةً ذكاءً بشرياً، مثل الفهم اللغوي، التعلّم، اتخاذ القرار، وحل المشكلات. ظهرت له تعريفات متعدّدة تبعاً لتطور المجال ومجالات تطبيقه:

-عرّفه "جون مكارثي"، أحد مؤسسي المجال، بأنه: "علم وهندسة صنع آلات ذكيّة، وخاصة برامج الحاسوب الذكيّة"¹²¹؛

-عرّفه "ستيوارت راسل وبيتر نورفيغ" في كتابهما "الذكاء الاصطناعي: مقاربة حديثة" وهو المرجع الأكاديمي الأكثر اعتماداً في تدريس الذكاء الاصطناعي بأنه: "دراسة العوامل التي تتخذ قرارات عقلانيّة، والأنظمة القادرة على إدراك بيئتها والعمل بطريقة تزيد من احتمال تحقيق أهدافها؛"¹²²

-تقدّم الهيئة الأوروبيّة تعريفاً يركّز على قدرات التعلّم والتكيف: "الذكاء الاصطناعيّ هو قدرة الأنظمة على تفسير البيانات الخارجيّة، والتعلّم منها، واستخدام هذه المعرفة لتحقيق أهداف محدّدة من خلال التكيف المرن"¹²³؛

-يرى "مارفن مينسكي"، في مقاله الشهير "خطوات نحو الذكاء الاصطناعي"، أن الذكاء الاصطناعيّ هو السعي لبناء: "آلات قادرة على حل المشكلات بطريقة ذكيّة، من خلال تطوير برامج عامّة الغرض، تنفّذ وظائف معالجة معلومات عاليّة المستوى، مثل التعلّم، التعرف على الأنماط، التخطيط، والاستنتاج"¹²⁴.

يمكن من خلال هذه التعريفات تلخيص العناصر الأساسية التي يقوم عليها الذكاء الاصطناعيّ في أربعة محاور:

1. المحاكاة: تقليد آليات التفكير البشري؛
2. التعلّم: تحسين الأداء بمرور الوقت من خلال البيانات؛
3. الاستدلال: القدرة على تحليل المشكلات والتوصّل إلى حلول؛
4. الفهم: معالجة اللّغة والمفاهيم بطريقة دلاليّة.

¹²¹ McCarthy, J : "What is Artificial Intelligence?", Stanford University, 2007

¹²² Russell, S., & Norvig, P : Artificial Intelligence : A Modern Approach. 2010, p 4

¹²³ European Commission : "Artificial Intelligence for Europe", 2018, p 2

¹²⁴ Minsky, M. : Steps Toward Artificial Intelligence 1961, Proceedings of the IRE, 49(1), p 8

يستخدم الذكاء الاصطناعي في الترجمة تقنيات متقدمة مثل "الترجمة الآلية العصبية" Neural Machine Translation (NMT)، التي تعتمد على شبكات الأعصاب الاصطناعية لتحليل وفهم النصوص بشكل عميق. تعمل هذه التقنية على تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي باستخدام كميات هائلة من البيانات المترجمة مسبقًا، مما يساعد النظام على التعرف على الأنماط اللغوية وتوقع الترجمة الأكثر دقة¹²⁵، أي ان الخوارزميات تقوم بتحليل النصوص، واستخراج الأنماط اللغوية، واختيار الترجمة الأمثل مع محاولة الحفاظ على السياق والمعنى الأصلي.

ورغم أن هذه التقنيات قادرة على معالجة لغات نادرة وتقديم ترجمات سريعة وفعالة، إلا أن النصوص التي تتطلب إبداعًا أو أسلوبًا أدبيًا خاصًا ما زالت تحتاج إلى تدخل المترجم البشري لضمان الدقة الجمالية والدلالية.

2-1- الفهم:

يُعدّ الفهم في الدراسات الفلسفية والتأويلية عملية معرفية معقدة تتجاوز مجرد إدراك المعاني اللغوية، إلى التفاعل العميق بين الذات المؤولة والنص في سياق ثقافي وتاريخي محدد، فهو "عملية أساسية لاكتساب المعرفة، وينظر إليه على أنه أكثر من مجرد حفظ الحقائق أو البيانات؛ بل يتضمن تحليلًا وتفسيرًا عميقًا للمعلومات المستقاة من الخبرات والمعارف المختلفة. بمعنى أنه عملية دقيقة وشاملة، تتطلب تدقيقًا في استيعاب المعاني والمفاهيم والتعامل معها بطرق تفسيرية وتأويلية لتحقيق فهم أعمق وأكثر شمولية للعالم والذات"¹²⁶.

يتجلى الفهم في الفكر الهرمينوطيقي، كفعل تأويلي لا ينفصل عن شروط وجود الإنسان ومعايشته للعالم، فهو "ليس عملية ذاتية لإنسانٍ بإزاء موضوعٍ وقبالتّه؛ بل الفهم هو أسلوب وجود الإنسان نفسه، والهرمينوطيقا ليست فرعًا مساعدًا للدراسات الإنسانية بل هي نشاطٌ فلسفي يحاول تفسير الفهم على أنه عملية أنطولوجية في الإنسان"¹²⁷.

يرى "جادامير" أن الفهم لا يتحقق عبر تطبيق قواعد منهجية صارمة؛ بل عبر اندماج أفق القارئ مع أفق النص؛ حيث يلتقي التاريخ الشخصي والثقافة الذاتية للقارئ مع المعنى الذي يتيح النص، "الفهم ليس إعادة إنتاج معنى النص كما كان في ذهن المؤلف؛ بل هو اندماج أفق القارئ مع أفق النص ضمن سياق تاريخي وثقافي محدد"¹²⁸.

¹²⁵ فهد أبو عميرة: الذكاء الاصطناعي والترجمة: المميزات والعيوب وأبرز التحديات،

<https://fast4trans.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9>

¹²⁶ مراد وهبة: المعجم الفلسفي. دار قباء، القاهرة، 2007، ص 478.

¹²⁷ عادل مصطفى: فهم الفهم: مدخل إلى الهرمينوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير. مؤسسة هندواي، 2003، ص 157

¹²⁸ Gadamer, H.-G : Truth and Method. Continuum, 2nd rev. ed., 2004, p 305

كما يؤكد أن المسبقات – أي الأحكام القبليّة – ليست عوائق للفهم؛ بل أدوات تمكّن القارئ من الانخراط في النص: "كل فعل فهم يستلزم مسبقات تتشكل من التاريخ والثّقافة، وهي التي تمكّن القارئ من الانخراط في النص"¹²⁹.

يعتبر "جادامير" في قراءته الأنطولوجيّة أن الفهم أسلوب وجود الإنسان نفسه، وليس مجرد نشاط ذهني عابر، كما يوضح: "إنّ الفهم لا يمكنه أن يكون انطلاقاً من قواعد منهجيّة تستحوذ فيها الذات وتسيطر على الموضوع بقواعد منهجيّة؛ بل من خلال الحوار الذي تنفتح من خلاله الذات على الموضوع أو الأنا على الآخر من أجل الوصول إلى اتفاق مشترك أو ما عبر عنه بالشّعور بالألفة في العالم"¹³⁰. أي لا يمكن فصل الفهم عن الذات التي تؤوّل، وهو ما يجعل الفهم عند المترجم البشريّ عمليّة تفاعليّة معقدة تشمل اللّغة والثّقافة والتّجربة، "يتجلى فنّ التّأويل في إنارة الفهم، ليس كتواصل سري عجيب بين الأفراد، وإنما كمشاركة في بلورة معنى مشترك"¹³¹.

يطرح "بول ريكور" في كتابه "نظرية التّأويل: الخطاب وفائض المعنى" تصوّرًا تكامليًا للفهم يجمع بين التّفكير والتّأويل؛ حيث يبدأ القارئ بفهم النصّ عبر التّحليل الموضوعي، ثمّ يتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاج معناه في سياق جديد. "الفهم هو القدرة على الإمساك بمعنى النصّ عبر المرور بمرحلة التّفكير الموضوعي، ثمّ تجاوزه إلى التّأويل الذي يمنح النصّ حياة جديدة في سياق المتلقي"¹³². "كما يشير إلى أن النصّ يحمل دائمًا فائضًا من المعنى، أي أنه يتجاوز قصد المؤلّف ويظلّ مفتوحًا لتأويلات متعدّدة: "كل قراءة حقيقيّة للنصّ تعيد إنتاجه في أفق مختلف، وبهذا يصبح النصّ مستقلًا عن نيّة مؤلّفه"¹³³.

من خلال الجمع بين مقاربة "جادامير وريكور"، يمكن تحديد ثلاثة عناصر أساسيّة للفهم البشريّ:

1. التّأويل: إعادة بناء المعنى عبر الحوار بين النصّ والقارئ؛

2. المسبقات: الخبرات والأحكام القبليّة التي تشكل رؤية القارئ للعالم؛

3. اندماج الآفاق: التّقاء أفق القارئ وأفق النصّ لتوليد معنى جديد.

ومنه يختلف الفهم بحسب المنظور الفلسفيّ لكلّ منهما؛ فعند "جادامير"، هو إنتاج معنى جديد ناتج عن اندماج الآفاق. وعند "ريكور"، يبدأ كإعادة إنتاج عبر التّفكير، لكنه ينتهي بإنتاج معنى جديد عبر التّأويل.

¹²⁹ ibid, p 272

¹³⁰ غادامير، هانس جورج: تجلي الجميل. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص 11

¹³¹ غادامير، هانس جورج: فلسفة التّأويل: الأصول، المبادئ، الهدف. منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص 121

¹³² Ricoeur, P: Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning. Texas Christian University Press, 1976, p 74

¹³³ ibid., p 91

بذلك، يصبح الفهم لكلّ منهما، فعلاً دينامياً متجدداً، لا يقتصر على استنساخ معنى جاهز؛ بل هو فعل إبداعي-تأويلي يؤلّد المعنى عبر تفاعل النصّ مع أفق القارئ، مستفيداً من المسبقات، ومحكوماً بالتاريخ والثقافة، ومعرضاً دوماً لإعادة التفسير في سياقات جديدة.

3-1- الفهم الآلي

يقوم "الفهم" في الذكاء الاصطناعي على معالجة صورية وإحصائية للبيانات، دون وعي أو إدراك بالمعنى الفعلي أو بالسياق، بخلاف الفهم البشري الذي يتجسد في عملية تأويلية تاريخية وثقافية متجذرة في الخبرة والمعرفة الإنسانية.

يؤكد "لوتشيانو فلوريدي" أن ما نسميه "فهماً آلياً" لا يتجاوز القدرة على التفاعل المنظم ضمن بيئة محدّدة، من خلال أنماط سلوكية قابلة للتكرار، دون وعي ذاتي أو إدراك للمعاني؛ حيث يقول: "ما نسميه 'فهماً آلياً' ليس أكثر من قدرة على التفاعل المنتظم ضمن بيئة محدّدة، دون وعي أو إدراك بالمعنى أو السياق"¹³⁴.

يلعب الفهم الآلي دورين رئيسيين:

* **فهم اللغة الطبيعية:** حيث يهدف إلى تفسير القصد، المعنى، والمشاعر من النصوص أو الكلام. والتعرف على الكيانات (مثل أسماء الأشخاص أو الأماكن)، وتحديد النية وتحليل السياق المحيط بالكلمات. كما هو الحال في أنظمة المحادثة مثل ChatGPT.

* **التفسير والشرح:** وهو قدرة النظام على تقديم مبررات أو تفسير قراراته للمستخدم البشري. ممّا يمكن هذا الأخير من فهم "كيف" و"لماذا" تمّ الوصول إلى نتيجة معيّنة، الأمر الذي يعزّز الثقة في النظام.

تعتمد آلية عمل الفهم الآلي على عدة خطوات أساسية، تبدأ بتمثيل البيانات عبر تحويل النصوص أو الكلام إلى تمثيلات رقمية يمكن للحاسوب معالجتها، ثمّ المرور بمرحلة التعلّم الإحصائي باستخدام الشبكات العصبية العميقة وتقنيات التعلّم العميق لاستخراج الأنماط والعلاقات، يليها التنبؤ بالمعنى عبر النماذج الإحصائية التي تحدد التتابع اللغوي الأكثر احتمالاً كما في الترجمة الآلية العصبية، وأخيراً تحليل السياق من خلال مراعاة الكلمات المحيطة والمعاني الضمنية لاستنتاج الترجمة أو الردّ المناسب.

يكمن الفرق الجوهرى بين الفهم البشري والفهم الآلي في أن:

- الفهم البشري يعتمد على تراكم الخبرات الثقافية والتاريخية، ويتأثر بالعواطف والتّبرة والقيم، ويقوم على إنتاج معنى جديد يتجاوز المعطيات النصّية المباشرة.

¹³⁴ Floridi, L :The Philosophy of Information. Oxford University Press, 2011, p 236

- بينما يعتمد الفهم الآليّ على أنماط إحصائية ومعالجة شكلية للغة، ويخلو من الوعي أو القصديّة، وينتج نصوصاً تبدو مفهومة لكنّها تظلّ محاكاة إحصائية للمعنى دون إدراكه الحقيقيّ. وهذا ما يشير إليه "مارفن مينسكي" في قوله أن أنظمة الذكاء الاصطناعيّ لا تفهم النصوص كما يفعل البشر؛ بل تقوم بـ "إجراءات معالجة معلومات عالية المستوى من أجل أداء مهمّة محدّدة، ممّا يجعل فهمها وظيفياً وليس أنطولوجياً"¹³⁵

4-1- السّياق:

يُعدّ السّياق عنصراً محورياً في فهم النّصوص وترجمتها؛ إذ لا يقتصر دوره على كونه خلفيّة محايدة؛ بل يمثل شريكاً فاعلاً في إنتاج المعنى، ففي المنظور الفلسفيّ-التأويلي، يؤكّد "بول ريكور" أن "لا معنى لأي جملة خارج سياقها؛ الفهم يتم من خلال الحقل التّداوليّ الكامل"، ويرى أن النّص يكتسب استقلاليتته عن مؤلفه لينفتح على تعدد التّأويلات؛ حيث يلتقي أفق القارئ بأفق النّص في سياق تاريخي وثقافي واجتماعي متجدد، منتجاً معاني جديدة مع كلّ قراءة.

أمّا في علم اللّغة، فيعرّف "مايكل هاليداي" السّياق بأنّه "الإطار الذي ترتبط فيه اللّغة بوظيفتها الاجتماعيّة، مشيراً إلى مستويين أساسيين: سياق الثّقافة وسياق الموقف"¹³⁶ "النّص الآخر أو النّص المصاحب للنّص الظّاهر، وهو بيئة خارجيّة قد تكون لغويّة أو غير لغويّة، تعمل كجسر يصل البنية اللّغويّة بظروفها الخارجيّة"¹³⁷

يمكن تصنيف السّياق إلى أربعة أنواع رئيسيّة:

السّياق اللّغويّ الذي يشمل العلاقات النّصيّة بين الكلمات والجمل؛

السّياق الثّقافي المرتبط بالرموز والعادات والممارسات الاجتماعيّة؛

السّياق التّداوليّ الذي يركّز على نيّة المتحدث والعوامل التّفاعليّة؛

السّياق التّاريخيّ الذي يعكس الحقبة الزّمنيّة والظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة المحيطة بالنّص.

يشدّد "يوجين نايدا" في ميدان التّرجمة، على أنّ فهم السّياق يعدّ شرطاً أساسياً لتحقيق التّكافؤ الدّيناميكي؛ إذ لا تقتصر عمليّة التّرجمة على نقل الكلمات؛ بل تتجاوز ذلك إلى إعادة إنتاج الأثر نفسه

¹³⁵ Minsky, M. "Steps Toward Artificial Intelligence." Proceedings of the IRE, 49(1), 1961, p 8.

¹³⁶ Hu, Shuqin. Context of Situation in Translation. [PDF link](#).

¹³⁷ يوسف نور عوض: علم النّص ونظريّة التّرجمة. دار الثّقّة للنشر والتّوزيع، 1990، ص 24، 25.

في المتلقي الهدف. ويؤكد "نايدا" أن "من أجل ترجمة ناجحة حقًا، تُعد ثنائية الثقافة أكثر أهمية من ثنائية اللغة"¹³⁸، في إشارة إلى أن الفهم الثقافي العميق يمثل جوهر نجاح الترجمة.

وتذهب "مونا بيكر" في الاتجاه ذاته، معتبرة أن تحليل السياق بجميع أبعاده – اللغوية، والثقافية، والتداولي – هو العامل الحاسم في اختيار الاستراتيجية الأنسب بين الترجمة الحرفية والتفسيرية، بما يضمن نقل المعنى بدقة مع مراعاة أفق القارئ وثقافته.¹³⁹ وفي هذا الإطار، يبرز دور السياق الثقافي إلى جانب سياق الموقف؛ فاللغة؛ كما يرى "نايدا ونوبرت"، ليست مجرد نظام من المفردات والتراكيب؛ بل هي انعكاس مباشر لثقافة المجتمع وطريقة تنظيمه للأفكار. ففي بيئة ثقافية موحدة، يتواصل المؤلف مع جمهور يشاركه الخلفية المعرفية نفسها، مما يجعل عملية التواصل منسجمة ومتجانسة. أما في الترجمة، فإن النص يُنتزع من سياقه الأصلي ويُعاد ترميزه في لغة وسياق مختلفين، الأمر الذي قد يخلق فجوة معلوماتية تتطلب من المترجم جهدًا لسدها وإعادة التوازن إلى عملية التواصل.¹⁴⁰ وحينما تكون العوامل الثقافية غير متوافقة بين النص الأصلي والجمهور المستهدف، يصبح لزامًا على المترجم تبني استراتيجيات ملائمة للتعامل مع التصادم الثقافي، مثل الشرح، أو التكييف، أو الحذف، أو الدمج، مع اختيار النهج الأكثر قدرة على الحفاظ على روح النص ونقله بفاعلية إلى المتلقي الجديد.

1-5- السياق في الترجمة الآلية:

يُعدّ السياق أحد أبرز التحديات التي تواجه الترجمة الآلية؛ إذ لا يقتصر دوره على كونه خلفية للنص؛ بل يشكل عنصرًا فاعلاً في إنتاج المعنى. ففي حين يقرأ المترجم البشري النص ضمن شبكة متكاملة من المعطيات الدلالية والثقافية والتاريخية، تعتمد النظم الآلية غالبًا على معالجة وحدات لغوية مجزأة، الأمر الذي يحدّ من قدرتها على استيعاب البعد التداولي للنص. مما يثير سؤالاً جوهريًا حول ما إذا كان إنتاج جملة صحيحة نحويًا يكفي لاعتبارها ترجمة ناجحة، أم أنّ النجاح يقاس بقدرة النص الناتج على تجسيد المعنى الكامل في سياقه.

تبرز هذه الإشكالية خصوصًا في التعامل مع العناصر التداولية مثل: الإشارة، والمجاز، والتبعية والرمزية؛ حيث تميل الترجمات الآلية إلى تقديم النص الناتج صحيحًا ظاهريًا، لكنه يفتقر إلى العمق المعنوي والحمولة الثقافية للنص الأصلي. وعلى الرغم من التطورات التقنية الكبيرة، لا تزال هذه

¹³⁸ انظر Hu, Shuqin. Context of Situation in Translation. [PDF link](#).

¹³⁹ انظر Hu, Shuqin. Context of Situation in Translation. [PDF link](#).

¹⁴⁰ Hu, Shuqin. Context of Situation in Translation. [PDF link](#).

النماذج عاجزة عن محاكاة الفهم البشري للسياق، خاصة حين يتعلّق الأمر بالمعاني الضمنية أو الإحالات الثقافية التي تتطلب خبرة معرفية وتاريخية متراكمة.

تطورت الترجمة الآلية من النظم القائمة على القواعد (RBMT)، التي تعتمد على وضع قواعد لغوية ومعجمية مُعدة يدويًا، إلى النظم الإحصائية (SMT) التي تستند إلى أنماط مستخرجة من نصوص متوازنة ضخمة، وصولًا إلى الترجمة الآلية العصبية (NMT) التي أحدثت نقلة نوعية بفضل اعتمادها على الشبكات العصبية وبُنى المحولات. وتمتاز النماذج العصبية بقدرتها على التقاط التبعيات طويلة المدى في النصوص من خلال آليات الانتباه الذاتي، ما يمنحها وعيًا نسبيًا بالسياق وقدرة أكبر على التعامل مع التعبيرات الاصطلاحية. ومع ذلك، يظلّ هذا الوعي محدودًا بالمعلومات التي يوفرها corpus التدريبي، ولا يمكنه استيعاب التغيرات السياقية الناتجة عن اختلاف الأزمنة أو البيئات الثقافية¹⁴¹. إن صعود الترجمة العصبية الواعية بالسياق يمثل خطوة مهمة نحو تقليص هذا التباين بين الفهم البشري والفهم الآلي، لكنه لا يلغي الحاجة إلى تدخل بشري لضمان سلامة النقل المعنوي والثقافي للنصوص، خاصة في الحالات التي تتطلب حساسية عالية تجاه الفروق الثقافية والدلالية. فالمعنى، كما يرى "بول ريكور" يتجدد مع كلّ قراءة وفي كلّ سياق جديد، وهو ما يجعل من الصعب على الآلة، مهما بلغت قدراتها، أن تبلغ عمق الفهم البشري للسياق بكلّ أبعاده.

2- الترجمة الآلية التوليدية – دراسة نقدية مقارنة:

يهدف هذا الجزء إلى إجراء تقييم نقدي لأداء نماذج الترجمة الآلية العصبية في معالجة النصوص الأدبية، بوصف الترجمة فعلًا تأويليًا يتجاوز النقل الحرفي إلى إعادة إنتاج المعنى ضمن أطره الثقافية والتداولية. ومع تطور الذكاء الاصطناعي، انتقلت صناعة الترجمة من النظم القائمة على القواعد والقواميس الثابتة إلى نماذج توليدية متقدمة قادرة على تحليل السياق وبناء تراكيب لغوية أكثر سلاسة. تستند هذه الدراسة إلى اختبار ثلاثة من أبرز أنظمة الترجمة الآلية المعاصرة، وذلك لرصد مدى تباين أدائها في التعامل مع النص الأدبي وهي¹⁴²:

1. Google Translate: تُعدّ الأداة الأكثر شهرة وانتشارًا عالميًا؛ إذ تدعم أكثر من 100 لغة، وتعتمد على الترجمة الآلية العصبية (Neural Machine Translation - NMT) لتحسين دقة الترجمات. توفر

¹⁴¹ انظر Naveen, P. & Trojovský, P : "Overview and challenges of machine translation for contextually appropriate translations." [Link](#).

¹⁴² الذكاء الاصطناعي والترجمة: المميزات والعيوب وأبرز التحديات. أبو عميرة، فهد

<https://fast4trans.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8>

مميزات متنوعة مثل الترجمة الفورية للنصوص، المحادثات، والصّور، إلّا أنّ نتائجها قد تختلف في النصوص الأدبية أو ذات الحساسية الثقافية العالية.

2. **DeepL Translator**: يشتهر بدقة عالية في التعامل مع النصوص المعقدة واللغة الطبيعية، بفضل خوارزميات عصبية تركز على تحليل السياق وإنتاج نصوص أكثر انسيابية، ما يجعله مفضلاً لدى المحترفين في المجالات الأدبية والأكاديمية.

3. **Microsoft Translator**: أداة قوية من تطوير مايكروسوفت، تتكامل بسهولة مع تطبيقات Microsoft Office وخدمات المحادثة الفورية. تتيح ترجمة نصوص ومحادثات في الوقت الحقيقي، ما يجعلها مناسبة للبيئات التجارية والاجتماعات الدولية، لكنها قد تواجه صعوبة في التعامل مع الاستعارات والمجازات المعقدة.

منهجية الدراسة:

نختار نصاً أدبياً باللغة الإنكليزية يتميز بكثافة بلاغية وتوظيف للمجاز، ونترجمه عبر النماذج الثلاثة ثم نقيم النتائج وفق ثمانية معايير رئيسية: فهم المعنى العام (مدى دقة نقل الفكرة الأساسية للنص) - السياق الثقافي (مراعاة الخلفية الثقافية والمعطيات الضمنية) - الأسلوب الأدبي (الحفاظ على الخصوصية الأسلوبية للنص الأصلي) - الدقة النحوية (صحة التراكيب النحوية في اللغة الهدف) - المرونة في الترجمة (القدرة على التكيف مع أنواع النصوص المختلفة) - الاستجابة للغموض (التعامل مع الكلمات أو التراكيب ذات المعاني المتعددة) - التعامل مع المجاز (فهم وتحويل الصّور البلاغية بدقة) - الحفاظ على النغمة (نقل نبرة النص وأجوائه كما في الأصل).

النص باللغة الإنكليزية: عبارة عن مقطع افتتاحي من قصيدة "إلى الخريف" "To Autumn" لجون كيتس.¹⁴³

Season of mists and mellow fruitfulness,
Close bosom-friend of the maturing sun
Conspiring with him how to load and bless
With fruit the vines that round the thatch-eaves run;
To bend with apples the moss'd cottage-trees,
And fill all fruit with ripeness to the core;

¹⁴³ Anthology. "جون كيتس - إلى الخريف". [Link](#).

To swell the gourd, and plump the hazel shells

With a sweet kernel; to set budding more,

And still more, later flowers for the bees,

Until they think warm days will never cease,

For summer has o'er-brimm'd their clammy cells.

الترجمة بالذكاء الاصطناعي:

Microsoft Translator	DeepL Translator	:Google Translate
موسم الضَّبَاب ووفرة الفواكه، صديق حميم للشمس النَّاضِجَة؛ يتأمر معه كيف يحمل وبارك بالفواكه الكروم التي تدور حول حواف السَّقْف؛ لثني الأشجار المغطاة بالطَّحْلَب بالتَّفَاح، ويمتلئ كلِّ فاكهة بالنَّضِج حتى النَّوَاة؛ لانتفاخ القرع، وامتلاء قشور البندق بنواة حلوة؛ لوضع المزيد من البراعم، وما زال المزيد، أزهار لاحقة للنَّحْل، حتى يظنوا أن الأيام الدَّافئة لن تتوقف أبداً، لأنَّ الصَّيْف قد غمر خلاياهم اللَّزْجَة.	موسم الضَّبَاب والثَّمَار النَّاضِجَة، الصَّديق الحميم للشمس النَّاضِجَة؛ يتأمر معه على كَيْفِيَّة تحميل وبركة الكروم التي تحيط بالسَّقْف القش بالثَّمَار؛ لثني أشجار الكوخ المغطاة بالطَّحْلَب بالتَّفَاح، ونملاً كلِّ الفاكهة بالنَّضِج حتى النَّخَاع؛ لنضخم القرع، ونملاً قشور البندق بنواة حلوة؛ لزرع المزيد من البراعم، والمزيد من الرِّهَور المتأخرة للنَّحْل، حتى يعتقدوا أن الأيام الدَّافئة لن تنتهي أبداً، لأنَّ الصَّيْف قد ملأ خلاياهم الرَّطْبَة.	موسم الضَّبَاب والإثمار اليانع، يا رفيق الشَّمْس النَّاضِجَة؛ أتأمر معه على كَيْفِيَّة تحميل وَبَارِك الثَّمَار التي تُحِيط بِأَسْف المنازل؛ لثني أشجار الكوخ المغطاة بالطَّحْلَب بالتَّفَاح، ولمء كلِّ ثمرة بالنَّضِج حتى النَّخَاع؛ لتضخيم القرع، وتكديس قشور البندق بحبة حلوة؛ لإطلاق المزيد من البراعم، والمزيد، أزهاراً لاحقة للنَّحْل، حتى يظنوا أن الأيام الدَّافئة لن تنتهي أبداً، لأنَّ الصَّيْف قد ملأ خلاياهم الرَّطْبَة.

التحليل:

المعايير	:Google Translate	DeepL Translator	Microsoft Translator
فهم المعنى العام	الترجمة تنقل الفكرة الأساسية عن الخريف كفصل للإثمار، لكنها تُسطّح بعض الجوانب الشعرية. المعنى الإجمالي واضح، لكن هناك فقدان لجزء من البُعد التصويري العاطفي للنص الأصلي	الترجمة تحافظ على الفكرة الأساسية للنص: الاحتفاء بالخريف كفصل خصوبة ودفع متأخر. المعنى الإجمالي أوضح من ترجمة Google، وهناك انسجام أكبر بين الجمل.	الترجمة تنقل المعنى الأساسي للنص بشكل مقبول؛ إذ حافظت على فكرة الخريف كـ "موسم الضباب ووفرة الفواكه" وعلى وصف مظاهره الطبيعية. ومع ذلك، عبارة "كيف يحمل وبارك بالفواكه الكروم" غامضة وغير طبيعية، مما يؤثر على وضوح الصورة الكاملة.
السياق الثقافي	لم تبذل الترجمة جهداً في مراعاة الخلفية الأدبية والثقافية للقصيدة الرومانسية. مثلاً، عبارة "Close bosom-friend of the maturing sun" تُرجمت إلى "يا رفيق الشمس الناضجة" وهي صحيحة حرفياً، لكن ينقصها البُعد الحميمي والدّفء الثقافي الذي تحمله العبارة في الإنكليزية الشعرية	عبارة "الصديق الحميم للشمس الناضجة" أقرب من حيث الجو العاطفي إلى روح النص الأصلي مقارنةً بـ Google. لكنها لا تزال ترجمة حرفية نسبياً، دون محاولة إضفاء لمسة أدبية عربية مألوفة	تم الحفاظ على الإطار الثقافي العام المتمثل في الطابع الريفي والفلاحي لقصيدة كيتس، لكن بعض التعبيرات مثل "خواف السقف" بدلاً من "خواف السقف القش" قللت من خصوصية المشهد الإنكليزي التقليدي، ما جعل الجو الثقافي أقل دقة.

الأسلوب الأدبي	أقرب إلى لغة تقريرية من كونه أسلوباً شعرياً. البنية النحوية الجافة تجعل النص يبدو وكأنه وصف موسوعي، وليس مقطعاً شعرياً مليئاً بالإيقاع والصّور البلاغية	الأسلوب أكثر سلاسة من Google ، لكن لا يزال يميل إلى التقريرية في بعض المواضع. مثلاً، "كيفية تحميل وبركة الكروم" تبدو صياغة غير شاعرية وتفتقد الانسياب البلاغي.	فقدت الترجمة بعض الجمالية الشعرية للنص الأصلي. اختيار مفردات مثل "اللّزجة" لوصف الخلايا و"يتأمر معه" جاء حرفياً أكثر من كونه تصويرياً، ما أفقد النص بعض الرّقة والأسلوب الغنائي الذي يميز القصيدة.
الدقة النحوية	الترجمة سليمة عمومًا، لكن بعض التركيبات غير مألوفة بالعربية، مثل: "تحميل وبارك" التي تبدو ترجمة حرفية لـ "load and bless" وتحتاج صياغة أكثر انسجامًا	الترجمة صحيحة، لكن هناك بعض العبارات الغريبة على الذوق العربي، مثل "تحميل وبركة الكروم" التي تُظهر أثر البنية الإنكليزية.	النص خالٍ من الأخطاء الجسيمة، لكن هناك مشكلات في التراكيب، مثل "كيف يحمل ويبارك بالفواكه الكروم" حيث تداخلت البنية النحوية بشكل مربك.
المرونة في الترجمة	لم تُظهر الترجمة مرونة في التعامل مع النص الأدبي؛ إذ بقيت قريبة من البنية الإنكليزية حتى على حساب السلاسة، مما يُشير إلى ضعف التكيف مع طبيعة النصوص الشعرية.	هناك محاولة أكبر للتكيف مع النص مقارنةً بـ Google، خصوصًا في ترتيب الجمل، لكن النص ما زال مقيدًا بالترتيب الأصلي بدل إعادة صياغته بما يناسب الإيقاع العربي.	يظهر أن المترجم الآلي التزم بالترجمة الحرفية أكثر من التكيف، مما قلل من انسيابية النص بالعربية، خاصة في المقاطع التي تتطلب إعادة صياغة أدبية للحفاظ على النبرة.
الاستجابة للغموض	عبارات متعددة المعاني مثل "thatch-eves" أو "clammy cells" تُرجمت ترجمة مباشرة (أسقف المنازل،	الألفاظ المعقدة مثل "thatch-eves" تُرجمت إلى "السقف القش" وهو خيار مناسب نسبيًا، لكن "clamy"	الكلمات متعددة المعاني مثل "bless" تُرجمت حرفياً إلى "يبارك"، وهي صحيحة لغوياً، لكن في السياق الأدبي كان

خلاياهم الرطبة) من دون محاولة استكشاف المعاني المجازية أو الرمزية، وهو ما يجعل الترجمة أقل عمقاً	"cells" بقيت "خلاياهم الرطبة" دون معالجة رمزية أعمق.	يمكن تأويلها بمعنى "يغدق" أو "يغمر" لحفاظ على النغمة التصويرية.
التعامل مع المجاز	معظم الصور البلاغية تحولت إلى تراكيب مباشرة، وفقدت تأثيرها الشعري. على سبيل المثال، "Close bosom- friend" ليست مجرد "رفيق"؛ بل علاقة حميمية بين الشمس والخريف في تصور الشاعر	بعض الصور البلاغية حُفظت بشكل أفضل، مثل "الصديق الحميم للشمس"، لكنها تظلّ حرفية ولا تُعيد إنتاج الإيحاء العاطفي الذي أراده كيتس
الحفاظ على النغمة	النغمة الرومانسية التأملية الهادئة في النص الأصلي غابت تقريباً، وحلت محلها لغة أقرب إلى الوصف الموضوعي.	النغمة الريفية الحاملة لقصيدة كيتس لم تُحافظ عليها بالكامل. يميل النص المترجم إلى الحرفية والمباشرة، ما أضعف الإيقاع الشعري والإحساس الزمني الخريفي.

أظهرت المقارنة بين ترجمات Google Translate و DeepL Translator و Microsoft Translator أنّ التّفاوت في جودة النصّ الناتج يعكس تبايناً في قدرة كلّ نموذج على محاكاة الفعل التّأويلي للنصوص الأدبية. فقد قدّم Google ترجمة متماسكة من حيث المعنى العامّ والتراكيب النحويّة، غير أنّه اتسم بقدر من الحرفيّة التي أضعفت النّغمة الشّعريّة وأفقدت النصّ بعضاً من غناه الثّقافي. يظهر ذلك مثلاً في عبارة "موسم الضّباب والإثمار اليانع"؛ حيث تحمل كلمة اليانع شحنة جماليّة لكنها جاءت مقترنة

بكلمة الإثمار التي توجي بالفعل أكثر من الوصف، وفي ترجمة "Close bosom-friend of the maturing sun" إلى "يا رفيق الشمس الناضجة" التي فقدت شيئاً من الحميمية الشعرية الموجودة في النص الأصلي. كذلك جاءت صيغة "تحميل وبارك" ترجمة حرفية لعبارة load and bless، لكنها غير مألوفة نحويًا وأضعفت الانسياب.

أما Microsoft، فتمحور أدأؤه حول وضوح الجمل ودقة البنية النحوية، لكنه أظهر ضعفاً واضحاً في معالجة الصور البلاغية، فبدأ النص مترجماً أكثر منه مُعاد صياغته بروح الأصل. يظهر ذلك في انزياح المعنى في افتتاحيته "موسم الضباب ووفرة الفواكه" التي تحوّل النغمة من الارتباط بالزمن (النضج) إلى التركيز على الكم (الوفرة)، وكذلك في ترجمة "thatch-eves" إلى "حواف السقف" بدلاً من "السقف القش"، ممّا أضعف الإطار الثقافيّ الرفي. كما أن تركيب "كيف يحمل وبارك بالفواكه الكروم" جاء صحيحاً نحويًا لكنه غريب في العربية وأبعد عن المجاز الإنكليزي.

في المقابل، تفوّق DeepL في مراعاة السياقين النصي والثقافي؛ إذ استطاع الحفاظ على الأسلوب الأدبي والنغمة العامة للنص، ونقل كثيراً من الإحياءات والصور المجازية بقدر أعلى من التماسك. يتّضح ذلك في صياغة مثل "موسم الضباب والثمار الناضجة" التي حافظت على وضوح الفكرة ورابطها الزمنيّ وفي ترجمة "Close bosom-friend" إلى "الصديق الحميم للشمس الناضجة" التي تعكس قدرًا أكبر من الحميمية. ومع ذلك، بقيت بعض العبارات حرفية مثل "تحميل وبركة الكروم"؛ حيث إدخال اسم جامد ("بركة") في سياق فعليّ أضعف الانسياب الشعري.

ومع ذلك، تظلّ النماذج الثلاثة قائمة على توليد إحصائي للنصوص دون إدراك واعٍ للمعنى أو النية وهو ما يضع حدوداً واضحة لقدرتها على تمثيل العمق الدلالي والثقافي للأعمال الأدبية. من هنا، يتأكد أن تكوين المترجمين الأكاديميين يجب أن يدمج بين مهارات توظيف هذه النماذج بفعالية ومهارات التحرير والمراجعة النقدية، لضمان سد الفجوة بين التوليد الآلي والفهم البشري الكامل.

من خلال ما تقدّم نرى أن:

-الأقرب لفهم السياق هو DeepL، لأنه يتعامل مع النص كوحدة متكاملة وليس كسلسلة من الجمل المستقلة، ويولي أهمية لاختيار الكلمات التي تحافظ على النغمة والأسلوب؛

-تولّد النماذج الثلاثة استناداً إلى أنماط لغوية تعلمتها، دون فهم واعٍ أو إدراك حقيقي للمعنى. ومع ذلك، DeepL يُحاكي الفهم بدرجة أكبر عبر تماسك التراكيب واختيار المفردات؛

-لا يمكن إدراك النية والسياق كما يفعل البشر عبر النماذج الإحصائية فهي تحلل العلاقات بين الكلمات وتقدّر السياق، لكنها لا تعي الأبعاد الثقافية والتجريبية للنص إلا بمستوى تقريبي؛

-تؤكد النتائج أن المترجمين يجب أن يتقنوا استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي كدعم، لا كبديل. ويجب أن يشمل التكوين الأكاديمي على مهارات التحرير الأدبي، والفهم الثقافي، وقدرة مراجعة النصوص المنتجة آلياً لتصحيح الانزياحات المعنوية والأسلوبية.

الترجمة البشرية للنص الشعري:

ترجمة محمد عبد الكريم يوسف ¹⁴⁵	ترجمة بهجت عباس ¹⁴⁴
وأنت يا موسم الضباب والثمار المصفرة، وصديق الشمس التي تنضج كل شيء، تحيك معها طريقة حمل مباركة، ثمار الكروم التي تطوق حواف الكوخ القشي. *** تحني بثقل ثمار التفاح أشجار الكوخ المطحلبة، وتملأ كل ثمرة بالنضج حتى الصميم، تنفخ ثمار القرع وتحشو قشور البندق، بقلب لذيذ وتنضجها أكثر. وتبرعم الغصون، والأزهار للنحل حتى تخال أن حر الصيف لن ينتهي، مع أن الصيف قد غمر خلاياها الدّبة.	لا تفكّر فمهم، لك موسيقاك أيضاً، بينما الغيوم المحتبسة تُزهر النهار المحتضر بلطف، وتلمس جذامات الأرض بلون وردّي؛ وفي جوقة مَوْلولة يندب البعوضُ فصلاً من الضباب وعدوبة الإثمار، متعاوناً مع صديق الشمس الصّاعدة الحميم جداً؛ أن تُحمِلَ الكروم التي تنطلق بحرية حول السقف القسّي بثمار وتصونها في الأماسي؛ أن تُثني أشجار الكوخ المكسو بالطحلب بتقّاح، وتجعل الفواكه كلّها رياناً حتى الصّميم؛ لينتفخ اليقطين، وترتوي قشور البندق بلبّ حلو؛ لتطلق تبرعماً أكثر، وتستمر أكثر، أخيراً أزهاراً للنحل، حتى تظنّ أن الأيام الدافئة مستمرة دوماً، حيث الصيف غمر خلاياها الطرية.

الفرق بين الترجمة الآلية والترجمة الأدبية البشرية:

تُظهر المقارنة بين الترجمات البشرية "بهجت عباس، محمد عبد الكريم يوسف" والترجمات الآلية "Google Translate ، DeepL ، Microsoft Translator" تبايناً واضحاً في مقارنة النص الشعري لجون كيتس "To Autumn" ؛ فالترجمات البشرية تنطلق من وعي تأويلي بالسياقين الثقافي والنصي للشعر الرومانسي الإنجليزي في القرن التاسع عشر، وتعيد صياغة الصور البلاغية بما يلائم الذائقة العربية

¹⁴⁴عباس، بهجت: ترجمة قصيدة الخريف <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=723715>

¹⁴⁵محمد عبد الكريم يوسف: ترجمة قصيدة الخريف <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7237151>

ويحافظ على النّعمة الحاملة والتّأملية للنّص؛ بحيث تُترجم الجمل في ضوء ما يسبقها ويتبعها، لتتشكّل لوحة متكاملة تضمّ الضّبَاب والشّمس والفاكهة والنّحل في نسيج واحد، بعيداً عن المعالجة التجزيئية.

نجد في ترجمة "بهجت عباس" نزوعاً إلى الطّابع الشّعري الحر، مع إعادة صياغة الصّور والمجازات بما يخدم الانسيابية بالعربية، حتى وإن تطلّب ذلك الابتعاد عن التّرتيب الأصلي؛ كما أضاف بعض التّأويلات مثل الإيحاء بأن القصيدة موجهة لفتاة، وهو ما يعكس اجتهاداً تأويلياً بشرياً لا تقوم به النّماذج الآلية. بينما يختار "محمد عبد الكريم يوسف" أسلوباً أكثر مباشرة مع الحفاظ على الإيقاع الدّخلي للنّص.

كلاهما يوظف السّياق النّصي لخلق ترابط بين الصّور الطّبيعية (الضّبَاب، الشّمس، الفاكهة النّحل) في مشهد واحد متكامل، ممّا يعزز النّعمة الموحية بالخصب، والوفرة ويعكس طبقات النّص المتعدّدة: الحسية-الجمالية، الفلسفية-الوجودية، والبيئية-الثقافية.

أمّا التّرجمات الآلية، فتعتمد على المعالجة الإحصائية للنّصوص، فتنجح في نقل المعنى العامّ والتّقاط الطبقة الوصفية الحسية، لكنها غالباً ما تُهمل البعد الرّمزي والثّقافي للنّص، وتتعامل مع الجمل كوحدات شبه مستقلة، ممّا يضعف الانسجام الشّعوري ويقطع الرّوابط السّياقية بين الصّور.

يطغى في هذه التّرجمات الالتزام الحرفي بالبنية اللّغوية الأصلية على حساب الأثر الجمالي، فتأتي التّراكيب صحيحة نحويّاً لكنها أحياناً متقطعة أو فاقدة للتّدفق الشّعوري. ومن المهم إدراك أنّ النّص الأصلي لا يقتصر على كونه وصفاً رومانسياً للخريف؛ بل يشكّل بناءً متعدّد الطبقات: طبقة حسية-جمالية (الضّبَاب، النّضج، الألوان، الأصوات)، طبقة فلسفية-وجودية (التّأمل في الشّيخوخة والموت والتّجدد)، وطبقة بيئية-ثقافية (علاقة الإنسان بالطّبيعة وربطها بالمناخ والتّغيرات البيئية). إلا أن التّرجمة الآلية اقتصرّت في الغالب على الطبقة الأولى، متجاهلة العمق الفلسفيّ والبعد الثّقافي للنّص. ونتيجة لذلك، جاءت النّعمة في هذه التّرجمات أكثر حيادية وأقل شاعرية، بينما تُرجم الكثير من المجاز ترجمة شبه حرفية أفقدته تأثيره الجمالي.

يعكس هذا الفارق حقيقة أنّ النّماذج التّوليدية الحاليّة تُحاكي الفهم دون أن تمتلك وعياً تأويلياً بالنّص، ما يحد من قدرتها على تحقيق التّكافؤ الدّيناميكي المطلوب في التّرجمة الأدبية.

ومن هنا، تطلّ الكفاءة البشريّة في التّرجمة الأدبية، القائمة على التّكوين الأكاديميّ والقدرة على القراءة النّقديّة، عنصرًا لا غنى عنه لتعويض قصور النّماذج الآلية في إدراك النّية والسّياق العميق للنّصوص عالية الثّقافة.

الخاتمة:

يبن الإطار النظري أن الترجمة فعل تأويلي مركب يقوم على إدراك المعنى في ضوء السياقين الثقافي والتداولي، وهو ما يتجاوز حدود التراكيب اللغوية الظاهرة وأن ما يُعرف بـ"الفهم الآلي" في أنظمة الذكاء الاصطناعي يظل، في جوهره، معالجة إحصائية للنصوص دون وعي أو قصديّة.

وجاءت الدراسة التطبيقية لتؤكد هذا الطرح؛ حيث بينت النماذج الثلاثة المختارة Google – Microsoft Translator – DeepL Translator Translate تفافوتاً واضحاً في قدرتها على نقل المعنى والحفاظ على الأسلوب والنغمة. فقد اقترب DeepL أكثر من تحقيق التكافؤ الديناميكي بفضل تعامله الأفضل مع المجاز والسّياق، بينما اتسمت ترجمات Google و Microsoft بدرجة أكبر من الحرفيّة وضعف في تمثيل الإحياءات الثقافيّة.

تؤكد هذه النتائج أن النماذج التوليدية رغم تقدمها التقني، لا تزال عاجزة عن إدراك النية والسّياق بالعمق الذي يتطلبه العمل الأدبي، فهي تحاكي الفهم ولا تمتلكه، وتولّد نصوصاً متماسكة شكلياً لكنها تفتقر للوعي التأويلي الذي يميز الترجمة البشرية المتمكنة.

وعليه، فإن الاعتماد المفرط على النماذج الآلية في ترجمة النصوص الأدبية، بما تحمله من كثافة رمزيّة وثراء ثقافي، ينطوي على قصور بين. لذا غنى عن دور المترجم البشري، بما يمتلكه من خلفيّة معرفيّة راسخة ومهارات تأويلية متقدّمة، لضمان دقة المعنى وثراء الأسلوب وحيويّة الإيقاع النصّي. ومن هذا المنطلق، تبرز الحاجة الملحة إلى إدماج التدريب على توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي ضمن البرامج الأكاديمية لتأهيل المترجمين، بوصفها وسائل داعمة لرفع الإنتاجيّة وتعزيز عمليّات المراجعة والتحرير النقدي، مع صون جوهر الترجمة باعتبارها فعلاً إبداعياً إنسانياً في المقام الأول.

المراجع:

أولاً – المراجع بالعربيّة والمترجمة:

1. بول ريكور: نظرية التّأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغامدي. المركز الثقافيّ العربيّ، ط2، 2006.
2. عادل مصطفى: فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا – نظرية التّأويل من أفلاطون إلى جادامر، مؤسسة هنداي، 2003.
3. فهد أبو عميرة: الذكاء الاصطناعيّ والترجمة: المميّزات والعيوب وأبرز التّحدّيات <https://fast4trans.com/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8>
4. هانس جورج غادامير: تجليّ الجميل، ترجمة: سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

5. هانس جورج غادامير: فلسفة التّأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزّين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006.
6. محمد عبد الكريم يوسف: ترجمة قصيدة الخريف
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=7237151>
7. يوسف نور عوض: علم النّص ونظرية التّرجمة، دار الثّقاة للنّشر والتّوزيع، 1990.
8. مراد وهبة: المعجم الفلسفيّ، دار قباء، القاهرة، 2007.
- ثانيًا – المراجع الأجنبية :

1. European Commission. Artificial Intelligence for Europe. 2018.
2. Floridi, L. The Philosophy of Information. Oxford University Press, 2011.
3. Gadamer, H.-G. Truth and Method. Continuum, 2nd rev. ed., 2004.
4. Hu, Shuqin. Context of Situation in Translation. [PDF link](#).
5. McCarthy, J. "What is Artificial Intelligence?" Stanford University, 2007.
6. Minsky, M. "Steps Toward Artificial Intelligence." Proceedings of the IRE, 49(1), 1961.
7. Naveen, P., & Trojovský, P. "Overview and challenges of machine translation for contextually appropriate translations." [Link](#).
8. Poetry Foundation. "To Autumn" by John Keats. [Link](#).
9. Ricoeur, P. Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning. Texas Christian University Press, 1976.
10. Russell, S., & Norvig, P. Artificial Intelligence: A Modern Approach. 2010.
11. Anthology. "جون كيتس – إلى الخريف". [Link](#).

الدّكاء الاصطناعيّ وثورة التّرجمة الحديثة

ترجمة المصطلحات اللّسانية: رؤية تطبيقية معاصرة

د/ العربيّ بو عمران بوعلام - جامعة خميس مليانة - الجزائر
د/ عيوش نعيمة - جامعة خميس مليانة - الجزائر

1- مقدّمة:

شهدت التّرجمة عبر العصور تحولات جذريّة جعلتها تنتقل من كونها نشاطاً إنسانياً يعتمد على مهارات المترجم الفرديّة، إلى مجال متعدّد الأدوات والتّقنيّات المدعومة بالدّكاء الاصطناعيّ؛ فمنذ منتصف القرن العشرين، بدأت أولى التّجارب في التّرجمة الآليّة، وكانت بدائيّة في بنيتها اللّغويّة ومحدودة في قدرتها على معالجة النّصوص، "إذ اعتمدت أساساً على القواميس الإلكترونيّة وقواعد نحويّة بسيطة، لكن مع مطلع القرن الحادي والعشرين، ومع التّطورات المذهلة في التّعلم الآليّ والشّبكات العصبيّة العميقة، أصبحت التّرجمة المدعومة بالدّكاء الاصطناعيّ قادرة على إنتاج نصوص أكثر دقّة وسلاسة، ممّا فتح نقاشاً أكاديميّاً واسعاً حول موقع المترجم البشريّ في هذا المشهد الجدي".¹⁴⁶

إنّ الثّورة التّقنيّة التي أحدثها الدّكاء الاصطناعيّ، ولا سيما في مجال المعالجة الآليّة للغة الطّبيعيّة جعلت التّرجمة تنتقل من مرحلة "التّقليد الحرفي" إلى مرحلة "التّعلّم السياقيّ"؛ "أي القدرة على فهم المعنى الكلّي للنّص قبل ترجمته، غير أن هذا التّطور لم يخلُ من تحدّيات؛ إذ تثار أسئلة حول مدى دقة هذه التّرجمات في نقل الأبعاد الثقافيّة والدّلاليّة، وحول إمكانيّة أن تحلّ الآلة محلّ المترجم البشريّ في المستقبل القريب".¹⁴⁷ تبحث هذه الدّراسة في الدّور المحوريّ للدّكاء الاصطناعيّ في تطوير التّرجمة، مع تركيز خاصّ على التّرجمة العصبيّة التي تعتمد على الخوارزميّات والشّبكات العميقة لفهم النّصوص في سياقها الكامل.

تتناول ترجمة المصطلحات اللّسانية، باعتبارها من أصعب أنواع التّرجمة لما تتطلبه من دقة ووعي بالمفاهيم المتخصّصة، اعتمدت الدّراسة منهجاً تطبيقياً يجمع بين التّحليل النّظري والمقارنة العمليّة لمخرجات التّرجمة البشريّة وتلك المنتجة بواسطة أنظمة الدّكاء الاصطناعيّ مثل Google Translate و DeepL و ChatGPT، وذلك باستخدام عينة من المصطلحات اللّسانية المستقاة من نصوص أكاديميّة عربيّة وأجنبيّة. أظهرت النّتائج أن الدّكاء الاصطناعيّ قادر على تحسين جودة التّرجمة وتقليل الأخطاء

¹⁴⁶ أنتوني بيم، تكنولوجيا التّرجمة وأثرها على تدريب المترجمين، لندن: روتليدج، 2021، ص 15.

¹⁴⁷ مارتا ستيلمازك، الدّكاء الاصطناعيّ والتّرجمة: الفهم السياقيّ في التّرجمة العصبيّة الآليّة، برلين: شبرينغر، 2023، ص 42.

وزيادة سرعة الإنجاز، شريطة تدريبه على مدونات لغوية عربية غنية ومتنوعة، وتخلص الدراسة إلى ضرورة تكامل دور المترجم البشري مع إمكانيات النظم الذكّية لضمان ترجمة دقيقة تحافظ على المعنى وتخدم انتشار اللغة العربية في الفضاء الرقّي العالمي.

2- الترجمة الآلية بين الماضي والحاضر: مسار تطوّر تقني ومعرفي:

تعود البدايات الأولى للترجمة الآلية إلى "خمسنيات القرن العشرين، حين كان الطّموح العلميّ يتجه نحو استغلال القدرات الناشئة للحواسيب في معالجة اللغة الطّبيعية، وقد بدأ ذلك في الولايات المتحدة والاتّحاد السّوفيتي بدوافع سياسيّة وعسكريّة، خاصّة في ظلّ الحاجة لترجمة الوثائق العلميّة والتّقارير الاستراتيجيّة بسرعة في فترة الحرب الباردة"¹⁴⁸، كانت النّماذج الأولى تعتمد على الاستبدال القاموسي أي مطابقة كلّ كلمة في اللغة المصدر بمرادفها في اللغة الهدف، وفق قوائم معدة مسبقاً، لكن هذه الطّريقة واجهت عائقاً أساسياً هو عدم قدرة الآلة على فهم السّياق، ممّا أنتج نصوصاً ركيكة مليئة بالأخطاء الأسلوبية.

في ستينيات القرن الماضي، بدأت جهود تطوير الترجمة القائمة على القواعد (Rule-Based Machine Translation)؛ حيث تم إدخال قواعد نحوية وصرفية لمحاولة تحسين النتائج، ومع ذلك ظلت هذه الأنظمة عاجزة عن التعامل مع المعاني المتعددة للكلمة الواحدة (Polysemy) أو التّعابير الاصطلاحيّة¹⁴⁹. وفي نهاية التّسعينيات، ظهرت الترجمة الإحصائيّة (Statistical Machine Translation) التي أحدثت ثورة نسبيّة؛ إذ استندت على تحليل كمّيّات ضخمة من النّصوص المترجمة مسبقاً، مثل وثائق الأمم المتحدة أو الاتّحاد الأوروبي، لاستخراج احتمالات التّوافق بين الكلمات والعبارات، ومع أن هذه التّقنية حسّنت دقّة الترجمة مقارنة بالمراحل السّابقة إلّا أنّها لم تصل إلى مستوى اللغة الطّبيعية، خاصّة في النّصوص الإبداعية أو المتخصّصة.

3- التّطوّرات المفصليّة في تاريخ الترجمة الآلية:

مرّت الترجمة الآلية بمراحل متباينة من حيث الأسس النظريّة، البنية التّقنيّة، والدّقة اللّغويّة؛ فمنذ البدايات في خمسنيات القرن العشرين، اعتمدت الترجمة الآلية التّقليديّة على نموذجين رئيسيين:

– الترجمة الآلية القائمة على القواعد (Rule-Based Machine Translation – RBMT)؛ حيث كان يتمّ بناء قواعد لغوية ومعاجم ضخمة يدوياً لكلّ زوج لغويّ. كان النّظام يحلّل الجملة إلى مكوّناتها النّحويّة والدّلاليّة ثمّ يولد صيغة مقابلة باللغة الهدف. ورغم دقة التّحليل التّحوي في بعض اللّغات،

¹⁴⁸ محمدعنان، الترجمة الآلية: النّظرية والتّطبيق، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2010، ص 12.

¹⁴⁹ عبد الفتاح أبو غدة، "المقاربات القاعدية في الترجمة الآلية"، مجلة اللّسانيّات العربيّة، العدد 9، 2012، ص 33.

فإنّ هذه الأنظمة كانت بطيئة التطوير، محدودة في قدرتها على التعامل مع التراكيب غير النمطية، وغير مرنة أمام التنوع الأسلوبي للنصوص.¹⁵⁰

- الترجمة الإحصائية (Statistical Machine Translation – SMT)، التي ظهرت في التسعينيات واعتمدت على تحليل كم هائل من النصوص الموازية لاستخراج احتمالات التوافق بين الكلمات والتراكيب. وقد حسّنت هذه الطريقة الأداء مقارنة بـ RBMT، لكنها بقيت أسيرة مبدأ "الكلمة مقابل الكلمة" أو "العبرة مقابل العبرة"، ما جعلها عاجزة عن استيعاب المعنى الكلي للنص والتعامل مع التلميحات الثقافية.¹⁵¹

مع منتصف العقد الثاني من الألفية، بدأ التحول نحو الترجمة العصبية (Neural Machine Translation – NMT)، وهي تعتمد على الشبكات العصبية العميقة التي تعالج الجملة كوحدة متكاملة مستفيدة من آليات الانتباه (Attention Mechanisms) ونماذج الترميز-الفك (Encoder – Decoder). هذا الأسلوب أحدث نقلة نوعية في الأداء؛ إذ سمح بفهم العلاقات بعيدة المدى بين الكلمات، وتحسين انسيابية النص المترجم، وجعله أقرب إلى الأسلوب البشري، من أبرز الأمثلة على هذه التقنية Google Translate بعد تحديثه سنة 2016، و DeepL الذي ركّز على جودة الترجمة للأسواق الأوروبية والآسيوية؛ حيث أظهر قدرة عالية على التقاط الفروق الدقيقة في المعنى والحفاظ على تماسك النص. أمّا الجيل الأحدث من الترجمة الآلية، فهو جزء من منظومة النماذج اللغوية الضخمة (Large Language Models – LLMs)، مثل (ChatGPT) هذه النماذج لا تكتفي بالنقل الحرفي أو حتى العصبي المتطور؛ بل تتفاعل مع النص في سياق أوسع؛ يمكنها:

- فهم نبرة النص (رسمية، غير رسمية، أدبية، علمية) وإعادة إنتاجها.
- إدراج شروحات أو هوامش تفسيرية عند الحاجة.
- تكييف الترجمة وفق الجمهور المستهدف، مثل تبسيط اللغة للطلاب أو الحفاظ على الأسلوب الأكاديمي للباحثين.
- الاستفادة من قاعدة معرفية موسوعية مدمجة لتفسير المصطلحات النادرة أو التقنية.

ومن الناحية التقنية، تتميز هذه النماذج باستخدامها لآليات متقدمة في تمثيل المعنى (Semantic Representation) والتعلم المستمر من البيانات الجديدة، ممّا يسمح لها بالتكيف مع المستجدات اللغوية والمصطلحية بسرعة، لكن بالمقابل يظلّ هناك تحدّي كبير يتمثل في أن هذه النماذج تعمل

¹⁵⁰ عبد القادر بن عاشور، الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية، الجزائر: دار الهدى، 2022، ص 95-98.

¹⁵¹ طارق السعيد، "التحديات الدلالية في الترجمة الإحصائية"، مجلة الترجمة والذكاء الاصطناعي، العدد 1، 2020، ص 12-15.

ك"صندوق أسود (Black Box) "يصعب تتبع المنطق الذي تتبعه في اختيار الترجمة، كما أن اعتمادها على تبيانات الإنترنت قد يؤدي إلى ترسيخ تحيزات لغوية أو ثقافية، إضافة إلى العديد من الفروق الجوهرية التي يمكن لنا ذكرها:

- المعالجة اللغوية: النماذج التقليدية خطية وقائمة على القواعد/الاحتمالات، بينما النماذج العصبية واللغوية الحديثة تعتمد على تمثيل متكامل للنص.

- جودة النص الناتج: في التقليدية يكون النص ميكانيكياً أو مجزأً، بينما في الجيل الجديد يكون أكثر سلاسة وتماسكاً.

- التعامل مع السياق: محدود في التقليدية، وواسع في العصبية، وعميق ومتعدد الأبعاد في النماذج اللغوية الضخمة.

- القدرات الإضافية: جيل الحديث يقدم ترجمة مخصصة وتفسيرية، وهو ما لم يكن متاحاً في النماذج الأولى.

- ثورة الترجمة العصبية: حين يلتقي الذكاء الاصطناعي باللغة: يمثل الانتقال من الترجمة الإحصائية إلى الترجمة العصبية (Neural Machine Translation) تحولاً نوعياً في تاريخ الترجمة الآلية؛ إذ أتاح للأنظمة الحاسوبية القدرة على إنتاج نصوص مترجمة أقرب ما تكون إلى اللغة الطبيعية، " في الترجمة الإحصائية كان النظام يعتمد على تقسيم النصوص إلى جمل أو مقاطع صغيرة، وتحليل احتمالية تطابقها مع نصوص أخرى مترجمة مسبقاً. لكن هذا النهج، رغم ما أحرزه من تقدم مقارنة بالترجمة الحرفية المباشرة، ظل عاجزاً عن استيعاب المعنى الكلي للنص، مما أدى إلى ضعف في نقل الدلالات السياقية والبلاغية".¹⁵² أما الترجمة العصبية فتعتمد على "بنية الشبكات العصبية الاصطناعية وتقنيات التعلم العميق (Deep Learning)؛ حيث يُدرَّب النظام على مجموعات ضخمة من البيانات الموازية (Parallel Corpora) التي تحتوي على نصوص مترجمة بشرية عالية الجودة، تتميز هذه التقنية بقدرتها على معالجة النص كوحدة متكاملة، وليس كسلسلة من الأجزاء المنفصلة، مما يسمح بفهم العلاقات الدلالية بين الجمل والعبارات، والتنبؤ بأفضل صيغة لترجمة النصوص".¹⁵³ لقد مكن الذكاء الاصطناعي الترجمة العصبية من الانتقال من مستوى النقل الحرفي إلى مستوى الفهم السياقي؛ إذ صار النظام قادراً على "تقدير" المعنى المقصود للمؤلف، من خلال تحليل الروابط النحوية والدلالية، وإنتاج تراجم أكثر سلاسة وانسجاماً مع السياق، كما أن التطور في نماذج اللغة الضخمة (Large Language Models)

¹⁵² أحمد الشرفاوي، "تطور أنظمة الترجمة الإحصائية: قراءة تحليلية"، مجلة دراسات لغوية، العدد 15، 2014، ص 47.

¹⁵³ عبد الرحمن السليمان، مدخل إلى الترجمة العصبية، عمان: دار كنوز المعرفة، 2019، ص 29.

مثل GPT و BERT قد عزز من دقة هذه الترجمات، خاصّة في اللّغات ذات الموارد المحدودة مثل العربيّة؛ حيث أظهرت الأبحاث تحسّناً ملحوظاً في ترجمة النّصوص الصحّفيّة والعلميّة¹⁵⁴.

ومن الأمثلة البارزة على تطبيقات هذه التّقنيّة أنظمة جوجل ترانزليت وديب إل، التي طورت خوارزميّات قادرة على التّعلّم المستمر من تفاعلات المستخدمين وتصحيح الأخطاء بمرور الوقت، إضافة إلى إدماج التّرجمة العصبيّة في خدمات أخرى مثل التّرجمة الفوريّة الصّوتيّة والتّرجمة البصريّة للنّصوص من خلال الكاميرا¹⁵⁵، ولعلّ الأهم أن هذه النّقلة التّقنيّة لم تختصر زمن التّرجمة فحسب، بل فتحت المجال أمام إمكانيّات جديدة مثل التّرجمة التّعاونيّة بين الإنسان والآلة؛ حيث ينجز الذّكاء الاصطناعيّ المسودة الأولى بينما يتولى المترجم البشريّ التّدقيق والتّحسين، وهو ما يعرف بتحرير ما بعد التّرجمة¹⁵⁶.

5- كيف توظّف التّرجمة العصبيّة السّياق لفهم أدق للنّصوص: يمثل الفهم السّياقي (Contextual Understanding) قلب التّرجمة العصبيّة وأحد أهم عناصر تمييزها عن الأنماط السّابقة من التّرجمة الآليّة، "فبينما كانت التّرجمة الإحصائيّة والأنظمة القديمة تعتمد على تحليل النّصوص على مستوى الكلمات أو العبارات القصيرة، جاءت التّرجمة العصبيّة لتتعامل مع النّص كوحدة متكاملة؛ حيث يتم أخذ السّياق العام للنّص بعين الاعتبار عند توليد التّرجمة. هذا التّحول لم يكن تقنيّاً فقط؛ بل هو نقلة معرفيّة في كينيّة "تفكير" النّظام الحاسوبي عند معالجة اللّغة"¹⁵⁷.

تقوم آليّة الفهم السّياقي في التّرجمة العصبيّة على استخدام الشّبكات العصبيّة المتحوّلة (Transformers) وآليّات الانتباه (Attention Mechanisms)، وهي تقنيّات تتيح للنّظام تحديد الأجزاء الأكثر أهميّة في النّص الأصليّ عند توليد التّرجمة، بحيث لا يُترجم كلّ جزء بمعزل عن الآخر؛ بل في ضوء ارتباطه بما قبله وما بعده¹⁵⁸، هذه القدرة تُمكن النّظام من حل المشكلات التّقليديّة في التّرجمة، مثل الغموض الدّلالي، أو التّراكيب النّحويّة المعقّدة، أو الألفاظ متعدّدة المعاني؛ إذ يقوم الذّكاء الاصطناعيّ باختيار المعنى الأنسب وفق السّياق، على سبيل المثال، إذا واجه النّظام كلمة "bank" في نص إنكليزيّ، فلن يترجمها مباشرة إلى "بنك" أو "ضفة"؛ بل سيحلّل الجملة والفقرات السّابقة واللاحقة لتحديد المعنى المقصود. وإذا كانت الجملة تقول "He sat on the bank of the river"، فإن السّياق سيقود النّظام إلى اختيار "ضفة النّهر" بدل "البنك الماليّ".

¹⁵⁴ محمود عبد الغني، "نماذج اللّغة الضّخمة وأثرها في تحسين التّرجمة الآليّة للعربيّة"، *مجلة اللّسانيّات الحاسوبيّة*، المجلد 5، العدد 1، 2023، ص 15.

¹⁵⁵ سامي البشير، *تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ في المعالجة الآليّة للغة العربيّة*، الرّياض: مكتبة الملك فهد الوطنيّة، 2021، ص 68.

¹⁵⁶ حسام الدّين مصطفى، "مستقبل مهنة التّرجمة في ظلّ الذّكاء الاصطناعيّ"، *مجلة المترجم العربيّ*، العدد 7، 2023، ص 18.

¹⁵⁷ عبد القادر بن عاشور، *الذّكاء الاصطناعيّ ومعالجة اللّغة الطّبيعيّة*، الجزائر: دار الهدى، 2022، ص 104.

¹⁵⁸ ليلى فوزي، "آليّات الانتباه في التّرجمة العصبيّة"، *مجلة بحوث اللّسانيّات الحاسوبيّة*، المجلد 3، العدد 2، 2021، ص 55.

وقد أظهرت دراسات ميدانية أن إدخال النماذج اللغوية الضخمة (Large Language Models) إلى أنظمة الترجمة العصبية رفع من قدرتها على إدراك الفروق الدقيقة بين الأساليب النصية المختلفة؛ مثل الفروق بين اللغة الصحفية والأدبية والعلمية⁴، كما أسهم هذا التطور في تحسين الترجمة إلى اللغات ذات الموارد المحدودة، ومنها العربية؛ إذ صار النظام قادراً على التعرف على الخصائص الأسلوبية الفريدة؛ مثل ترتيب الكلمات في الجملة العربية، والثراء الاشتقائي، والتراكيب البلاغية.

ومع ذلك، يظلّ الفهم السياقي في الترجمة العصبية مجالاً مفتوحاً للتطوير؛ إذ تواجه هذه النماذج تحديات في التعامل مع النصوص الثقافية العميقة التي تتضمن إشارات ضمنية أو استعارات معقدة أو نكات ذات خلفية ثقافية، مما يجعل دور المترجم البشريّ جوهرياً في تحرير ما بعد الترجمة لضمان نقل هذه الأبعاد المعنوية بشكل صحيح.

6- تطبيقات الذكاء الاصطناعي ودورها في تطوير الترجمة العربية: أضى الذكاء الاصطناعي اليوم ركيزة أساسية في مسارات تطور الترجمة، خاصة مع ظهور الجيل الجديد من الأنظمة المعروفة بالترجمة العصبية (Neural Machine Translation – NMT)، التي تتجاوز حدود الترجمة الآلية التقليدية المعتمدة على القواعد أو القواميس الثنائية، "وتكتسب هذه التطبيقات أهميتها في السياق العربي نظراً لتعقيد البنية الصرفية والنحوية للغة العربية، وغناها بالمستويات الدلالية والبلاغية التي يصعب على النماذج التقليدية استيعابها بدقة. ومن خلال توظيف الشبكات العصبونية العميقة وخوارزميات التعلم العميق، أصبحت هذه النماذج قادرة على تحليل السياق الكلي للنص، وتقديم ترجمة أكثر انسيابية وتماسكاً، مع تقليل نسبة الأخطاء المرتبطة بالترجمة الحرفية أو فقدان المعنى الضمني"¹⁵⁹. كما أتاح الذكاء الاصطناعي منصات ذكية مثل Google Translate و DeepL و ChatGPT، التي يمكن استخدامها كمساعدات ذكية ضمن سير العمل الترجمي، بحيث يقوم المترجم البشريّ بمراجعة المخرجات وضبطها بما يتوافق مع المعايير اللغوية والثقافية المستهدفة، هذا التفاعل بين الإنسان والآلة أسهم في تقليص الوقت والجهد، وفتح المجال أمام ترجمة كمّ هائل من المحتوى العربيّ في مجالات العلوم، والتقنية، والأدب، والإعلام.

غير أنّ هذا التطور لا يخلو من التحديات؛ إذ ما تزال النماذج بحاجة ماسة إلى تدريب مستمرّ على مدوّنة لغوية عربية شاملة ومتنوعة تغطّي اللهجات، والمصطلحات التخصصية، والأساليب الأدبية لتجنّب الانحيازات أو الانزلاقات الدلالية الناتجة عن نقص البيانات أو اختلال تمثيلها، كما أنّ الوعي

¹⁵⁹ حسان، عبد الرحمن، اللغة العربية والتقنيات الحديثة: من المعالجة الحاسوبية إلى الترجمة الآلية. القاهرة: دار الفكر العربي، 2020.

النّقدّي للمترجمين في التّعامل مع أدوات الدّكاء الاصطناعيّ يظلّ عاملاً حاسماً لضمان جودة التّرجمة؛ بحيث تتحقّق الفائدة القصوى من هذه التّقنيّات في خدمة اللّغة العربيّة وتعزيز حضورها الرّقميّ.

7- أهميّة تطبيقات الدّكاء الاصطناعيّ في ترجمة المصطلح اللّسانيّ: تكتسي ترجمة المصطلح اللّسانيّ أهميّة خاصّة في حقل الدّراسات اللّغويّة؛ إذ يُعدّ هذا المصطلح وحدة معرفيّة دقيقة تحمل شحنة نظريّة ومنهجية، وأي انحراف في نقله إلى لغة أخرى قد يفضي إلى تشويه المفهوم أو إضعاف الدّقة العلميّة. وفي هذا السّياق، برزت تطبيقات الدّكاء الاصطناعيّ كأدوات استراتيجيّة في خدمة المترجمين والباحثين، لما توفره من قدرة على المعالجة الآنيّة للنّصوص، واستدعاء المقابلات الاصطلاحيّة المعتمدة، ومراعاة السّياق العلميّ الذي يرد فيه المصطلح، وتمتاز هذه التّطبيقات بقدرتها على توحيد التّرجمة الاصطلاحيّة داخل نصوص طويلة، وتقليل التّفاوت في استخدام المقابلات، فضلاً عن إمكانيّة تخصيص قوائم للمصطلحات (Glossaries) تضمن ثبات الاختيارات عبر المشروع البحثي، كما أن بعض هذه الأدوات، مثل DeepL و Reverso، تتجاوز التّرجمة الحرفيّة لتقترح صيغاً دقيقة مدعومة بأمثلة سياقيّة، ممّا يتيح فهمًا أعمق لحمولة المصطلح واستعمالاته في حقول معرفيّة مختلفة، وبذلك أصبحت تطبيقات الدّكاء الاصطناعيّ لا تقتصر على تسريع العمل؛ بل تُسهم بفاعليّة في الارتقاء بجودة التّرجمة اللّسانيّة وتحقيق الاتساق الاصطلاحي على نحو يواكب المعايير الأكاديميّة.

8-مقارنة عمليّة لترجمة مصطلحات لسانيّة أساسيّة عبر أدوات الدّكاء الاصطناعيّ:

-المصطلحات المختارة (بالإنكليزية):

1. Phoneme؛
2. Morpheme؛
3. Syntax؛
4. Pragmatics؛
5. Sociolinguistics

-جدول للمقارنة بين ترجمة المصطلحات:

المصطلح	Google Translate	DeepL	Microsoft Translator	Reverso Context	Modern MT	الملاحظات والتّحليل
---------	------------------	-------	----------------------	-----------------	-----------	---------------------

Google و Microsoft و ModernMT اكتفت بالتعريب الصوتي، بينما DeepL و Reverso أضافا الوصف الاصطلاحي "وحدة صوتية".	فونيم / فونيم	فونيم وحدة صوتية	فونيم	وحدة صوتية (فونيم)	فونيم	Phoneme
DeepL و Reverso قدما المقابل العلمي "وحدة صرفية" ما يزيد الوضوح، بينما البقية اعتمدت التعريب.	مورفيم / مورفيم	مورفيم وحدة صرفية	مورفيم	وحدة صرفية (مورفيم)	مورفيم	Morpheme
DeepL و ModernMT اختمارا "النحو التركيب" وهو أدق أكاديمياً، بينما Google و Reverso	النحو التركيب	بناء الجملة / النحو	النحو	النحو التركيب	بناء الجملة	Syntax

استخدام "بناء الجملة" (أكثر شيوعاً شعبياً)						
DeepL و ModernMT و Reverso فضّلوا "التداوليات" وهو المصطلح الأكاديمي، بينما Google و Microsoft استخدام "البراجماتية" (معرب صوتياً)	التداوليات	التداوليات / البراجماتية	البراجماتية	التداوليات	البراجماتية	Pragmatics
هنا كانت الترجمة موحدة بين جميع الأدوات، نظراً لشيوع المصطلح واستقراره في العربية.	علم اللغة الاجتماعي	علم اللغة الاجتماعي	علم اللغة الاجتماعي	علم اللغة الاجتماعي	علم اللغة الاجتماعي	Sociolinguistics

تحليل الجدول: يُظهر الجدول أعلاه بوضوح التباين بين أدوات الذكاء الاصطناعي في تعاملها مع المصطلحات اللسانية؛ إذ تتراوح المقاربات بين التعريب الصوتي للمصطلحات الأجنبية والاكتفاء بنقلها بصيغتها اللاتينية مع تكييفها صوتياً، وبين التعريب الاصطلاحي الذي يُرفق الكلمة بوصفها العلمية الدقيقة في اللغة العربية. فعلى سبيل المثال، نجد أن مصطلحي *Phoneme* و *Morpheme* قد تُرجما في

Google Translate وMicrosoft Translator وModernMT بصيغة معرّبة صوتيًا (فونيم، مورفيم)، بينما أضافت أدوات مثل DeepL وReverso Context المقابل العربي الأكاديمي "وحدة صوتية" و"وحدة صرفية" وهو ما يعكس حساسية هذه التطبيقات للسياق الأكاديمي.

كما تبرز الفروقات بجلاء في ترجمة المصطلحات النظرية ذات الحمولة المفاهيمية مثل *Syntax* و*Pragmatics*؛ إذ اعتمدت بعض الأدوات المقابل الشائع مثل "بناء الجملة" أو "البرجماتية"، في حين فضّلت أدوات أخرى المقابل الاصطلاحي المعتمد في الدرس اللساني "النحو التركيبي" و"التداوليات". أما في المصطلحات المستقرة مثل *Sociolinguistics*، فقد اتفقت جميع الأدوات على الترجمة المعيارية "علم اللغة الاجتماعي"، ما يؤكد أن مستوى التباين بين التطبيقات يرتبط أساسًا بمدى شيوع المصطلح واستقراره في الحقل العلمي.

وتُبرز هذه النتائج أهمية اختيار أداة الترجمة وفق طبيعة النص والمجال المعرفي المستهدف؛ إذ يميل DeepL وReverso إلى توفير مصطلحات أكثر دقة وملاءمة للبيئة الأكاديمية، بينما تناسب Google Translate وMicrosoft Translator الاستخدامات العامة أو الترجمة الأولية. ويظل ModernMT خيارًا واعدًا في حال تخصيصه وتغذيته بمصطلحات متخصصة، ما يجعله مناسبًا للمشاريع البحثية طويلة المدى التي تتطلب ثباتًا في الترجمة الاصطلاحية.

9-الخاتمة:

تكشف هذه الدراسة أن الذكاء الاصطناعي، ولا سيما الترجمة العصبية، يمثل تحولًا جذريًا في ممارسات الترجمة المعاصرة؛ حيث يتيح إمكانيات واسعة لفهم السياق وتحسين جودة نقل المعاني، خاصة في ترجمة المصطلحات اللسانية التي تتطلب دقة عالية. ومع أن هذه التقنيات أظهرت قدرة ملحوظة على تقليل الأخطاء وتسريع الإنجاز، فإن فعاليتها تظل مرتبطة بمدى توافر مدونات لغوية عربية شاملة ومتنوعة تغطي مختلف الحقول والتخصصات، كما أن التكامل بين خبرة المترجم البشري وقدرات النظم الذكية يعد شرطًا أساسيًا لضمان ترجمة تحافظ على العمق الدلالي والبعد الثقافي للنصوص، وبناءً على ما توصلت إليه الدراسة، فإن الاستثمار في تطوير موارد لغوية عربية رقمية، وتدريب أنظمة الذكاء الاصطناعي على تبيانات نوعية، يمثل خطوة استراتيجية لتعزيز حضور اللغة العربية في المشهد الرقمي العالمي، وترسيخ مكانتها كلغة علم ومعرفة في عصر العولمة التقنية.

10-قائمة المصادر والمراجع:

– أنتوني بيم، تكنولوجيا الترجمة وأثرها على تدريب المترجمين، لندن: روتليدج، 2021.

- مارتا ستيلمزك، الذكاء الاصطناعي والترجمة: الفهم السياقي في الترجمة العصبية الآلية، برلين: شبرينغر، 2023.
- محمدعنان، الترجمة الآلية: النظرية والتطبيق، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.
- عبد الفتاح أبو غدة، "المقاربات القاعدية في الترجمة الآلية"، مجلة اللسانيات العربية، العدد 9، 2012.
- عبد القادر بن عاشور، الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية، الجزائر: دار الهدى، 2022.
- طارق السعيد، "التحديات الدلالية في الترجمة الإحصائية"، مجلة الترجمة والذكاء الاصطناعي، العدد 1، 2020.
- أحمد الشرقاوي، "تطور أنظمة الترجمة الإحصائية: قراءة تحليلية"، مجلة دراسات لغوية، العدد 15، 2014.
- عبد الرحمن السليمان، مدخل إلى الترجمة العصبية، عمان: دار كنوز المعرفة، 2019.
- محمود عبد الغني، "نماذج اللغة الضخمة وأثرها في تحسين الترجمة الآلية للعربية"، مجلة اللسانيات الحاسوبية، المجلد 5، العدد 1، 2023.
- سامي البشير، تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المعالجة الآلية للغة العربية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2021.
- حسام الدين مصطفى، "مستقبل مهنة الترجمة في ظل الذكاء الاصطناعي"، مجلة المترجم العربي، العدد 7، 2023.
- عبد القادر بن عاشور، الذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغة الطبيعية، الجزائر: دار الهدى، 2022.
- ليلي فوزي، "آليات الانتباه في الترجمة العصبية"، مجلة بحوث اللسانيات الحاسوبية، المجلد 3، العدد 2، 2021.
- حسان، عبد الرحمن. اللغة العربية والتقنيات الحديثة: من المعالجة الحاسوبية إلى الترجمة الآلية. القاهرة: دار الفكر العربي، 2020.

الهوية الأدبية والثقافية في زمن الترجمة الآلية: دراسة نقدية مقارنة لترجمات نصوص عربية

بين الإنسان والآلة في ضوء الذكاء الاصطناعي التوليدي

د. حفيظة سليمان

مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية

والاجتماعية

كلية الآداب واللغات - جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان/الجزائر

المقدمة:

تمثل الهوية الثقافية والأدبية للنص العربي عمقاً لا يمكن اختزاله في تحويل لفظي عبر أدوات الترجمة الآلية الحديثة، نظراً لتداخلها مع مظاهر لغوية وتاريخية ورمزية لا تُفهم إلا داخل السياق الثقافي الخاص بها. أظهرت دراسات حديثة أن أنظمة الترجمة العصبية (NMT) تُقدم أداءً جيداً في بنية الجملة والتركيب اللغوي، لكنها تعاني في ترجمة المعاني الثقافية والسياق الفني¹⁶⁰. من جهة أخرى، أثبت بحث Ennouari و Houssaini (2025) أن المحتوى المحمل بثقافات مثل الأمثال العربية والتعبيرات التاريخية يطالب بتدخل بشري فاعل للحفاظ على الدلالة الأصيلة¹⁶¹. في ضوء ذلك، برزت مقاربات هجينة للترجمة تعتمد على التعاون بين الإنسان والآلة؛ حيث تتولى الآلة المعالجة التركيبية والكفاءة والسرعة، بينما يضمن الإنسان صون الهوية الثقافية، بما يتماشى مع ما أكدت عليه مراجعة Omar Salih & (2024) حول ضرورة التدخل البشري لمراجعة مخرجات النماذج الذكية¹⁶². أحدث التقنيات المتطورة التي تعتمد على أطر ذكاء اصطناعي متعددة الوكلاء (multi-agent) تشير إلى أن إدخال وكيل مختص بالتحقق الثقافي يحسن فهم السياق الرمزي والنسقي في النصوص الأدبية، ويقلل من التحيز اللغوي للنماذج العامة مثل GPT-5¹⁶³. تهدف هذه الدراسة إلى تقييم كفاءة نماذج الذكاء الاصطناعي اللغوي المتقدمة، مثل ChatGPT-5 و Claude و Gemini، في نقل الخصائص الثقافية المضمنة في ثلاثة نصوص أدبية عربية تمثل أنماطاً مختلفة من الإبداع (قصيدة صوفية، قصة قصيرة، مقطع نثري)، وذلك من خلال مقارنتها بترجمات بشرية مقابلة؛ حيث تعتمد المنهجية على الجمع بين أدوات كمية مثل مقاييس BLEU و ROUGE لقياس الفروقات التقنية بين مخرجات الترجمة الآلية والبشرية، وتحليلات

¹⁶⁰ Abdulmughni, A., & Alrefaee, Y. (2025). Artificial Intelligence in Arabic-English Literary Translation: Technological Innovations, Linguistic Accuracy, and Ethical Implications, p.110.

¹⁶¹ Ennouari, I., & Houssaini, K. (2025). Translating Cultural-Loaded Content from Arabic to English: Striking the Balance between Machine Translation and Human Expertise, p.5.

¹⁶² Omar, L. I., & Salih, A. A. (2024). Systematic review of English/Arabic machine translation postediting: Implications for AI application in translation research and pedagogy. Informatics, 11(2), 23- p.12

¹⁶³ Anik, R., Kambhatla, K., Liu, S., & Singh, R. (2025). Multilingual Cultural Agents for Translation Quality, p.3.

نوعية معمقة تركز على البنية الرمزية للمفردات، والأسلوب الموسيقي للنصوص، ومدى الحفاظ على سياقاتها الاجتماعية والدينية.

الاختلافات الأساسية تبرز في قدرة النماذج على الحفاظ على البنية الصوفية الأصلية، ودقة المعاني الرمزية مثل "داريت عني"، و"من بدا مني"، والتي تستدعي خلفية تأويلية وليس فقط تركيباً لغوياً. الترجمة البشرية حافظت على الطابع التأملي للنص، في حين لجأت النماذج إلى تعابير أكثر حرفية ومباشرة.

2. الإطار النظري:

1.2 دراسات الترجمة الحديثة:

تعامل Baker و Munday و Lefevere مع الترجمة الأدبية ليس بوصفها نقلاً لغوياً فحسب؛ بل إعادة خلق للنص داخل نظام ثقافي جديد. Lefevere يرى الترجمة شكلاً من أشكال "إعادة الكتابة" يخضع لإيديولوجيات وقواعد أدبية في الثقافة الضيفة¹⁶⁴. Munday يؤكد أن نظريات الترجمة الحديثة تصب في فهم العلاقة بين المؤلف والمترجم والثقافة ضمن إطار متعدد التخصصات¹⁶⁵. Ozturk يؤكد أن نقل الخصوصية الثقافية في الترجمة يتطلب معرفة عميقة بالثقافة الأصلية واللغة الهدف، وإلا ستفقد النص قيمته الدلالية¹⁶⁶.

2.2 الترجمة ما بعد الاستعمار:

تطرح Spivak و Niranjana الترجمة كأداة سياسية وثقافية تعيد تشكيل الهوية والتاريخ. ترجمة النصوص ما بعد الاستعمارية تُعد إعادة مقاومة رمزية للاستعمار اللغوي. هذه النظريات تؤكد أن الترجمة لا تنقل النص فقط؛ بل تُعيد إنتاج الهوية الثقافية للمجتمع المترجم¹⁶⁷. هذا يدعم فهمنا للهوية الأدبية كمعطى يتجاوز النقل الحرفي ويربط الترجمة بالتحويلات الهيكلية في المجتمعات.

3.2 الترجمة كإعادة خلق للهوية الثقافية

التحول الثقافي في دراسة الترجمة يجعل الثقافة وليس الكلمة هي الوحدة العمليانية (translated-unit) كما في (Lefevere، 2009، ص.30)¹⁶⁸.

Baker يوضح أن (equivalence) الديناميكية تولد التجربة الدلالية نفسها في القارئ الجديد كما كانت في الأصل (Nida in Baker)، مما يعزز الربط بين الهوية المعنوية الأصلية والهوية المدركة في النص المترجم.

¹⁶⁴ Lefevere, A. (2009). *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context*. Routledge, p.25.

¹⁶⁵ Munday, J. (2012). *Introducing Translation Studies: Theories and Applications* (3rd ed.). Routledge, p.45.

¹⁶⁶ Ozturk, E. (2024). Preservation of cultural authenticity: Analysing cultural transfer in the translation process. *International Journal of Applied Linguistics and Translation*, 10(4), p.62.

¹⁶⁷ Spivak, G. C. (1993). The Politics of Translation. In L. Venuti (Ed.), *The Translation Studies Reader* (pp. 397–416). Routledge. p.41.

¹⁶⁸ Lefevere, A. (2009). *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context*. Routledge, p.30.

4.2. الترجمة الرقمية والذكاء الاصطناعي:

1.4.2. أنظمة الترجمة العصبية (NMT):

توفر أنظمة الترجمة العصبية مثل Google Translate و DeepL معالجة تركيبية فعالة وسريعة، ومع ذلك أظهرت دراسات مثل وجود تناقضات في ترجمة الأدب الخيالي أو التعبيرات الثابتة، ما يتطلب مراجعة بشرية دقيقة¹⁶⁹.

2.4.2. الترجمة التعاونية بين الإنسان والآلة

أجرى Alkodimi وآخرون (2024) دراسة تجريبية على طلاب الترجمة الذين استخدموا ChatGPT في ترجمة ونقل نصوص قصيرة بالتعاون مع المترجم البشري، وخلصت النتائج إلى أن الترجمة التعاونية أسفرت عن أداء أفضل مقارنة بالطرق التقليدية، ولا سيما في الترجمة العكسية (back translation)¹⁷⁰. ويقدم عمرو صالح (2024) مراجعة لنماذج post-editing بين الإنكليزية والعربية، مؤكداً أن التحرير البشري للنصوص الناتجة عن الترجمة الآلية يرفع من جودة النص النهائي¹⁷¹.

3.4.2. مفاهيم post-editing وتحسين الجودة: استعرض Raunak وآخرون (2023) استخدام

نموذج GPT-4 كأداة تلقائية لتحرير مخرجات الترجمة الآلية العصبية (NMT)، ووجدوا أنه يحقق تحسناً ملحوظاً في المقاييس النوعية والكمية، رغم احتمال حدوث ما يُعرف بـ"الهلاوس" في بعض الحالات¹⁷².

5.2. اللسانيات الحاسوبية:

1.5.2. المفاهيم الثقافية المضمنة (Cultural embeddings):

نماذج اللغة الحديثة تحاول تضمين تمثيلات ثقافية ضمن embeddings الخاصة بها، لكنها لا تزال تقلص في التفاعل مع الرموز الثقافية غير الشائعة أو التراثية، مما يؤدي إلى اختلالات في الدلالة الرمزية.

2.5.2. التحيز اللغوي في نماذج NLP

تشير دراسة Zaranis وآخرون (2024) إلى وجود تحيزات في مقاييس تقدير الجودة (QE)؛ حيث تميل هذه المقاييس إلى تفضيل المراجع المؤنثة على المذكرات، كما تخفض الدرجات الممنوحة للترجمات المحايدة جنسانياً، مما يكشف عن خلل في التقدير الآلي للنصوص ذات الطابع الديني أو الاجتماعي الحساس¹⁷³.

¹⁶⁹ بودراع م. & مخلوفي ز. (2024). الترجمة الآلية العصبية: بين الذكاء الاصطناعي والعقل البشري - تطبيق DeepL Translator أنموذجاً - معالم، 15(2)، 41-61.

¹⁷⁰ Alkodimi, K. A., Alqahtani, O. A., & Al Wasy, B. Q. (2024). Human AI collaboration in translation and back translation of literary texts. Journal of Social Studies, 30(2), p.174.

¹⁷¹ Omar, L. I., & Salih, A. A. (2024). Systematic review of English/Arabic machine translation postediting: Implications for AI application in translation research and pedagogy. Informatics, 11(2), 23....p.1.

¹⁷² Raunak, V., Sharaf, A., Wang, Y., Awadallah, H. H., & Menezes, A. (2023). Leveraging GPT-4 for automatic translation post-editing. P.11.

¹⁷³ Zaranis, E., Attanasio, G., Agrawal, S., & Martins, A. F. T. (2024). Watching the watchers: Exposing gender disparities in machine translation quality estimation, pp.5.

3.5.2. تقييم جودة الترجمة (TQA)

شارك (Zouhar و آخرون، 2025) في مؤتمر NAACL بحث حول التقييم البشري المدعوم بالذكاء الاصطناعي؛ حيث تم استخدام أدوات تقييم شبه بشرية لتحسين دقة التقييم وتقليل التحزب في ملاحظات الجودة التأويلية¹⁷⁴.

3. إشكالية البحث وتساؤلاته

تبحث هذه الدراسة في حدود قدرة الترجمة الآلية لنماذج اللغة الكبيرة على نقل النصوص الأدبية والثقافية العربية مع الحفاظ على هويتها الرمزية والدلالية. وتكشف النتائج عن تباين واضح بين الدقة اللغوية والتمثيل الثقافي؛ حيث تعجز النماذج العصبية عن استيعاب المعاني الضمنية والرموز البلاغية خصوصاً في النصوص الدينية والصوفية والتربوية. كما تظهر الفجوة بين الترجمة البشرية والآلية في معالجة المصطلحات والخصوصيات المحلية، ما يؤكد أن الترجمة الثقافية الحقيقية ما تزال رهينة التدخل البشري، بينما يقدم الذكاء الاصطناعي محاكاة لغوية أكثر من فهم أصيل للثقافة.

4. المنهجية:

اعتمدت الدراسة منهجية تقوم على اختيار عينة نصية متنوعة تمثل مستويات مختلفة من التحديات أمام الترجمة الآلية في الحفاظ على الخصوصية الثقافية والنص العربي، شملت نصوصاً روائية حديثة (طه حسين، نجيب محفوظ، أحلام مستغانمي، واسيني الأعرج) تجمع بين الأسلوب الكلاسيكي والحداثي، ونصوصاً صوفية عالية الكثافة المجازية (ابن الفارض، الحلاج)، وقصصاً تربوية للأطفال ذات حمولة أخلاقية ضمنية، وحكايات شعبية وتراثية من "ألف ليلة وليلة" وحكاية أمازيغية مترجمة، بهدف اختبار النماذج في سياقات لغوية وثقافية متباينة. ولتحقيق تحليل شامل، تم الجمع بين أدوات كمية ونوعية لتقييم النتائج، بالاعتماد على خمس منصات ترجمة آلية عصبية (Google Translate، DeepL، ChatGPT-5، Claude، Gemini)، مع رصد مزاياها وحدودها في معالجة النصوص الأدبية والرمزية.

2.4. الأدوات المستخدمة:

تم اعتماد مجموعة من الأدوات التي تجمع بين الترجمة الآلية، التقييم الكمي لنتائج الترجمة والتقييم النوعي العميق للأبعاد الأسلوبية والدلالية، لضمان تحليل متعدد الأبعاد ودقيق للقدرة التفسيرية للنماذج اللغوية في نقل النصوص العربية ذات الطابع الأدبي والثقافي.

1.2.4. أدوات الترجمة:

في هذه الدراسة، تم توظيف خمس منصات متقدمة للترجمة الآلية القائمة على البنى العصبية NMT، لكل منها خصائص وأداء متفاوت في معالجة النصوص العربية. أظهر Google Translate انتشاراً عالمياً وسرعة في الأداء مع دعم واسع للغات، لكنه يعاني من ضعف الحس البلاغي والدقة في النصوص

¹⁷⁴ Zouhar, V., Kocmi, T., & Sachan, M. (2025). AI-assisted human evaluation of machine translation. NAACL 2025 Proceedings, 4936–4950.

الرّمزيّة أو الشّعريّة¹⁷⁵. أمّا DeepL فتميّز بجودة النّحو والمعجم، غير أن أدائه في العربيّة محدود نتيجة ضآلة المدونة اللّغويّة العربيّة¹⁷⁶. وبرز ChatGPT-5 بقدرته التّوليديّة على محاكاة أساليب بشريّة متعدّدة، لكنه أظهر تبايناً في فهم الرّموز الثّقافيّة المعقّدة. وتميّز Claude بالحفاظ على البنية النّحويّة واحترازه اللّغويّ، مع تحقيق توازن بين الدّقة والبساطة الأسلوبية. في حين جمع Gemini بين التّرجمة والتّأويل السّيّاق، دون أن يثبت تفوقاً ملحوظاً في التّعامل مع الشّعور أو المجاز الرّمزي¹⁷⁷.

2.2.4. أدوات التّقييم الكمي:

في هذا البحث، تمّ توظيف مقاييس كميّة معيارية لتقييم جودة التّرجمات الآليّة مقارنة بالتّرجمات البشريّة المرجعيّة، شملت: BLEU لقياس درجة التّطابق النّصي عبر العبارات القصيرة (Papineni) وآخرون، (2002)، وROUGE لاحتساب مدى التّكرار المشترك بين النّصوص، خاصّة في التّقييم السّرديّ وMETEOR الذي يأخذ في الاعتبار التّبديل التّركيبيّ والتّرادف، ما يجعله أكثر ملاءمة للنّصوص الأدبيّة ذات الصّيغة الحرة. وقد تمّ حساب هذه المؤشّرات بدقّة باستخدام مكتبة NLTK وأداة SacréBLEU لضمان موثوقيّة النتائج¹⁷⁸.

3.2.4. أدوات التّقييم النّوعي:

يتمثّل التّقييم النّوعيّ في هذا السّيّاق في توظيف أدوات تحليل متخصّصة لقياس الأبعاد البلاغيّة والشّعوريّة والأسلوبية في النّصوص المترجمة؛ حيث يشمل ذلك تحليل النّبرة الشّعوريّة لرصد الطّابع العاطفي (إيجابي، سلبي، حيادي) ومقارنته بالنّص الأصليّ لضمان الحفاظ على الأثر الوجدانيّ، والتّحليل الأسلوبيّ (Stylometry) لدراسة المؤشّرات الأسلوبية كطول الجمل، والتنوّع المعجمي، والتّكرار التّركيبيّ بهدف تحديد مدى تقارب أسلوب التّرجمة من الأصل خصوصاً في نصوص أدبيّة مثل نصوص أحلام مستغانمي وابن الفارض (Eder، 2013)، بالإضافة إلى تحليل الانزياح الدّلاليّ لرصد تغيّر المعنى في التّرجمة لا سيما في المفاهيم الغامضة أو المجازيّة، باستخدام أدوات حديثة مثل BERTScore وSBERT لقياس درجة التّقارب الدّلاليّ بين النّصوص الأصليّة والمترجمة¹⁷⁹.

5. معايير التّحليل والتّقييم:

تمّ تطوير معايير دقيقة لتحليل نتائج التّرجمة اعتماداً على الخصائص الخاصّة بالنّصوص المختارة. الهدف من ذلك هو تجاوز التّقييم اللّغويّ التّقليديّ إلى مقارنة متعدّدة المستويّات تقيس قدرة التّرجمة-

¹⁷⁵ Omar, L. I., & Salih, A. A. (2024). Systematic review of English/Arabic machine translation postediting: Implications for AI application in translation research and pedagogy. *Informatics*, 11(2), 23. p.3.

¹⁷⁶ Ennouari, I., & Houssaini, K. (2025). Translating Cultural-Loaded Content from Arabic to English: Striking the Balance between Machine Translation and Human Expertise, p.6.

¹⁷⁷ Raunak, V., Sharaf, A., Wang, Y., Awadallah, H. H., & Menezes, A. (2023). Reference précédente. P.11.

¹⁷⁸ Papineni, K., Roukos, S., Ward, T., & Zhu, W. J. (2002). BLEU: a method for automatic evaluation of machine translation. *ACL '02*, 311–318.

¹⁷⁹ Zouhar, V., Kocmi, T., & Sachan, M. (2025). Reference précédente, p.4941

سواء البشرية أم الآلية-على إعادة تمثيل الخصوصية الأدبية والثقافية للنص العربي في اللغة الهدف. ترتكز هذه المعايير على ستة محاور أساسية تم اختبارها ضمن كل نوع من النصوص.

1.5. المؤشرات الثقافية

يركّز هذا المحور على مدى نجاح الترجمة في الحفاظ على الأمثال، الكنايات، والمفاهيم الرمزية التي لا يمكن نقلها حرفياً دون فقد المعنى أو تشويه السياق. يتم تقييم:

• ترجمة التعابير مثل "ضرب الأخماس في الأسداس" أو "رجع بخفي حنين"؛

• الرموز الدينية والاجتماعية المضمنة ضمن المجاز (مثل "القبلة" في الشعر الصوفي).

أظهرت النتائج الأولية أن نماذج مثل Gemini و Google Translate تميل إلى الترجمة الحرفية لهذه العبارات، ما يؤدي إلى حدوث انهيار دلالي واضح، في حين تمكن كل من Claude و ChatGPT-5 من الاقتراب من التأويل الثقافي بدرجات متفاوتة¹⁸⁰.

النص الأصلي (من نجيب محفوظ – زقاق المدق)¹⁸¹:

"رجع بخفي حنين وقد تبددت أحلامه على عتبة زقاقنا".

الترجمة البشرية:

"He came back empty-handed, his dreams shattered at the threshold of our alley."

ChatGPT-5:

"He returned with the slippers of Hunein, and his dreams were scattered at the doorstep."

Claude:

"He came back defeated, his dreams dissolved at the gate of our alley."

Gemini:

"He returned with Hunayn's sandals, his hopes evaporated near the alley."

الترجمة البشرية نجحت في تحويل التعبير المأثور (خُفَي حُنين) إلى معنى قابل للفهم بالإنكليزية دون ترجمة حرفية. أمّا النماذج الآلية (خاصة Gemini و GPT) فاعتمدت الترجمة الحرفية، ممّا جعل المعنى غامضاً للقارئ غير العربي.

2.5. البعد الإيقاعي:

خُصّص هذا المؤشر لتقييم الترجمة الشعرية من حيث الحفاظ على النغمة الموسيقية، التوازي الإيقاعي، والوزن البلاغي. تحليل النصوص الصوفية، خاصة قصيدة ابن الفارض، أظهر أن الترجمة البشرية استطاعت استعادة الإيقاع النصي عبر أدوات مثل التقفية الجزئية والإيقاع الداخلي، في حين فقدت الترجمة الآلية هذا البعد بالكامل.

¹⁸⁰ Alkodimi, K. A., Alqahtani, O. A., & Al Wasy, B. Q. (2024). Human AI collaboration in translation and back translation of literary texts. Journal of Social Studies, 30(2), p.179.

¹⁸¹ محفوظ، نجيب. (2006). زقاق المدق. القاهرة: دار الشروق.

تمّ استخدام أدوات Stylometry و Prosody Profiling لقياس الاختلاف في الوزن الشعريّ، كما طُبِّقت مراجعة بشريّة لتقييم التّوافق الإيقاعي في اللّغة الهدف، (Eder، 2013).

النّص الأصليّ (ابن الفارض)¹⁸²:

"إني ذكرتكَ بالزّهراء مشتاقا
والدمعُ من أجفني بالوصلِ قد سقي
الترجمة البشريّة:

"In longing, I thought of you in al-Zahra's light,
And tears from my eyes watered the path of union."

Claude:

"I remembered you in al-Zahra with longing,
And tears from my eyes fed the meeting."

ChatGPT-5:

"I remembered you with yearning in Zahra,
Tears from my eyes quenched the reunion."

Gemini:

"Longing, I recalled you in al-Zahra,
And my tears nurtured the meeting."

الترجمة البشريّة هي الوحيدة التي حافظت على الإيقاع الشعري الداخلي والتّقفية الجزئية. التّرجمات الآليّة حافظت جزئياً على المعنى؛ لكنّها فشلت في نغمة الشعر ولم تراعي وزن لفظي. 3.5. السّياق الاجتماعيّ

يقيس هذا المعيار مدى فهم النّموذج أو المترجم للتّراتبيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة في السّياق السّردية: العلاقة بين الشّخصيّات، استخدام الألقاب، البنى الطّبقيّة، إلخ. النّصوص المختارة من نجيب محفوظ وألف ليلة وليلة أتاحت هذا التّحليل بوضوح. لوحظ أن Google Translate و DeepL أسقطا السّياق الطّبقي؛ إذ تُرجمت مفردات مثل "الخادم" و"المولى" بطريقة مُسطّحة، فيما قدّمت النّماذج التّوليديّة ترجمة أقرب إلى السّياق في بعض الحالات، مع تفاوت ملحوظ¹⁸³.

النّص الأصليّ (من ألف ليلة وليلة)¹⁸⁴: "فدخل على المولى، وقبّل الأرض بين يديه، وقال..."
الترجمة البشريّة:

"He entered to meet his lord, bowed with respect, and said..."

¹⁸² بن الفارض. (2005). ديوان ابن الفارض . دار المعرفة.

¹⁸³ Zouhar, V., Kocmi, T., & Sachan, M. (2025). Reference précédente, p. 4950.

¹⁸⁴ ألف ليلة وليلة. (2001). بيروت: دار الكتب العلميّة.

Claude:

"He entered upon the master, kissed the ground, and said..."

ChatGPT-5:

"He came to the owner, kissed the earth between his hands, and said..."

الترجمة البشرية استوعبت السياق الاجتماعي في استخدام "المولى" كـ "سيد" ضمن سياق تراتبي اجتماعي، بينما ChatGPT-5 فسّر الكلمة حرفياً كـ "owner" وهي غير ملائمة.

4.5. البعد الديني والروحي

تمّ اختبار المفاهيم الصوفية (كالـ "فناء"، "الوصل"، "الحجاب"، "الأنوار") والمفاهيم الإسلامية (كالـ "طهارة"، "رضا"، "الشهادة") ضمن النصوص الشعرية والسردية. يُعدّ هذا المعيار حساساً نظراً لارتباطه بالخلفية العقائدية والدينية للنصوص.

أظهرت الترجمة البشرية تفوقاً واضحاً في نقل الدلالة الدقيقة لهذه المفاهيم، بينما وقعت الترجمة الآلية في التأويل المجرد أو الحرفي Claude. اقترب نسبياً من المعنى الصحيح في حالات جزئية.

النص الأصلي (من الحلاج)¹⁸⁵:

"أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنًا"

الترجمة البشرية:

"I am the one I love, and the one I love is me.

We are two souls dwelling in one body."

Claude:

"I am from the beloved and the beloved is from me.

We are spirits that merged in the body."

ChatGPT-5:

"I am who I desire and who I desire is me.

We are two spirits united in a body."

فقط الترجمة البشرية أعادت روح الوحدة الصوفية بدقة في العبارة، مع دقة المصطلحات "dwelling" و "the one I love" عوضاً عن "desire" التي تحمل دلالة غريزية غريبة عن السياق الروحي.

5.5. التشكيل واللفظ

غياب التشكيل في النصوص العربية يشكل عائقاً كبيراً أمام الترجمة الآلية؛ إذ تتعدد معاني الكلمة الواحدة. مثلاً: "عِلِمَ" (بمعنى أدرك) تختلف عن "عِلِمَ" (بمعنى تم إعلامه). في ترجمة Gemini و Google، ظهرت ترجمات خاطئة في مقاطع متعددة بسبب هذا الغموض، ممّا يعزز أهمية إدخال نماذج تتعامل مع التشكيل التنبؤي (predictive diacritization) مستقبلاً (Habash & Rambow, 2007).

¹⁸⁵ بوهارون، عبد الناصر. (بدون تاريخ). يوان الحلاج. دار الحكمة للطباعة والنشر.

النص الأصلي (أحلام مستغانمي)¹⁸⁶:

"عَلِمْتُ أَنَّ الْحَبَّ لَا يُقَالُ؛ بَلْ يُحَسُّ."

ChatGPT-5:

"I taught that love is not said, but felt."

Gemini:

"I educated that love cannot be spoken, only felt."

Claude:

"I learned that love is not spoken, but sensed."

Claude هو الوحيد الذي التّقط التّشكيل الصّحيح "علمتُ" بمعنى ("I learned" أما GPT و Gemini

فأخذها بمعنى "I taught"، وهو ناتج عن عدم تمييز التّشكيل العربيّ، ممّا غيّر المعنى تمامًا.

6.5. اللّهجات

تمّ تقييم قدرة النّماذج على التّعامل مع اللّهجة الجزائريّة والتّعبير العاميّة من خلال مقطع من حكاية أمازيغيّة مترجمة إلى العربيّة الدّارجة. أظهرت النّتائج أن الأدوات الآليّة لم تتمكن من فهم العبارات المحليّة مثل "راح يخيّط ع القفة" و"ضرب دورة"، بينما نجحت التّرجمة البشريّة في تقديم مكافئات مناسبة بالإنكليزيّة أو الفرنسيّة حافظت على الطّابع الشّعبي للنّص دون اللّجوء إلى التّرجمة الحرفيّة¹⁸⁷.

النّص الأصليّ (من الحكايات الأمازيغيّة المترجمة إلى الدّارجة):

"قالها وهي تضرب دورة فالدّوّار، تشوف غير النّاس طالعين نازلين".

التّرجمة البشريّة:

"She said it while circling the village, watching people going back and forth."

Gemini:

"She said it while making a round in the coil, seeing people up and down."

ChatGPT-5:

"She said it while taking a spin in the turn, watching the people go up and down."

فقط التّرجمة البشريّة فهمت التّعبير العامّي "يضرب دورة فالدّوّار" كـ "circling the village" بدلاً من ترجمة حرفيّة مشوّشة مثل "coil" أو "spin" التي فقدت السّياق الاجتماعيّ والفضاء المكانيّ.

6. التّحليل والمناقشة

تكشف الدّراسة أن التّرجمات الآليّة للنّصوص الأدبيّة (مثل ChatGPT-5 و Gemini و Claude) تتفوق في التّرجمة العامّة؛ لكنها تعجز عن نقل الخصوصيّات الثّقافيّة والرّمزيّة والدّينيّة. وتبرز الفجوات في التّكييف الثّقافيّ، الإيقاع البلاغيّ، السّياق الاجتماعيّ والتراتبية، العمق الرّوحيّ، التّشكيل العربيّ،

¹⁸⁶ مستغانمي، أحلام. (2012). ذاكرة الجسد. بيروت: منشورات نوفل.

¹⁸⁷ Ennouari, I., & Houssaini, K. (2025). Translating Cultural-Loaded Content from Arabic to English: Striking the Balance between Machine Translation and Human Expertise, p.11.

وفهم اللّٰهجات العاميّة. وتؤكد النتائج على أهميّة تدريب النّماذج على corpora متخصصة ودمج المعرفة السياقيّة والثّقافيّة لتحقيق ترجمة أقرب للأداء البشريّ.

7. مقارنة فعليّة بين التّرجمة البشريّة والآليّة للنّصوص الأدبيّة

في هذا القسم، نعرض دراسات حالة فعليّة تستند إلى أبحاث منشورة تقارن ترجمة نصوص أدبيّة عربيّة إلى الإنكليزيّة بين مترجمين بشريّين ونماذج آليّة. يتيح ذلك فهمًا موسّعًا لفجوة الأداء عبر سياقات أدبيّة مختلفة.

1.7. دراسة الحالة : نصّ شعريّ (Al-Ohdal & Alowedi (2023)

تستعرض هذه الدّراسة مقارنة بين التّرجمة البشريّة والتّرجمة الآليّة القائمة على نموذج GPT لقصيدتين عربيّتين، "Nothing of Note" و "One Day". أظهرت النّتائج أن التّرجمة الآليّة تفشل في نقل السّياق الثّقافيّ والرّموز الشعريّة، وتنتج أخطاء وصفيّة وتشوّه البنية السّردية والإيقاع البنائي للنّصوص. في المقابل، حافظت التّرجمة البشريّة على التّراكيب الاصطلاحيّة، إيقاع النّفي المضاعف، والدّلالات التاريخيّة، مؤكّدة تفوقها في نقل الخصوصيّة الثّقافيّة والأدبيّة للنّصوص الشعريّة.

2.7. دراسة حالة "بين القصيرين" لمحفوظ (Mehawesh, 2023)

درس محمد مهواش الفروق بين التّرجمة الآليّة والتّرجمة البشريّة لمقاطع من بين القصيرين، فبينما تميل التّرجمة الآليّة إلى الصّياعة الحرفيّة وفقدان الإحياءات الثّقافيّة، تمكن المترجم البشريّ من نقل المعنى بدقة أكبر مع مراعاة السّياق الاجتماعيّ والثّقافيّ، ممّا يوضح محدوديّة تقنيّات المعالجة الآليّة في التّرجمة الأدبيّة.

3.7. دراسة حالة للمقارنة (Zuqāq al-Midaqq, 2024)

تقيّم الدّراسة فاعليّة التّرجمة الآليّة (Google Translate و ChatGPT) مقابل التّرجمة البشريّة لنصوص زقاق المدق لنجيب محفوظ، مع التّركيز على الألوان والتّعبيرات المحليّة والرّموز الثّقافيّة. أظهرت النّتائج أن التّرجمات الآليّة تنقل المعنى السّطحي للنّص لكنها تهمل الأبعاد الثّقافيّة والدّلاليّة، بينما يظلّ المترجم البشريّ أكثر دقة في نقل الخصوصيّة الرّمزيّة واللّغويّة التي تعكس الهويّة الأدبيّة العربيّة.

مقارنة ملخصّة:

الدراسة	النّص	الفرق بين البشر والآلة
Alowedi & Al-Ahdal 2023 ¹⁸⁸	شعر قصير (Nothing of Note, One Day)	الآلة تفقد السّياق الثّقافيّ والبنية الشعريّة

¹⁸⁸ Alowedi, N. A., & Al Ahdal, A. A. M. H. (2023). B référence précédente

Mehawesh ¹⁸⁹ 2023	رواية "بين القصرين" لنجيب محفوظ ¹⁹⁰	الترجمات الحرفية تفقد السياق الاجتماعي والرموز
Zuqāq al-Midaqq corpus 2024	رواية "زقاق المدق" مع Google و ChatGPT	البشرية تنقل الإماءات الثقافية بينما الآلة تقدم المعنى البسيط

ما تعززه دراسة الحالة في بحثنا:

تبرز دراسة الحالة أهمية التدخل البشري الملم بالسياق الثقافي في الترجمة الأدبية، مؤكدة أن الترجمة تتجاوز نقل الكلمات لتصبح إعادة صياغة ثقافية تحافظ على البنية الجمالية والدلالية للنص الأصلي.

7. التوصيات والتطبيقات

تدعو الدراسة إلى تطوير منظومة الترجمة العربية لمواكبة التحولات الرقمية والذكاء الاصطناعي عبر دمج البعد الثقافي، من خلال مسارد رقمية، أطر ترجمة هجينة، Corpus متخصص، وحدات جامعية حديثة، ووحدات بحثية وشراكات مع شركات التكنولوجيا لضمان مخرجات دقيقة ومتوافقة مع السياق العربي.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الترجمة الآلية للنصوص الأدبية العربية، رغم تقدم النماذج اللغوية التوليدية، ما تزال عاجزة عن نقل الهوية الأدبية والثقافية بدقة، خصوصاً في الرموز والاستعارات والدلالات الروحية، بينما تتفوق الترجمة البشرية في فهم البنية السباقية والتأويلية. وتفتح الدراسة اعتماد نموذج ترجمة هجينة يدمج الكفاءة البشرية مع تحسين corpora التدريب بالمعرفة الثقافية والاجتماعية والفنية، مع دور مؤسسات أكاديمية ومراكز ترجمة لتوفير بيئة تبيانات سياقية متكاملة، مؤكدة أن الترجمة الآلية تظل أداة مساندة للحفاظ على التعددية الثقافية واللغوية وتعزيز التفاعل بين الآداب في عصر الرقمنة.

المراجع:

مراجع عربية:

أبو هارون، عبد الناصر. (بدون تاريخ). ديوان الحلاج. دار الحكمة للطباعة والنشر.
الأعرج، واسيني. (2015). مملكة الفراشة. بيروت: دار الآداب.

¹⁸⁹ Mehawesh, M. I. (2023). Human translation vs. machine translation in the Naguib Mahfouz's novel Bayn Al Qasrain (Palace Walk): A case study. Mu'tah Journal of Humanities and Social Sciences, 38(2).

¹⁹⁰ محفوظ، نجيب. (2006). زقاق المدق. القاهرة: دار الشروق.

ألف ليلة وليلة. (2001). بيروت: دار الكتب العلميّة.

بن الفارض. (2005). ديوان ابن الفارض ، دار المعرفة

(<https://www.isbnsearch.org/isbn/2745107976>).

بودراع م., & مخلوفي ز. (2024). التّرجمة الآليّة العصبيّة: بين الذّكاء الاصطناعيّ والعقل البشريّ -تطبيق

DeepL Translator أنموذجا-. معالم, 15(2), 41-61. (<https://asjp.cerist.dz/en/article/261665>)

حسين، طه. (2000). الأيّام. دار المعارف.

محفوظ، نجيب. (2006). زقاق المدق. القاهرة: دار الشّروق.

مستغامي، أحلام. (2012). ذاكرة الجسد. بيروت: منشورات نوفل.

مراجع إنكليزية:

- Abdulmughni, A., & Alrefaee, Y. (2025). Artificial Intelligence in Arabic-English Literary Translation: Technological Innovations, Linguistic Accuracy, and Ethical Implications. (<https://doi.org/10.36892/ijlls.v7i3.2120>)
- Alkodimi, K. A., Alqahtani, O. A., & Al Wasy, B. Q. (2024). Human AI collaboration in translation and back translation of literary texts. *Journal of Social Studies*, 30(2), 172–184. (<https://doi.org/10.20428/jss.v30i2.2404>)
- Alowedi, N. A., & Al Ahdal, A. A. M. H. (2023). Artificial intelligence based Arabic to English machine versus human translation of poetry: An analytical study of outcomes. *Journal of Namibian Studies*, 33 S2, 15–38. (<http://dx.doi.org/10.59670/jns.v33i.800>)
- Anik, R., Kambhatla, K., Liu, S., & Singh, R. (2025). Multilingual Cultural Agents for Translation Quality. arXiv preprint.
- Baker, M. (2004). *Translation: An Advanced Resource Book*. Routledge.
- Eder, M. (2013). Computational stylistics and authorship attribution. *Journal of Quantitative Linguistics*, 20(3), 167–185. (<https://doi.org/10.1080/09296174.2013.795974>)
- Ennouari, I., & Houssaini, K. (2025). Translating Cultural-Loaded Content from Arabic to English: Striking the Balance between Machine Translation and Human Expertise. ResearchGate. <https://www.researchgate.net/publication/387697883>
- Habash, N., & Rambow, O. (2007). Arabic Diacritization through Full Morphological Tagging. NAACL-HLT 2007. (<https://aclanthology.org/N07-1045/>)
- Lefevere, A. (2009). *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context*. Routledge.

- Mehawesh, M. I. (2023). Human translation vs. machine translation in the Naguib Mahfouz's novel *Bayn Al Qasrain* (Palace Walk): A case study. *Mu'tah Journal of Humanities and Social Sciences*, 38(2). <https://doi.org/10.35682/mjhsc.v38i2.631>
- Munday, J. (2012). *Introducing Translation Studies: Theories and Applications* (3rd ed.). Routledge.
- Nida, E. (1964). *Toward a Science of Translating*. Brill.
- Omar, L. I., & Salih, A. A. (2024). Systematic review of English/Arabic machine translation postediting: Implications for AI application in translation research and pedagogy. *Informatics*, 11(2), 23. (<https://doi.org/10.3390/informatics11020023>)
- Ozturk, E. (2024). Preservation of cultural authenticity: Analysing cultural transfer in the translation process. *International Journal of Applied Linguistics and Translation*, 10(4), 61–66. <https://doi.org/10.11648/j.ijalt.20241004.12>
- Papineni, K., Roukos, S., Ward, T., & Zhu, W. J. (2002). BLEU: a method for automatic evaluation of machine translation. *ACL '02*, 311–318. <https://doi.org/10.3115/1073083.1073135>
- Raunak, V., Sharaf, A., Wang, Y., Awadallah, H. H., & Menezes, A. (2023). Leveraging GPT-4 for automatic translation post-editing. *arXiv*.
- Spivak, G. C. (1993). *The Politics of Translation*. In L. Venuti (Ed.), *The Translation Studies Reader* (pp. 397–416). Routledge.
- Zaranis, E., Attanasio, G., Agrawal, S., & Martins, A. F. T. (2024). Watching the watchers: Exposing gender disparities in machine translation quality estimation. (<https://doi.org/10.48550/arXiv.2410.10995>)
- Zouhar, V., Kocmi, T., & Sachan, M. (2025). AI-assisted human evaluation of machine translation. *NAACL 2025 Proceedings*, 4936–4950. (<https://aclanthology.org/2025.naacl-long.255>)

إشكاليات وتحديات الترجمة الآلية للنصوص الأدبية

- دراسة تطبيقية لترجمة آلية لنص "وعظتني نفسي" لجبران خليل جبران-

د. طه الأمين بودانة

أستاذ محاضر بالمركز الجامعي

أفلو/الجزائر

مقدمة:

تعتبر الترجمة الآلية للنصوص الأدبية إحدى أهم أنواع الترجمة التي تُعنى بتحويل الجنس الأدبي سواء أكان شعرا أم رواية أم قصة أم مسرحية أم مقالا من لغة إلى أخرى؛ بهدف فتح أبواب وجسور التقارب الفكري والثقافي والحضاري بين مختلف الشعوب، وهذا ما يُسهم في إثراء الآداب وتطويرها وانفتاحها على الآخر، كما تستفيد الآداب من تجارب غيرها؛ كما حدث للأدب العربي في العصر العباسي لما استفاد من الأدب الفارسي أجناسا أدبية لم يكن على عهد كفن المقامة والقصة القصيرة، وبالمقابل استفاد الأدب الفارسي بفضل الترجمة من تجربة الشعر الغنائي الذي اشتهر به الأدب العربي القديم. والأمر نفسه تكرر حديثا حيث استفاد الأدب العربي الحديث مما ظهر على الساحة الأدبية الغربية من فنون أدبية غير معهودة كفن الرواية ومن مذاهب أدبية ذات توجهات مختلفة كالواقعية والرومانسية والرمزية وغيرها.

وفي ظل الثورة الرقمية والانفجار التكنولوجي والمعلوماتي الذي يشهده العالم مؤخرا ازدادت الحاجة للترجمة وتجلت أهميتها بوضوح، فوظفت التقنيات الحديثة في تطوير الترجمة لمحاولة مد جسور التقارب بين مختلف الثقافات والآداب، ولأجل ذلك تمت معالجة اللغة حاسوبيا باعتبارها أداة التواصل بين البشر والوعاء الحامل للفكر والثقافة والأدب، فظهر ما يُعرف باللسانيات الحاسوبية كأحد فروع اللسانيات التي تُعنى بتطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي وتلقيين الحاسوب المهارات اللغوية المختلفة، وانبثق عن هذا التوجه اللساني الجديد ما يُعرف بالترجمة الآلية بتقنياتها المختلفة لتُستخدم في ترجمة النصوص الأدبية، وهي ترجمة معقدة جدا لما يحمله النص الأدبي- خلافا لغيره- من إيحاءات وانزياحات وعواطف يصعب ترجمتها حرفيا فضلا عن السياق الثقافي والتاريخي المحيط بالنص الأدبي، ومن خلال ما تقدم نطرح مجموعة من التساؤلات نحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث الموجز؛ وهي التالية:

- هل بإمكان تقنيات الذكاء الاصطناعي ترجمة النص الأدبي، بما فيه من انزياحات وإيحاءات ودلالات خفية؟

- كيف تتمكن أدوات الذكاء الاصطناعي من فهم النص الأدبي رغم تعقيده؟

- هل تتمكن الترجمة الآلية من المحافظة على أسلوب الأديب الخاص؟ ومن فهم سياق النص

الأدبي بكل حذافيه؟

أ- الدراسة النظرية

1- مفهوم الترجمة الآلية:

الترجمة الآلية هي إحدى فروع الذكاء الاصطناعي الذي يسعى لجعل الحاسوب متمكنا من الترجمة من لغة لأخرى، وتعني أيضا أن يتمكن الحاسوب من نقل الكلمات أو الجمل أو النصوص من لغة إلى لغة أخرى وفقا لمعطيات سابقة عن اللغتين، هذه المعطيات مبرمجة مسبقا في الجهاز لمساعدته على الترجمة الإلكترونية.¹⁹¹ فالترجمة الآلية تعني نقل نص من لغة طبيعية هي لغة المصدر إلى لغة طبيعية أخرى هي لغة الهدف، باستخدام جهاز الحاسوب وبالاعتماد على برامج الكترونية مستخدمة لهذا المجال، تُتاح عن طريق الأقراص المرنة أو عبر مواقع على شبكة الانترنت، ويتم هذا الأمر دون تدخل بشري.¹⁹² ولتحقيق الترجمة الآلية لابد من وجود كفاية لغوية حاسوبية شبيهة بالتي يمتلكها العقل البشري من خلال استقبال اللغة وإدراكها وفهمها وإعادة إنتاجها، ويتم ذلك عن طريق نمذجة الاستعمال البشري للغة حاسوبيا، من خلال جعله في قوالب تجريدية لا مجال فيها للشك أو الاحتمال. والترجمة الآلية هي إحدى فروع اللسانيات الحاسوبية لكونها تجمع بين علمي اللغة والحاسوب من خلال ما يُعرف بـ"اللغويات الحاسوبية" التي تهتم بتحليل النص المصدر بلغته الأصلية واستيعابه فهما وتدقيقا قبل ترجمته إلى اللغة الهدف.¹⁹³

2- مفهوم الترجمة الأدبية:

تعتبر الترجمة الأدبية "Literary Translation" وسيلة محورية في إقامة التواصل بين مختلف الثقافات، كما تُسهم في عولمة الأدب من خلال إثراء المشهد الأدبي العالمي. وتشترك مع الترجمة عموما في كونها تتمثل في تحويل شفرة لغوية إلى شفرة لغوية أخرى، وذلك بغية إيصال المعنى الذي قد يكون إحياليا وقد يكون أدبيا يتضمن عناصر فنية وبلاغية وإيقاعية.¹⁹⁴ ولا يتوقف دور المترجم على مجرد نقل دلالات الألفاظ من لغة إلى أخرى؛ بل يتجاوز ذلك إلى التأثير في نفس المتلقي بنفس الفعالية في اللغة المصدر؛ لأن القلب الفني للعمل الأدبي تجب المحافظة عليه كما هو، وهذا ما يتطلب مهارة عالية جدا؛ لأنها ليست نقلا حرفيا لدلالات الألفاظ؛ بل هي عملية تتطلب دقة كبيرة في نقل المشاعر والقيم الفنية والجمالية والمحافظة على الأسلوب الأدبي للكاتب.¹⁹⁵ وهذا ما يجعل هذا النوع من الترجمة صعبا مقارنة بغيره، لكونها تتطلب إعادة إنتاج العمل الأدبي بلغة جديدة تحمل أنساقا وخلفيات ثقافية مختلفة، مع الحفاظ على روحه الفنية، وهذا يتطلب قدرا كبيرا من المهارة والمرونة في نقل التعبيرات والأساليب بدقة عالية، كما يتطلب فهما عميقا للمحيط الثقافي والاجتماعي للغة الأصلية، إضافة إلى ما يميز النصوص الأدبية من قيم شعورية وتعبيرية ينبغي على المترجم أن يحافظ عليها عند ترجمتها إلى لغة أخرى.¹⁹⁶

¹⁹¹ - عمرو محمد فرج مذكور، الترجمة الآلية: مفهومها مناهجها نماذج تطبيقية في اللغة العربية، مجلة كلية دارالعلوم، جامعة الفيوم: مصر، المجلد: 26 العدد: 1، ديسمبر 2011م، ص: 894.

¹⁹² - فاطمة عبد العزيز النجار، دور الذكاء الاصطناعي في تقريب ترجمة النصوص الأدبية، مقال منشور بمجلة حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، إصدار خاص: فبراير 2025، ص: 3020.

¹⁹³ - زهيرة كبير، الترجمة الآلية الواقع والآفاق، مجلة الترجمة واللغات، جامعة الشلف: الجزائر، المجلد: 17، العدد: 1، 2018م، ص: 138.

¹⁹⁴ - محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مؤسسة هنداوي: مصر، 2023م، ص: 15.

¹⁹⁵ - المرجع نفسه، ص: 13.

¹⁹⁶ - فاطمة عبد العزيز النجار، دور الذكاء الاصطناعي في تقريب ترجمة النصوص الأدبية، مرجع سابق، ص: 3023.

3- مزايا النص الأدبي وتحديات ترجمته:

أ- مزايا النص الأدبي: يتميز النص الأدبي بمجموعة من المميزات تجعله عصيا إلى حد ما عن الترجمة، نذكر من هذه الخصائص ما يلي:

- هيمنة الوظيفة التعبيرية: التي يسعى من خلالها المبدع إلى التأثير في المتلقي.
- الإيحاء والرمزية: يستعين الأدباء غالبا بالخيال والصّور الفنية من أجل نقل التجربة الشعورية إلى المتلقي.

- كثرة التأويلات للنص الأدبي بسبب عمق المعنى فيه وتعقيده.
- الزخرفة والصنعة اللفظية في النص الأدبي بغرض التأثير في المتلقي.
- الاتصاف بخاصيتي الاتساق والانسجام على المستوى اللفظي والمعنوي بين الجمل المكونة للنص الأدبي.

- النصوص الأدبية لا تقتصر على التسلية والترفيه؛ بل هي مرآة عاكسة للقضايا الاجتماعية بمختلف مظاهرها في الحياة.

- يعبر النص الأدبي عن التجربة الإنسانية بشكل معمق مما يجعله غير مألوف في لغته وتعبيره.¹⁹⁷

ب- ما يواجه الترجمة الآلية للنص الأدبي من تحديات:

يمكن أن نقسم هذه التحديات إلى قسمين:

- القسم الأول: التحديات التي تواجه طبيعة النص المترجم: تتمثل هذه التحديات فيما يلي:

1- المحافظة على جماليات الأساليب البلاغية: وهذا الأمر يستدعي من المترجم أن يلم بأدبيات اللغة المصدر من خلال استيعابه للقيم العاطفية والجمالية لألفاظ تلك اللغة، إضافة إلى ظلال المعنى أو المعاني الإيحائية التي يعجز الذكاء الاصطناعي عن فهمها واستيعابها بشكل كافٍ؛¹⁹⁸

2- استيعاب المحيط الثقافي والاجتماعي والتاريخي للنص المترجم فهما وإلماما: من أبرز التحديات التي تعترض ترجمة النص الأدبي ضرورة الإحاطة بفهم السياق الثقافي والتاريخي للنص المترجم، فالنص الأدبي خلافا لغيره من النصوص يتضمن معطيات ثقافية واجتماعية وتاريخية تُعد أساسية في تشكيله، وهذا ما يعجز عن فهمه الذكاء الاصطناعي، فيشكل عائقا كبيرا في ترجمة هذه النصوص؛¹⁹⁹

3- إشكالية ترجمة النص الشعري: النص الأدبي عموما والشعري خصوصا نص زئبقي وليس نصا مضبوذا كالنص العلمي؛ وذلك لاعتماده على الوزن والقافية إضافة إلى الانزياح والخروج عن المألوف وتجاوز حاجز المنطق وكسر أفق توقعات المتلقي، وهذه العوامل يصعب على أدوات الذكاء الاصطناعي فهمها فضلا عن ترجمتها؛²⁰⁰

- القسم الثاني: التحديات المتعلقة بالجانب اللغوي:

¹⁹⁷ - فاطمة النجار، دور الذكاء الاصطناعي في تقريب ترجمة النصوص الأدبية، مرجع سابق، ص: 3032.

¹⁹⁸ - بوعلام بطاطش، الترجمة الآلية للخطاب الأدبي والنقدي، مجلة الخطاب: جامعة بجاية، العدد: 21، ص: 188.

¹⁹⁹ - فاطمة النجار، دور الذكاء الاصطناعي في تقريب ترجمة النصوص الأدبية، مرجع سابق، ص: 3034.

²⁰⁰ - المرجع نفسه، ص: 3034.

1- الاختلافات الدلالية: تشكل الاختلافات الدلالية للكلمات تحدياً كبيراً للترجمة الآلية للنص الأدبي؛ وذلك لأن قاعدة البيانات المعوّل عليها في الترجمة مكوّنة من مصادر متنوّعة ولذلك تختلف صيغةً وشكلاً وأسلوباً، وهذا ما يُربك النظام العصبي للترجمة الآلية، وتبرز بوضوح هذه المشكلة من خلال ما يُعرف بمشكلات المعنى: كباب التّرادف والمُشترك اللفظي والأضداد؛ فكلمة "العين" مثلاً قد تُترجم بجارحة الإبصار في حين أن السّياق يقتضي أن تكون بمعنى "الجاسوس" مثلاً، وهنا يصعب على أدوات الذكاء الاصطناعيّ ترجمة مثل هذه الكلمات ممّا يستدعي تدخل الإنسان؛²⁰¹

2- الألفاظ قليلة الاستعمال: ممّا يصعب على الترجمة الآلية كذلك بعض الكلمات النّادرة؛ كاللّغات قليلة الاستعمال في اللّغة أو أسماء الإعلام أو المصطلحات اللّغويّة أو الأدبيّة أو النّقديّة ونحوها؛²⁰²

3- التّعابير الاصطلاحية: مثل العبارات المسكوكة أو التّعابير الجاهزة ذات الاصطلاح العرفي؛ فهذه العبارات لها معانٍ خاصّة في لغة معيّنة ويكثر وجودها في اللّغة العربيّة؛ مثل: "ليت شعري"، "حنف أنفه"، "كأن على رؤوسهم الطّير"، "لبيك وسعديك"، "حياك الله وبياك"؛ فمثل هذه العبارات يصعب على الذكاء الاصطناعيّ ترجمتها حرفياً لما فيها من انزياحات وخروج عن المعتاد في اللّغة.²⁰³

وإذا أخذنا اللّغة العربيّة كمثال عن اللّغة المصدر نجد أنها تتميّز بخاصيّة الإعراب (التّشكيل) الذي يكسبها عمقاً دلالياً خاصّاً؛ إذ يلعب دوراً كبيراً في إزالة اللّبس عن الألفاظ والعبارات المتشابهة، مثل الكلمات التّالية: "شعر"، "شعر" - "بر، بر، بر" - ونحوها، وبالتالي فإنّ عدم وجوده في النّص قد يؤدي إلى صعوبات وتحديات للترجمة الآلية، والغموض الذي تتميّز به اللّغة العربيّة هو ميزة جماليّة وفنيّة يجعل منها لغة أدبيّة وإبداعية، وهو من علامات شعريّة النّص الأدبيّ لكونه يجعل النّص يحمل أكثر من دلالة،²⁰⁴ فاللّغة ظاهرة إنسانيّة معقّدة جداً لا يمكن لأيّ نظام آلي رفيع أن يستوعبها بشكل كامل.

ب- الدّراسة التّطبيقية

يتمثل الجانب التّطبيقي من البحث في ترجمة نص أدبي من الأدب العربيّ الحديث إلى اللّغة الإنكليزيّة عبر تطبيقين؛ يعتمد أحدهما على الترجمة الآلية العصبيّة وهو مترجم موقع "غوغل" Google Translate، ويعتمد الآخر على الترجمة الآلية الإحصائيّة وهو تطبيق "Reverso"، ثمّ نقوم بالمقارنة بين التّرجمتين.

والنّص المراد ترجمته هو مقطع قصير من مقال أدبي بعنوان: "وعظتني نفسي" للأديب "جبران خليل جبران" من كتابه "في عالم الرّؤيا" يوضح فيه الكاتب فكرة التّشابه بين الأفراد، وأنّ التّباين يكون في التّعبير عن الأحاسيس والمواقف وليس في طبيعة الجوهر الإنسانيّ.

201 - بوعلام بطاطش، التّرجمة الآلية للخطاب الأدبي والنّقدي، مرجع سابق، ص: 190.

202 - فاطمة النّجار، دور الذكاء الاصطناعيّ في تقريب ترجمة النّصوص الأدبيّة، مرجع سابق، ص: 3035.

203 - إلهام الزّروقي، التّرجمة الآلية العصبيّة بين التّطور والتّحدّيات، المؤتمر العلميّ الدّولي: جامعة وهران: 2021م، ص: 79-82.

204 - محمود محمد درابسة، ظاهرة الغموض بين عبد القاهر الجرجانيّ والسّلجماسي، مجلة جامعة أم القرى للغة العربيّة وآدابها: مكة المكرمة، مجلد: 9، العدد: 22، 1422هـ، ص: 350.

يقول "جبران خليل جبران": "وعظتني نفسي يا أخي، وعلمتني، لقد وعظتكَ نفسك وعلمتكَ، فأنت وأنا متشابهان مُتضارعان، وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلم عما بي وفي كلامي شيء من اللّجاجة، وأنت تكتُم ما بك، وفي تكتُمك شيء من الفضيلة".²⁰⁵

المقارنة بين التّرجمتين:

ترجمة موقع "Google Translate"	ترجمة تطبيق "Reverso"
You have preached to me, my brother and taught me. You have preached to yourself and taught you. I have reached two similar people, and there is only a distance between us. I speak about what is in me, and in my speech there is something of obstinacy, while you conceal what is in you, and in your concealment there is something of virtue.	My soul preached to me, my brother and taught me. And your soul has preached to you and taught you. You and I are similar and conflicting, and the only difference between us is that I speak about what is in me and there is rudeness in my words, and you conceal what is in you, and in your cocealment there is something of virtue.

من خلال التّدقيق في الفوارق بين التّرجمتين نسجّل الملاحظات التّالية:

- تمكّن المترجم "غوغل" "Google" إلى حد جيد من المحافظة على المعنى الإجمالي للنّص مقارنة بالتّطبيق "Reverso" الذي كانت ترجمته حرفيّة لا تغوص في أعماق المعاني؛

- دقة ترجمة "غوغل" "Google" مقارنة بترجمة التّطبيق "Reverso"؛ حيث استوعبت الأولى المعاني الخفيّة؛ فلم تهمل عبارة "شيء" في قول الكاتب: "وفي كلامي شيء من اللّجاجة": "I speak about what is in me, and in my speech there is something of obstinacy" والتي توجي بمعنى دقيق أهملته التّرجمة الثّانية: "that I speak about what is in me and there is rudeness in my words"

- كلمة "obstinacy" في ترجمة "غوغل" بمعنى "العناد" أدق وأقرب إلى معنى "اللّجاجة" في قول الكاتب من كلمة "rudeness" في ترجمة "ريفرسو" والتي تعني "الفضاظة"؛

- كلمة "yourself" في ترجمة "غوغل" بمعنى "نفسك" أدق وأقرب إلى معنى "النّفس" في قول الكاتب من كلمة "soul" في ترجمة "ريفرسو" والتي تعني "الرّوح"؛

²⁰⁵ - جبران خليل جبران، في عالم الرّؤيا، جمع: محمد محمد عبد المجيد، مؤسسة هنداوي: المملكة المتّحدة: 2017م، ص: 69.

- حافظت ترجمة "غوغل" على جمالية العبارة: " فأنت وأنا متشابهان مُتضارعان": "I have reached two similar people"، بخلاف ترجمة "ريفرسو" التي أفقدت العبارة بُعدها الجمالي والبلاغي: "You and I are similar and conflictin

من خلال استعراض هذه الفوارق بين الترجمتين يتضح لنا جليا أن الترجمة الآلية العصبية المتمثلة في ترجمة "غوغل" تتفوق بكثير على الترجمة الآلية الإحصائية المتمثلة في ترجمة "ريفرسو". ولأجل التأكد أكثر قمنا بعكس العملية؛ حيث أدرجنا النص المترجم بالإنكليزية في التطبيقين لنرى هل سنحصل على النص الأصلي نفسه أم سيلحقه تغيير؛ فتحصلنا على النتيجة التالية:

نص الأديب	ترجمة "ريفرسو" إلى العربية	ترجمة "غوغل" إلى العربية
"وعظمتني نفسي يا أخي، وعلمتني، لقد وعظمتك نفسك وعلمتك، فأنت وأنا متشابهان مُتضارعان، وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلم عما بي وفي كلامي شيء من اللجاجة، وأنت تكتم ما بك، وفي تكتمك شيء من الفضيلة".	وعظني يا أخي وعلمتني، ووعظتكَ روحك وعلمتك، أنا وأنت متشابهان ومتناقضان، والفرق الوحيد بيننا هو أنني أتكلم عما في داخلي وفي كلامي فظاظة، وأنت تُخفي ما فيك، وفي كتمانك شيء من الفضيلة.	نفسى يا أخى نهتني وعلمتني، ونفسك نهتك وعلمتك، أنا وأنت متشابهان، والفرق بيننا هو أنني أتكلم بما فى نفسى، وفى كلامى شيء من العناد، وأنت تخفى ما فىك، وفى سترك شيء من الفضيلة.

ومن خلال المقارنة بين الترجمتين يتضح لنا أن ترجمة "غوغل" كانت أكثر دقة وضبطاً، وحافظت إلى حد كبير على المعنى الذي أراده الأديب؛ حيث نجد أغلب الجمل تتطابق دلالاتها مع النص الأصلي، أما ترجمة التطبيق "ريفرسو" فقد كانت بعيدة نوعاً ما عن المعنى المراد للأديب، فترجمة هذا التطبيق لا تعدو أن تكون مجرد مقابلة للكلمات العربية بنظيراتها الأجنبية، دون الاهتمام عموماً بالمعنى العام للسياق، كما لم تهتم كذلك بالمعاني الأدبية والانزياحات البلاغية والمعاني الإضافية، مما يؤكد تفوق برامج الترجمة المعتمدة على الشبكات الآلية العصبية وهي نماذج حية من تقنيات الذكاء الاصطناعي، لذلك يمكن الاعتماد عليها إلى حد ما في مجال ترجمة النصوص الأدبية، وسبب نجاح هذه البرامج مقارنة بغيرها يعود إلى اعتمادها على مجموعة الآليات التكنولوجية المتطورة التي تقوم بتحسين أداء خوارزمياتها باستمرار على مستوى سرعة الأداء وتقنيات التخزين والسرعة في الاستجابة، ومن أهم هذه الآليات: تقنيات التوقع والانتباه والتعلم العميق والمستمر؛ لكن رغم كل هذا فإن المدقق في الأسلوب الأدبي للنص الأصلي والنص المترجم يجد اختلافاً ولو دقيقاً، فعبارة: " أنا وأنت متشابهان" في النص المترجم تختلف في الدلالة عن العبارة الأصلية للنص الأدبي: "فأنت وأنا متشابهان مُتضارعان"، لما في الثانية من دقة وتأكيد ليست في الأولى، ولما فيها من تقديم وتأخير يستدعيه مقام الكلام، وكذلك نلاحظ

غياب أسلوب القصر وما يضيفه على الكلام من حصر وتوكيد وفخامة لا نجد مثيلاتها في العبارة المترجمة لقول الكاتب: " وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلم عما بي وفي كلامي شيء من اللّجاجة"، وهي: " والفرق بيننا هو أنني أتكلم بما في نفسي، وفي كلامي شيء من العناد".

ونلاحظ كذلك غياب جماليّات الانزياح والعدول وما تضيفه هذه الأساليب من دلالات خفيّة تزيد من أدبيّة النّص، من خلال عدم المحافظة على الإخلال بقرينة الرتبة في قول الكاتب: "وعظمتني نفسي يا أخي، وعلمتني، لقد وعظمتك نفسك وعلمتك، فأنت وأنا متشابهان مُتضارعان"؛ حيث أن العبارة المترجمة لهذا القول، وهي: " نفسي يا أخي نهتني وعلمتني، ونفسك نهتك وعلمتك، أنا وأنت متشابهان" لا تفي بجميع الدلالات المرجوة منها، والأمر نفسه ينطبق على حروف المعاني ومواقعها الدّقيقة وما تفيد من معان لطيفة وخفيّة؛ حيث لا تتأتى القيم الفنيّة والجماليّة لهذه العبارة الأدبيّة دون وجودها والمحافظة على مواطنها كما أرادها الكاتب.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النّتائج والتّوصيّات نوجزها في العناصر التّاليّة:

أ- النّتائج:

1- تعتبر التّرجمة الآليّة ثمرة تراوج علمي اللّغة والحاسوب، وهي في الوقت ذاته فرع من فروع تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ الذي يسعى لجعل العقل الإلكترونيّ قادرا على التّرجمة من لغة إلى أخرى؛
2- تمكّن العقل الإلكترونيّ من تحسين فعاليّة وجودة التّرجمة بفضل استخدام الشّبكات الآليّة العصبيّة التي تعتمد على دقة الانتباه وعمق التّعلم ممّا أحدث طفرة كبيرة في ميدان التّرجمة الآليّة؛
3- يُعد النّص الأدبيّ نصا ذا طبيعة معقدة لاشتماله على القيم الفنيّة والجماليّة والمشاعر الإنسانيّة التي يصعب على الآلة استيعابها وفهمها فضلا عن ترجمتها، لذلك فإن ترجمة النّص الأدبيّ تحتاج عناية فائقة وجهدا مضاعفا؛

4- رغم ما توصلت إليه التّرجمة الآليّة العصبيّة من مقدرة عالية فإنها لا تزال عاجزة عن ترجمة النّص الأدبيّ بكامل إبداعه سواء من النّاحيّة الفنيّة البلاغيّة المتمثلة في المحافظة على الأسلوب الأدبيّ للكاتب ونقل الصّور الفنيّة والإحاطة بالسياق الثّقافيّ والتّاريخيّ للنّص، أم من النّاحيّة الدّلاليّة المتمثلة في مشكلات المعنى كالمشترك اللفظيّ أو الأضداد ونحوها، والكلمات النّادرة الاستعمال، والعبارات المسكوكة وغيرها؛

5- لحدّ الآن لم تتمكن التّرجمة الآليّة أن تحل محل البشر خاصّة في مجال التّصوص الأدبيّة التي يطغى فيها الجانب الإنسانيّ بطبيعته المعقّدة.

ب- التّوصيّات:

1- لا بد من الاستفادة من تقنيّات العقل الإلكترونيّ خصوصا في مجال ترجمة النّص الأدبيّ وتعميم هذه الثّقافة لدى المبتدئين والمختصين على السّواء.

- 2- ضرورة زيادة تطوير خوارزميات الترجمة الآلية لفهم القيم الفنية والجمالية التي تتضمنها النصوص الأدبية.
- 3- نوصي بعدم الاستغناء عن التدخل البشري في مجال ترجمة النصوص الأدبية لعدم تمكن العقل الإلكتروني من الإحاطة الكلية بالنص الأدبي فهما وترجمة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتب:

- 1- إلهام الزروقي، الترجمة الآلية العصبية بين التطور والتحديات، المؤتمر العلمي الدولي: جامعة وهران: 2021م.
- 2- جبران خليل جبران، في عالم الرؤيا، جمع: محمد محمد عبد المجيد، مؤسسة هنداي: المملكة المتحدة: 2017م.
- 3- محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، مؤسسة هنداي: المملكة المتحدة، 2023م.

2- المقالات:

- 1- بوعلام بطاطش، الترجمة الآلية للخطاب الأدبي والنقدي، مجلة الخطاب: جامعة بجاية، العدد: 21.
- 2- زهيرة كبير، الترجمة الآلية الواقع والآفاق، مجلة الترجمة واللغات، جامعة الشلف: الجزائر، المجلد: 17، العدد: 1، 2018م.
- 3- عمرو محمد فرج مذكور، الترجمة الآلية: مفهومها مناهجها نماذج تطبيقية في اللغة العربية، مجلة كلية دارالعلوم، جامعة الفيوم: مصر، المجلد: 26 العدد: 1، ديسمبر 2011م.
- 4- فاطمة عبد العزيز النجار، دور الذكاء الاصطناعي في تقريب ترجمة النصوص الأدبية، مقال منشور بمجلة حولى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، إصدار خاص: فبراير 2025.
- 5- محمود محمد درابسة، ظاهرة الغموض بين عبد القاهر الجرجاني والسلجاسي، مجلة جامعة أم القرى للغة العربية وآدابها: مكة المكرمة، مجلد: 9، العدد: 22، 1422هـ.

ترجمة الشعر باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي: تحليل نقدي لإمكانيات ChatGPT و Google Translate

د. فاطمة عمروش،

أستاذة (ة) محاضرة (ة) بالمركز الجامعي، تيبازة/الجزائر.

1- مقدمة:

تُعدّ الترجمة الأدبية واحدة من أكثر مجالات الترجمة تعقيداً، لما تنطوي عليه من مستويات دلالية وجمالية وثقافية متشابكة، ويزداد هذا التعقيد حين يتعلّق الأمر بترجمة الشعر، الذي يُمثّل أقصى درجات التّكثيف اللّغويّ والانزياح البلاغيّ؛ وإذا كانت الترجمة الشعريّة قد شكّلت منذ القدم تحدّيًا للمترجم البشريّ، فإنّ دخول الذّكاء الاصطناعيّ على خطّ الترجمة يُعيد طرح السّؤال حول إمكانيّة أن تنوب الآلة عن الإنسان في نقل التّجربة الشعريّة بكلّ أبعادها الإبداعية.

لقد أحرزت تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ، ولا سيما نماذج الترجمة الآليّة مثل: GoogleTraduction والنّمادج اللّغويّة التّوليديّة ChatGPT، تطوراً مذهلاً في السّنوات الأخيرة، جعلها قادرة على إنتاج نصوص تبدو في ظاهرها سليمة نحويّاً ودلاليّاً. إلا أن الترجمة الشعريّة تتطلب ما يتجاوز السّلامة اللّغويّة، فهي ترتبط بالإيقاع، والصّورة الشعريّة، والحمولة الثّقافيّة، والبعد التّأويلي للنّص، وهي جميعها عناصر يصعب على الخوارزميّات معالجتها بعمق.

من هذا المنطلق، تسعى هذه الدّراسة إلى مساءلة قدرة الذّكاء الاصطناعيّ على ترجمة الشعر العربيّ إلى لغات أجنبيّة، من خلال تحليل نماذج واقعيّة منتجة بواسطة ChatGPT و Google Translate، في محاولة لرصد مدى تمكّن هذه الأدوات من الحفاظ على الخصوصيّة الفنيّة والجماليّة للنّصوص الأصليّة. ويأتي هذا البحث في سياق علميّ متنامٍ يتقاطع فيه الإنسان مع الرّقميّ، ويثير تساؤلات جوهريّة حول مستقبل الترجمة الأدبيّة في العصر الرّقميّ.

2- الترجمة الآليّة: تعريفها وأهميتها في العصر الرّقميّ:

1-2 مفهوم الترجمة الآليّة:

تُعدّ الترجمة الآليّة مسألة بالغة الأهميّة، ويتعيّن التّطرق إلى مفهومها وتحديد معالمها قبل الخوض في إشكاليّة هذه الدّراسة وتحليل مكوّناتها. فقد اتّفق المهتمون بمجال الترجمة على أنّ الترجمة الآليّة تُشير إلى تحويل أيّ نص من لغة طبيعيّة إلى أخرى باستخدام الحاسوب سواء بشكل جزئيّ أم كليّ. ويُنظر إليها على أنّها عمليّة نقل آلي للنّصوص بين اللّغات؛ حيث يتمّ توظيف برامج خاصّة لمعالجة نص باللّغة المصدر وإنتاج نص مقابل في اللّغة الهدف، يُعرف غالباً بـ "الترجمة الخام".

تُصنّف الترجمة الآلية ضمن فروع اللّسانيّات الحاسوبية أو ضمن تقنيّات المعالجة الآلية للغة؛ إذ تهتم باستخدام البرمجيّات في ترجمة النصوص أو الخطابات بين اللّغات الطّبيعية. وتكمن جوهرية الترجمة الآلية في إتمام عملية الترجمة بشكل كامل عبر الآلة، وهو ما يميزها عن مفاهيم أخرى قريبة مثل الترجمة باستخدام الحاسوب، أو الترجمة الآلية بمساعدة بشرية، أو الأدوات المساعدة على الترجمة.

وتنقسم الترجمة الآلية إلى ثلاثة أنواع رئيسية: الترجمة البشرية باستخدام الحاسوب، والترجمة الآلية بمساعدة بشرية، والأدوات المساعدة على الترجمة. فالصّنف الأول يشير إلى الترجمة التي يقوم بها المترجم البشريّ مع اعتماد جزئيّ على البرامج في مراحل معينة. أمّا الثاني، فيتمثل في ترجمة النّص بشكل آليّ مع تدخل محدود من الإنسان، مثل المراجعة أو التحرير. بينما يتمثل الصّنف الثالث في استخدام أدوات مساعدة، كذاكرات الترجمة، وقواعد البيانات، والمدونات اللّغوية وغيرها من الموارد الرّقمية²⁰⁶. فالترجمة الآلية لا تُعدّ ميداناً مستقلاً بذاته؛ بل تمثل مجالاً تداخلياً يستند إلى معارف مستمدة من اللّسانيّات وعلوم الحاسوب والدّكاء الاصطناعيّ ونظرية الترجمة، إضافة إلى عدد من الأساليب والتقنيّات التي تُسخّر لتطوير أنظمة الترجمة المحوسبة. وتنتمي الترجمة الآلية أساساً إلى البحوث التّطبيقية، التي تتيح إمكانيةً توظيف نتائجها ومفاهيمها في مجالات أخرى، خاصّة تلك المعنية بمعالجة اللّغات الطّبيعية باستخدام الحاسوب²⁰⁷.

2-2 أهمية الترجمة الآلية:

تُعدّ الترجمة الآلية من أبرز التقنيّات الحديثة التي أسهمت بشكل فعّال في تسهيل التّواصل بين الأفراد والشّعوب من مختلف اللّغات والثّقافات. وتبرز أهميتها في العديد من المجالات، نظرًا لقدرتها على توفير الوقت والجهد، وهو ما يُعدّ ضرورة في عالم سريع الإيقاع، يتطلب إنجاز المهام بكفاءة وفي وقت وجيز.

كما تتميز الترجمة الآلية بإمكانية الوصول إلى ترجمات دقيقة للمصطلحات، ممّا يُسهّم في الاستفادة من مصادر المعرفة المتنوعة المنتجة بلغات متعدّدة²⁰⁸. إضافة إلى ذلك، تلعب الترجمة الآلية دورًا جوهريًا في دفع عجلة التّقدم التكنولوجي؛ إذ تُسهّم في تحسين أداء الأنظمة الذّكيّة التي تعتمد على معالجة اللّغات الطّبيعية وفهمها، ممّا يعزز من قدرة هذه الأنظمة على التّفاعل متعدّد اللّغات²⁰⁹. ومع

²⁰⁶ سفيان جفال، ربحان خويصات: الترجمة الآلية العصبية للأسلوبية العربية، المجلد 5، العدد 2، ص 576.

²⁰⁷ عبد الله بن حمد الحميدان: مفاهيم أساسية في الترجمة الآلية، المترجم، العدد 12، ديسمبر 2005، جامعة الرياض، ص 67.

²⁰⁸ مأمون الحطاب: الترجمة الآلية للغة العربية قضايا وحلول، دار حوسبة النّص العربي، القاهرة، ط 1، 2008، ص 51.

²⁰⁹ محمد محمدي الشّحات توفيق: الترجمة الآلية من العربية إلى الأردية والعكس "دراسة تحليلية مقارنة لترجمة chat JPT و Google Translate، مجله كليه اللّغات والترجمة، العدد 27، يوليو 2024، ص 139.

التزايد الهائل في حجم المعلومات الناتجة عن الثورة الرقمية، والانفتاح العالمي، وتداخل اللغات في مختلف مناحي الحياة، أصبحت الحاجة ماسة إلى حلول تقنية حديثة تُسرّع من عملية الترجمة ونقل المعرفة. فحجم المحتوى الذي يحتاج إلى ترجمة بات يفوق بكثير قدرة المترجمين البشر على معالجته، خاصة في ظلّ تنوع مصادر المعرفة وتعدد اللغات المنتجة لها. وهنا تُصبح الترجمة الآلية خياراً ضرورياً، يُسهم في كسر الحواجز اللغوية، وتمكين الوصول إلى المعلومات لمن لا يتحدثون لغة المحتوى الأصلي²¹⁰.

3- ترجمة النصوص الشعرية: "بين الإمكان والاستحالة":

تمثّل ترجمة النصوص الشعرية من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، والعكس، إحدى القضايا الإشكالية والمعقدة في حقل الترجمة الأدبية. فهي تقف على الحدّ الفاصل بين الممكن والمستحيل؛ إذ لا تزال موضع جدل كبير بين الشعراء، والنقاد، والمترجمين على حد سواء. ويعزى هذا الجدل إلى خصوصية الشعر باعتباره فناً لا يقتصر على نقل المعنى فقط؛ بل يتضمن إيقاعاً، وصوراً بلاغية، وشحنات عاطفية يصعب نقلها إلى لغة أخرى دون أن تفقد شيئاً من جمالها أو تأثيرها.

يرى البعض، ومنهم "الجاحظ"، أنّ الشعر لا يُترجم، وقد عبّر عن ذلك صراحة في كتابه: "الحيوان" حين قال إنّ "فضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسانهم"، وأنّه "لا يُترجم ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل، تقطع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه، وسقط موضع التعجب"²¹¹. يمكن فهم هذا القول في مستويين: ظاهر يعدّ الشعر ملكة خاصة بالعرب، وهذا رأي مردود؛ لأنّ الشعر ظاهرة إنسانية تتقاطع فيها تجارب الشعوب والثقافات وباطن يُشير إلى صعوبة نقله إلى لغات أخرى دون المساس ببنية الفنية.

تكمّن إشكالية ترجمة الشعر في التوتر بين الأمانة للنص الأصلي ومتطلبات اللغة المستهدفة، خاصة في ما يتعلّق بالبنية، والإيقاع، والدلالة الثقافية. فالمترجم لا يُطالب فقط بفهم النص؛ بل بامتلاك قدرات إبداعية تُعينه على إعادة إنتاجه شعرياً في لغة أخرى، دون الإخلال بروحه ومعناه. ولهذا السبب يرى بعض النقاد أنّ ترجمة الشعر الحقيقية لا يقدر عليها سوى شاعر، لما يتمتع به من حس مرهف، وقدرة على التدوّل الشعري، والإحاطة بالرسالة الجمالية والفكرية للنص.

الشعر، من حيث طبيعته، لا يقتصر على كونه لعباً بالألفاظ أو تعبيراً عن تجربة ذاتية؛ بل يضطلع كذلك بوظيفة حجاجية وإقناعية. يقول أبو بكر العزاوي إنّ النصّ الشعري "يسعى إلى التحريض، والتأثير وتغيير قناعات المتلقي ومواقفه"²¹²، من خلال استراتيجيات بلاغية تُخاطب العقل والعاطفة معاً، ولهذا

²¹⁰ محمد زكي خضر: اللغة العربية والترجمة الآلية "المشاكل والحلول"، المركز العربي للتعبير والترجمة والتأليف،

العدد 43، ديسمبر 2012، ص 23.

²¹¹ الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996، ص 74-75.

²¹² العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، مؤسسة الزحّاب الحديثة، بيروت، ط 1، 2010، ص 35.

فهو فرع من فروع البلاغة، يُزَوج بين الإمتاع والإقناع، ويستمد قوته من دقة اختيار الألفاظ وتنظيمها في أسلوب شعري بليغ.

وعلى الرغم من التّحدّيات التي تواجه ترجمة الشّعر العربيّ إلى اللّغات الأجنبيّة، فإنّ العكس - أي ترجمة الشّعر الغربيّ إلى العربيّة - قد أثبت نجاحاً ملحوظاً؛ حيث برهنت التّرجمة العربيّة على قدرتها الفائقة في حمل المعاني والتّعبير الأصليّة بأساليب لغويّة بليغة تُبرز قوّة النّص وتدعم أثره الحجاجي والتّأثيري. ويعود ذلك إلى غنى اللّغة العربيّة بمترادفاتها ومرونتها، وجمال تراكيبها، وبلاغتها التي تضيف للنّصوص المترجمة طابعاً جمالياً يُثري المعنى ويعمق التّأثير.

إنّ اللّغة العربيّة تمتاز بطاقة إبداعيّة هائلة في التّعبير، وقدرتها على استيعاب المعاني الدّقيقة والمفاهيم المعقّدة، وهو ما يزيد من ارتباط أبنائها بها واعتزازهم بها. ويكفي أن نشير إلى أن مفردات العربيّة تُقدّر بنحو 12 مليون مفردة، مقارنة بما لا يتجاوز المليون مفردة في كثير من اللّغات العالميّة الأخرى. ولا بد من الإشارة هنا إلى أهميّة امتلاك مترجم الشّعر لمؤهلات خاصّة، فلا يكفي أن يكون متمكناً من اللّغتين المصدر والهدف؛ بل يجب أن يكون شاعراً أو على الأقل ذا حس شعري عالٍ، يُمكنه من إعادة إنتاج النّصوص شعرياً، بما يُحافظ على معانيها وجماليّاتها الأصليّة.

وقد برع العديد من الشّعراء العرب في ترجمة الشّعر الأجنبي، حتّى فاق إبداعهم في التّرجمة أحياناً إبداعهم في كتابة الشّعر، ممّا يعكس عمق التّفاعل الثّقافي والتّذوق الفني. فالترجمة الشّعريّة تُعدّ ذروة العمل الإبداعي في التّرجمة، لما تتطلبه من قدرة على نقل خلجات النّفس البشريّة وأحاسيسها في إطار بلاغيّ فنيّ متكامل.

والترجمة في جوهرها ليست علماً فقط؛ بل فناً كذلك، لأنّها تستلزم قدراً كبيراً من الإبداع، والحس الأدبيّ، والقدرة على إعادة الصّيغة بما يحاكي النّص الأصليّ. وقد أشار جورج مونان إلى أن التّرجمة الأدبيّة وخاصّة في مجالات الشّعر والمسرح والسينما، تتجاوز نقل الألفاظ إلى إعادة تمثيل النّص في سياقه الثّقافيّ والفني²¹³.

ومن هذا المنطلق، فإنّ التّرجمة الأدبيّة ممارسة ذهنيّة وفنيّة تتطلب مهارات إدراكيّة ولغويّة عاليّة وقد لا يحتاج المترجم المبدع بالضرورة إلى التّكوين النظريّ المتعمّق بقدر ما يحتاج إلى الموهبة والتّذوق الأدبيّ والبراعة اللّغويّة. لذلك لا يمكن لكلّ من يملك أدوات اللّغة أن ينجح في التّرجمة الأدبيّة؛ بل يجب أن يتوفر على طاقة خلاقية تُعينه على إعادة إحياء النّصوص بلغات أخرى دون المساس بجوهرها الفني.

واللّغة العربيّة، بما تمتاز به من ثراء لغويّ وتباني، قادرة على استيعاب كلّ جديد ومواكبة التّطورات العلميّة والحضاريّة. وقد أضحت اليوم تحتل المرتبة الرّابعة بين لغات العالم من حيث

²¹³ Mounin, G. : *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris , Gallimard , 1976 , p.60

الحضور الحضاريّ وهو ما يعكس قدرتها على استيعاب المفاهيم الحديثة وإنتاج مقابلات عربيّة دقيقة لها. ويكفيها فخراً أنّ أعلام الحضارة الإسلاميّة – كابن سينا، والبيروني، والخوارزمي، وابن الهيثم، وجابر بن حيان – قد ألفوا أعظم المؤلفات العلميّة بلغة عربيّة رصينة ما زالت تُدهش الباحثين إلى اليوم²¹⁴.

4- مميّزات خدمة Google Translate و ChatGPT في التّرجمة من وإلى العربيّة:

1-4 تطبيق Google Translate :

تعدّ خدمة التّرجمة الآليّة من Google Translate من أبرز الأدوات التي سهّلت على المستخدمين عمليّة فهم النّصوص الأجنبيّة؛ حيث وفّرت جهداً كبيراً في ترجمة الكلمات والفقرات؛ بل وحتى الملفات الكاملة وصفحات الإنترنت. وتُعد التّرجمة بين اللّغة الإنجليزيّة والعربيّة – والعكس – من أكثر الاستخدامات شيوعاً وفعاليّة بالنّسبة للمستخدم العربيّ. ومن أبرز مميّزات خدمة التّرجمة من جوجل أنّها مجانيّة ومتاحة للجميع، كما أنّها عند ترجمة كلمة مفردة، تعرض مجموعة من المرادفات والمعاني المشابهة، ممّا يساعد في اختيار التّرجمة الأنسب حسب السّياق. وتوفّر الخدمة أيضاً ميزة النّطق الصّوتي، والتي تتيح للمستخدم الاستماع إلى نطق الكلمة الصّحيح، ممّا يفيد في تحسين المهارات اللّغويّة.

بالإضافة إلى ذلك، تدعم الخدمة التّرجمة بين عدد كبير من اللّغات، من بينها العربيّة، الإنجليزيّة، الصّينيّة، الإسبانيّة، الفرنسيّة، وغيرها. وعلى الرّغم من أنّها لا تخلو من بعض التّحدّيات، إلا أنّها تُعتبر من أكثر الأدوات دقة وسهولة في التّرجمة من الإنجليزيّة إلى العربيّة²¹⁵.

2-4 تطبيق ChatGPT :

يُعرّف ChatGPT على أنّه روبوت محادثة يعمل بالذكاء الاصطناعيّ، تمّ تطويره بالاعتماد على تقنيّات البرمجة اللّغويّة العصبيّة (NLP) من قبل شركة OpenAI. وقد تمّ إطلاقه رسميّاً في نهاية نوفمبر من عام 2022. ويتكوّن اسم "ChatGPT" من كلمتين "Chat" وتعني المحادثة، و "GPT" وهي اختصار لـ Generative Pre-trained Transformer، أي "المحوّل المؤلّد المدرب مسبقاً"، وهو ما يمكن الإشارة إليه اختصاراً بـ "مولّد اللّغة".

يتميّز هذا التّمودج بقدرته على إجراء محادثات تفاعليّة، والإجابة عن الأسئلة، وكتابة النّصوص بمستويّات مختلفة من التعقيد، إلى جانب إنتاج القصص السّردية، وتأليف الشّعربنوعيه المقفى والحرّ

²¹⁴ أحلام بن عمرة: التّرجمة الآليّة ومواقعها السّياقيّة الإلكترونيّة، المؤتمر الدّوليّ الرابع: تعليم اللّغات الأجنبيّة والدراسات السّانّيّة، 14-

15 ديسمبر 2023، جامعة مرمرّة، تركيا، ص528.

²¹⁵ سعيد بن عامر: إشكالات التّرجمة الآليّة موقع غوغل للتّرجمة الآليّة من العربيّة إلى الإنجليزيّة أنموذجاً، المجلة المغاربيّة، أكتوبر

2016، تلمسان، ص17.

وكذلك الترجمة بين عدد كبير من اللغات، ولا سيما في النسخة الرابعة منه (GPT-4) التي عُرفت بتحسينات كبيرة في دقة الترجمة وفهم السياق.

وتعود ملكية وتطوير هذا النموذج إلى شركة OpenAI الأمريكية، التي أسسها كل من إيلون ماسك وسام ألتمان. ويُعد ما يميز هذه التقنية الثورية في مجال الترجمة الآلية هو قدرتها على "هندسة الطلبات" أي استجابتها الدقيقة للأوامر الفورية والمعقدة، وهو ما يُعد عاملاً حاسماً في تحسين جودة المخرجات التي يقدمها النظام²¹⁶.

3-4 ما الذي يميّز Google Translate و ChatGPT؟:

تُعدّ Google Translate أداة ترجمة آلية عصبية (NMT) تركز على التنبؤ بتسلسل الكلمات ضمن السياق عبر شبكة عصبية صناعية، وهي مصممة خصيصاً لترجمة اللغات بدقة هيكلية وسرعة عالية. في المقابل، يُعتبر ChatGPT نموذجاً لغوياً توليدياً (GPT) مدرباً مسبقاً على كميات ضخمة من البيانات، ما يمنحه قدرة واسعة على فهم اللغة الطبيعية، والتعامل مع التعبيرات المجازية والسياقات الثقافية بشكل أكثر مرونة.

تشير الدراسات إلى أن ChatGPT يتفوق في دقة المصطلحات والتعامل مع التعبيرات الاصطلاحية واللهجات، بينما تظهر Google Translate أداءً أفضل في اللغات الأقل شيوعاً وتوفر ميزات مدعومة بصرياً مثل Google Lens. ومع ذلك، فإن قدرة ChatGPT على معالجة السياقات المعقدة والتراكيب غير القياسية تمنحه تفوقاً ملحوظاً في الترجمة الإبداعية، ممّا يجعله الخيار المفضل لدى الكثير من المستخدمين، خصوصاً في المجالات التي تتطلب فهماً دلاليًا وثقافياً أعمق²¹⁷.

5- نماذج تطبيقية للترجمة باستخدام Google و ChatGPT:

النموذج 01:

²¹⁶ منتصف ظريف، محمد شوشاني عبيدي: في تقييم ترجمة شات جي بي تي دراسة مقارنة لنص علمي مبسط، مجلة معالم، المجلد 16، العدد 2، 2023، ص 47.

²¹⁷ سمر عبد الرحمن: أيهما أفضل Google Translate أم ChatGPT؟، الأربعاء 04 ديسمبر 2024، اطلع عليه 15-08-2025

https://www.elwatannews.com/news/details/7717983#goog_rewarded

النّص المصدر	ترجمة Google Translate	ترجمة ChatGPT
« le vent » Je chante et les arbres 'écoutent Je hurle et les portes grincent. Je caresse les feuilles doucement Je les arroche brutalement. Je emporte les graines et les plumes. J'abaisse les fumées des cheminées. Je cours dans les pres. Personne ne me voit. Mais aucun m'entend. ²¹⁸	"الريّح" أغني والأشجار تُصغي. أصرخ والأبواب تُصرّ. أداعب الأوراق برفق. أقتلعها بعنف. أحمل البذور والريّش. أخفّف الدّخان من المداخل. أركض في المروج. لا أحد يراني. لكن لا أحد يسمعي ²¹⁹	"الريّح" أنا أغني، فتُنصت إليّ الأشجار، وأصرخ، فتصدر الأبواب صريرها. أداعب الأوراق برفق، وأقتلعها بعنف. أحمل البذور والريّش، وأخفض أدخنة المداخل. أركض في المروج، لا أحد يراني، لكن لا أحد يسمعي ²²⁰ .

النّموذج 02:

النّص المصدر	ترجمة Google traduction	ترجمة ChatGPT
Shall I compare thee to a summer's day? Thou art more lovely and more temperate. Rough winds do shake the darling buds of May,	هل أشبهك بيوم صيف؟ أنت أجمل وأكثر اعتدالاً. تهزّ الرياح العاتية براعم مايو الجميلة، وللصيف موعدٌ قصيرٌ جداً. تشرق عين السماء أحياناً بحرارةٍ شديدة، وكثيراً ما يخفت لونها الدّهبي؛	هل أشبهك بيومٍ من أيام الصّيف؟ بل إنك أروعُ جمالاً وأكثر اعتدالاً. فرياحٌ عاتيةٌ تهزُّ براعمَ مايو الحبيبة، وعقدُ الصّيف لا يلبث أن ينقضي سريعاً. وأحياناً تشرقُ عينُ السّماء بحرّ مفرط، وغالباً ما يحجبُ السّحابُ وجهها الدّهبي؛

²¹⁸ سناء منعم: اللّسانيّات الحاسوبية والترجمة الآليّة "بعض الثّوابت النظريّة والإجرائيّة"، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015، ص 217.

²¹⁹ التّرجمة منجزة باستخدام أداة Google Translate، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، عبر الرّابط:

<https://translate.google.com>

²²⁰ التّرجمة منجزة باستخدام ChatGPT نموذج GPT-4 ، (OpenAI)، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، من خلال منصة ChatGPT

وكلُّ جمالٍ لا بد أن يذبل، إما بالصّدفه، أو بدورة الطّبيعة المتقلّبة؛ بلا زينة. لكن صيفك الأبدي لن يذبل، ولا يفقد الجمال الذي تملكه، ولا الموتُ سيفتخر بأنك تمشي في ظله، إذ إنك في أبيات خالدةٍ قد نُقشتَ عبر الزّمان. فما دام البشرُ يتنفسون، وتبصر العيون، فسيبقى هذا الشّعر حيّاً، ويمنحك الحياة.²²³	وكلّ جميلٍ يذبل أحياناً، صدفةً أو بتغيّر مسار الطّبيعة، دون أن يُهذب؛ لكن صيفك الأبدي لن يذبل، ولن تفقد جمالكَ الذي تملكينه، ولن يتفاخر الموت بكِ وأنتِ ترقدين في ظله، عندما تكبرين في خطوطٍ أبديةٍ نحو الزّمن. ما دام البشر قادرين على التّنفس، أو العيون قادرة على الرّؤية، فهذا يحيا طويلاً، وهذا يمنحك الحياة.²²²	And summer's lease hath all too short a date. Sometime too hot the eye of heaven shines, And often is his gold complexion dimmed; And every fair from fair sometime declines, By chance, or nature's changing course, untrimmed; But thy eternal summer shall not fade, Nor lose possession of that fair thou ow'st, Nor shall death brag thou wand'rest in his shade, When in eternal lines to Time thou grow'st. So long as men can breathe, or eyes can see,
--	--	--

²²² التّرجمة منجزة باستخدام أداة Google Translate، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، عبر الزّابط:

<https://translate.google.com>

²²³ التّرجمة منجزة باستخدام ChatGPT نموذج GPT-4، (OpenAI)، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، من خلال منصة ChatGPT

1-5 تحليل مقارنة لترجمات الشّعر بين Google Translate و ChatGPT "الفوارق الجماليّة

والمنهجية":

تُظهر مقارنة ترجمات Google Translate و ChatGPT لنصّين شعريّين مختلفين – قصيدة Le «Vent» بالفرنسيّة وسونيتة شكسبير الثامنة عشرة بالإنكليزيّة – فروقات جوهرية على مستوى المنهجية والتّمثيل الجمالي؛ إذ تعتمد ترجمة Google على معالجة لغوية حرفيّة تُبقي المعنى في حدوده السّطحيّة، دون مراعاة للبنية الإيقاعيّة أو الرّمزيّة الكامنة في النّص، كما يتضح في تعابير مثل "أخفّ الدّخان من المداخن" أو "عين السّماء"، التي تفتقر إلى الحس الشّعري رغم دقّتها المعجميّة. في المقابل، تنتهج ترجمة ChatGPT مقاربة توليديّة تسعى إلى إعادة إنتاج البنية الفنيّة للنّص، محافظة على الصّور البلاغيّة والإيحاءات الرّمزيّة، كما في "أغني والأشجار تُصغي" و"ظلّ الموت"، الأمر الذي يمنح التّرجمة طاقة شعريّة أقرب إلى النّص الأصليّ. وعليه، فإن ترجمة ChatGPT تُظهر قدرة أعلى على تحقيق تكافؤ جمالي ودلالي، بينما تظلّ ترجمة Google صالحة لأغراض الفهم الأوّلي فقط، دون أن ترقى إلى مستوى التّرجمة الأدبيّة المطلوبة لنقل التجربة الشّعريّة بكامل أبعادها، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّحليل يستند إلى نموذجين شعريّين محدّدين، ولا يُقصد به تعميم نتائج الأداء على جميع النّصوص أو السّياقات. إذ قد تختلف جودة التّرجمة باختلاف اللّغة والمستوى البلاغي للنّص. ومع ذلك، يقدّم هذا التّقييم مؤشراً واضحاً على الفارق بين التّرجمة الآليّة الحرفيّة والنّماذج التّوليديّة في التّعامل مع الشّعر من حيث البعد الجمالي والدلالي.

6- مشاكل التّرجمة الآليّة إلى اللّغة العربيّة:

يشير كورد (Corder, 1967) إلى أنّ الأخطاء اللّغويّة تُعدّ علامات على وجود إستراتيجيّات ذاتيّة، ممّا يجعل تحليل هذه الأخطاء وتفسيرها أمراً لا جدال في أهميته. وهذا بالضّبط ما يشغل مطوّري أنظمة التّرجمة الآليّة؛ حيث يسعون إلى فهم أسباب الخطأ وتصنيفها؛ فبعضها يعود إلى البنية النّحويّة، وأخرى إلى السّياق، أو إلى محدوديّة المعجم أو البرمجيّات المستخدمة. ومن هنا، فإن الاكتفاء ببرنامج يحتوي على معجم محدود²²⁴ وقواعد بسيطة لا يفي بالغرض المطلوب، وهو ما توضحه ترجمات Google والنّماذج الآليّة الأخرى للنّصوص الفرنسيّة والإنكليزيّة إلى اللّغة العربيّة؛ حيث تكشف هذه التّرجمات

²²¹ أحمد عبد الرّحمن عطية: ترجمة الشّعر من الإنكليزيّة إلى العربيّة: دراسة تحليليّة مقارنة بين نماذج الذّكاء الاصطناعي، مجلة وادي النّيل للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة والتّربويّة، 2023، جامعة القاهرة، ص 302.

²²⁴ سناء منعم: اللّسانيّات الحاسوبية والتّرجمة الآليّة "بعض الثّوابت النّظريّة والإجرائيّة"، مرجع سابق، ص 218.

عن جملة من الإشكالات المستمرة التي تواجه الترجمة الآلية إلى العربية. ويمكن حصر أبرز هذه المشكلات في النقاط التالية:

1. تعدد المعاني للكلمة الواحدة (الاشتراك اللفظي)؛
2. الاستخدام المجازي للغة؛
3. الغموض أو اللبس النحوي؛
4. الجمالية والبلاغة كسمتين أساسيتين في النص العربي؛
5. التنوع الثقافي والحضاري بين اللغة المصدر واللغة الهدف؛
6. صعوبة إيجاد مقابلات دقيقة لبعض المفردات في اللغة العربية.

7- الخاتمة:

في ضوء ما تقدّم، يمكن القول إنّ ترجمة الشّعر إلى اللغة العربيّة باستخدام أدوات الذّكاء الاصطناعيّ تظلّ مجالاً إشكالياً يستدعي الكثير من التّأني، والتّقويم النّقدي؛ فعلى الرّغم من التّطور الملحوظ الذي أحرزته تطبيقات الترجمة الآليّة، لا يزال الشّعر، بما يتّسم به من كثافة لغويّة وانزياحات دلاليّة ورمزيّة، يشكّل تحديّاً كبيراً أمام الخوارزميّات التي تفتقر إلى الحسّ الجماليّ والقدرة على التّأويل الثقافيّ. وقد أظهرت الدّراسة أنّ الترجمة الشّعريّة تتطلّب مقارنة تتجاوز النّقل الحرفيّ أو الدّلاليّ إلى مستويات أعمق تتعلّق بالإيقاع، والصّور البلاغيّة، والشّحنة الانفعاليّة للنّص، وهي عناصر لم تتمكن الترجمة الآليّة – بصيغتها الحاليّة – من نقلها بصورة مُرضيّة.

ومن بين النّتائج التي تم التّوصّل إليها في ضوء تحليل نماذج الترجمة الشّعريّة:

1. أظهرت الترجمة الآليّة (Google Translate) و (ChatGPT) قدرة على إنتاج نصوص مفهومة لغويّاً، لكنها غالباً ما افتقرت إلى البعد البلاغيّ والجماليّ للشّعر؛
2. فقدت التّرجمات الآليّة الإيقاع الشّعريّ والانزياحات الأسلوبيّة التي تُعد من خصائص الشّعر الجوهريّة؛
3. تميّز ChatGPT نسبياً بمرونة أكبر واقتراحات تعبيريّة أفضل مقارنة بـ Google Translate، لكنه لم يضمن الحفاظ على المعنى أو البنية الجماليّة بدقة؛
4. أثبتت الترجمة البشريّة تفوقها الواضح في التّعامل مع المعاني الضمنيّة، والسّياق الثقافيّ، والكثافة الشّعريّة؛
5. يُظهر الذّكاء الاصطناعيّ حاجة إلى تدريب متخصصّ يشمل الأبعاد الجماليّة والثّقافيّة للنّصوص الأدبيّة، وليس الجوانب اللّغويّة فقط.

وعليه، نُوصي بمجموعة من المقترحات التي قد تُساهم في تطوير الترجمة الشّعريّة باستخدام الذّكاء الاصطناعيّ، وتحسين أدائها في التّعامل مع النّصوص الأدبيّة:

1. تطوير نماذج ذكاء اصطناعي متخصصة في الترجمة الأدبية، تراعي الخصائص الأسلوبية والثقافية للنصوص الشعرية؛
2. إشراك المترجم البشري كمحرر نهائي في الترجمة الآلية، لضمان الحفاظ على المعاني الدقيقة والجماليات الأسلوبية؛
3. تعزيز التعاون بين المتخصصين في الترجمة والأدب، ومطوري تقنيات الذكاء الاصطناعي، لبناء قواعد تبيانات تدريبية مخصصة للأدب؛
4. تجنب الاعتماد الكامل على الترجمة الآلية في النصوص ذات الحساسية الأدبية أو الرمزية العالية؛
5. تشجيع الباحثين على إجراء دراسات مقارنة بين الترجمة البشرية والآلية في مجالات أدبية متنوعة، لتوسيع فهم حدود وإمكانات الترجمة الذكية.

8- قائمة المصادر والمراجع:

❖ قائمة الكتب باللغة العربية:

- الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.
- سناء منعم: اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية "بعض الثوابت النظرية والإجرائية"، عالم الكتب الحديث، إربد، 2015.
- العزاوي، أبو بكر: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة، بيروت، ط1، 2010.
- مأمون الحطاب: الترجمة الآلية للغة العربية قضايا وحلول، دار حوسبة النص العربي، القاهرة، ط1، 2008.

❖ قائمة الكتب باللغة الأجنبية:

Mounin, G. : Les problèmes théoriques de la traduction,- Paris , Gallimard , 1976

❖ قائمة المجلات العلمية:

- أحمد عبد الرحمن عطية: ترجمة الشعر من الإنكليزية إلى العربية: دراسة تحليلية مقارنة بين نماذج الذكاء الاصطناعي، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، 2023، جامعة القاهرة.
- سعيد بن عامر: إشكالات الترجمة الآلية موقع جوجل للترجمة الآلية من العربية إلى الإنكليزية أنموذجا، المجلة المغربية، أكتوبر 2016، تلمسان.
- سفيان جفال، ريجان خويصات: الترجمة الآلية العصبية للأسلوبية العربية، المجلد 5، العدد 2.

– عبد الله بن حمد الحميدان: مفاهيم أساسية في الترجمة الآلية، المترجم، العدد 12، ديسمبر 2005، جامعة الرياض.

– محمد زكي خضر: اللغة العربية والترجمة الآلية "المشاكل والحلول"، المركز العربي للتعبير والترجمة والتأليف، العدد 43، ديسمبر 2012.

– محمد محمدي الشحات توفيق: الترجمة الآلية من العربية إلى الأردية والعكس "دراسة تحليلية مقارنة لترجمة JPT chat و Google Translate"، مجلة كلية اللغات والترجمة، العدد 27، يوليو 2024.

– منصف ظريف، محمد شوشاني عبيدي: في تقييم ترجمة شات جي بي تي دراسة مقارنة لنص علمي مبسط، مجلة معالم، المجلد 16، العدد 2، 2023.

❖ قائمة المؤتمرات الدولية:

– أحلام بن عمرة: الترجمة الآلية ومواقعها السياقية الإلكترونية، المؤتمر الدولي الرابع: تعليم اللغات الأجنبية والدراسات اللسانية، 14-15 ديسمبر 2023، جامعة مرمرة، تركيا.

❖ المواقع الإلكترونية:

– الترجمة منجزة باستخدام ChatGPT نموذج GPT-4، (OpenAI)، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، من خلال منصة ChatGPT

– الترجمة منجزة باستخدام أداة Google Translate، تاريخ الاستخدام: 14 أغسطس 2025، عبر الرابط: <https://translate.google.com>

– سمر عبد الرحمن: أيهما أفضل Google Translate أم ChatGPT؟، الأربعاء 04 ديسمبر 2024، اطلع عليه 15-08-2025

https://www.elwatannews.com/news/details/7717983#goog_rewarded

التعليمية الترجمة في ظل الذكاء الاصطناعي: مسارات التحوّل وملامح التجديد.

ط.د/هاجر مدلل

جامعة 08 ماي 1945 غلمة

تقديم:

تعرضت تعليمية الترجمة في السنوات الأخيرة إلى تحولات عميقة، نتيجة التحوّل الرقمي المتسارع والدمج التدريجي لتقنيات الذكاء الاصطناعي في منظومات التعليم والتكوين. هذا التحوّل لم يأت في شكل تحسين تقني طارئ؛ بل مسّ جوهر العملية التعليمية، سواء من حيث المضامين والمقاربات أم من حيث طبيعة الكفاءات التي يفترض بالمتّرجم المعاصر أن يمتلكها. فالتكوين التّرجمي لم يعد قائمًا على الإتقان اللغوي فقط؛ بل اتّسعت آفاقه لتشمل مهارات رقمية، وقدرة على التحليل، والتفاعل النقدي مع أدوات الذكاء الاصطناعي، بما يضمن للمتّرجم فاعلية أكبر في بيئة مهنية متغيرة.

أدى هذا الوضع إلى تحريك البنية التقليدية لتعليم الترجمة، فتّمّت مراجعة محتويات البرامج وطرائق التكوين، والوظائف التربوية للمكوّن، الذي بات يواجه تحدّيًا مزدوجًا: الجمع بين ترسيخ مبادئ الترجمة بوصفها فعلاً بشرياً تأويلياً، والانفتاح على الأدوات الذكية باعتبارها جزءاً من واقع الممارسة. وعلى ضوء ذلك، برزت الحاجة إلى بناء تصوّر جديد للتعليم التّرجمي، يقوم على التّكامل بين المعرفة اللغوية، والوعي المهني، والتّمكن من الأدوات الرقمية، دون أن يؤدي هذا التّكامل إلى اختلال التّوازن بين البعدين البشري والتّقني.

في ضوء هذه المستجدات، يتمحور هذا البحث حول الإشكالية الآتية:

إلى أي حدّ أسهم الذكاء الاصطناعي في إعادة تشكيل تعليمية الترجمة، وما ملامح التّجديد التي

فرضها على مستوى الكفاءات والمضامين والممارسات التكوينية؟

تندرج هذه الدّراسة ضمن محاولات فهم التحوّل الذي يطال تعليمية الترجمة من الدّاخل، تفرض على المؤسسة التعليمية أن تعيد تعريف أهدافها، وعلى المتّرجم أن يعيد بناء أدواته المعرفية والمهنية وفق منطق مختلف.

أولاً: مفهوم تعليمية الترجمة:

يمكن أن نشير إلى أنّ تعليمية الترجمة لم تُعرف تاريخياً كمجال مستقل، لكن في مؤلفات دراسات الترجمة يمكن ملاحظة جوانب تعليمية مهمّة؛ إذ يرى نيومارك أنّ نظرية الترجمة تمثّل مجموع المعرفة المتوفرة عنها، ويشمل ذلك ما يتعلّق بالبرامج والمقاربات والمنهجيات، مع كون معظم المنظرين مترجمين ممارسين، وعليه يمكن القول: "إنّ تعليمية الترجمة، ليس مبحثاً مستقلاً وعريقاً في التاريخ مثلما يشهد

على ذلك منظرُ الترجمة وممارستها، بيد أن الباحث في المؤلفات التي تُغطّيها ما يُسَمّى بدراسات الترجمة يجعلنا نعثر على ملامح تعليميّة للترجمة، على شكل إسهامات ذات قيمة، فنظريّة الترجمة، بحسب "نيومارك" هي بالمعنى الواسع حجم المعرفة التي بحوزتنا عن الترجمة، وقد نجد في هذا الحجم قسطاً متعلّقاً بالتعليميّة، وبالذات ما تعلّق بالبرامج والمقاربات والمنهجيّات، علماً أنّ معظم المنظرين كانوا مترجمين ممارسين²²⁵، ويقصد بتعليميّة الترجمة أنّها: "تعليم عمليّة النقل اللّغويّ والمعنى وتحويل الخطابات لجمهور متعلمين لا يتقنون اللّغة الأخرى إتقاناً جيّداً، وهي عمليّة ترتبط عند إ. لافوبوظيفتين هما: الوظيفة التفسيريّة: ويتم تكوين المترجم في المصطلحيّة والمعجميّة والنحو، أمّا الوظيفة الثّانيّة فهي وظيفة المراقبة: التي يتعلّم فيها الدّارس وظيفة النّقل، فينتج عنها تقويم الكفاءة اللّغويّة وتتخذ كفاءة الترجمة القائمة على التّحويل الصّحيح ولا يحصل هذا الأمر إلّا بالفهم، فاللّغة المنقول إليها على هذا الأساس هي دعاة عمل المترجم لسهولة النّقل"²²⁶، وعليه يمكن أن نوضح أنّ تعليميّة الترجمة تتمحور حول تدريب المترجمين على نقل المعنى والخطاب إلى جمهور قد لا يمتلك إتقاناً كافياً للّغة المصدر. وهي تقوم، وفق تصوّر لافو، على وظيفتين أساسيتين: الأولى هي التفسير؛ حيث يكتسب المتعلّم مهارات في المصطلحات والمعجم والنحو، والثّانيّة هي المراقبة، التي يتدرب فيها المترجم على عمليّة النقل نفسها بهدف قياس كفاءته اللّغويّة وضمان دقة التّحويل. ويبرز هذا التّصوّر أنّ الفهم العميق للنّص شرط أساسي لنجاح الترجمة، وأنّ اللّغة المستهدفة تمثّل الأساس الذي يعتمد عليه المترجم لتحقيق نقل سلس ودقيق. أمّا فيما يتعلّق بتعليم الترجمة فهي: "مبرمجة في الجامعات العالميّة كلّها وفي مدارس متخصصة ولكن طبيعة التّكوين تُحددها الأهداف حيث تتراوح مدّة التّكوين عادة بين 4 إلى 5 سنوات تخضع كلّها للتّجربة والتّطبيق وتتطلّب إمكانات مدروسة"²²⁷، يتضح من خلال هذا أنّ تعليم الترجمة أصبح جزءاً من البرامج الأكاديميّة في الجامعات حول العالم، إضافة إلى وجود مدارس متخصصة في هذا المجال. كما أنّ طبيعة التّدريب تختلف تبعاً للأهداف المحدّدة لكلّ برنامج؛ حيث تمتد مدّة الدّراسة عادة بين أربع وخمس سنوات، يتم خلالها التّركيز على التّطبيق العمليّ والتّجريب المستمر، مع ضرورة توفير موارد وإمكانات مدروسة تضمن فعاليّة عمليّة التّكوين.

كما يصعب تحديد مفهوم المشكل في الترجمة، كما هو الحال في العديد من التّخصّصات الأخرى المنتميّة إلى العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة على غرار دراسات الترجمة، فلا يزال علم الترجمة بصفته علماً

²²⁵ -اليزيد بوعروري، تعليميّة الترجمة: مقاربات وانتقادات، ص 177.

²²⁶ -عبد الرّحمان مرواني، مقياس تعليميّة الترجمة ودوره في البحث العلميّ لدى طلبة قسم اللّغة العربيّة جامعة تبسة أنموذجاً، ص 91.

²²⁷ -المرجع السّابق، ص 91.

قائما بذاته، وكذا الدّراسات المتعلّقة بمجال التّرجمة عموما يجدان بعضاً من الصّعوبة في تحديد إطار مفاهيمي مناسب وموثوق للمشكل التّرجميّ ولحلّه، غير أنّ بعض الباحثين حاولوا اقتراح تعريف مناسب لهذا المفهوم على غرار أنتوني بيم الذي يرى أنّ العناصر اللّغويّة تتحوّل إلى مشكلة ترجميّة عندما يجد المترجم نفسه أمام أكثر من طريقة لنقل تلك العناصر أو على العكس لا يجد أي طريقة لتقديمها²²⁸.

ثانياً: الذّكاء الاصطناعيّ: مفهومه، خصائصه، أنواعه، إيجابيّاته وسلبيّاته:

يُمثّل الذّكاء الاصطناعيّ مجالاً علميّاً معاصراً يحظى باهتمام واسع من الباحثين والعلماء، الذين يتناولونه بالدّراسة والتّحليل من جوانب متعدّدة، تشمل ماهيته ونشأته وطبيعته، إضافة إلى ارتباطه بتكامل التّخصّصات وتداخل المفاهيم. وفي هذا الإطار، نسعى إلى توضيح مفهومه وخصائصه وأنواعه، مع إبراز ما ينطوي عليه من إيجابيّات وسلبيّات.

1- مفهوم الذّكاء الاصطناعيّ:

حظي الذّكاء الاصطناعيّ بعناية كبيرة من لدن كثير من العلماء في مجالات علميّة مختلفة، فوردت العديد من التعريفات له. ونذكر منها ما يلي: "الذّكاء الاصطناعيّ هو الذّكاء المنسوب إلى ما يصنعه الإنسان أو يبرمجه في الآلة، فتصير به قدرة على محاكاة الذّكاء البشريّ، فتحقّق ما يحقّقه الإنسان بذكائه الذي وهبه له الله تعالى"²²⁹، نوضّح من خلال هذا أنّه يمكن تقليد الذّكاء البشريّ من خلال أنظمة أو أجهزة تقنيّة. أي أنّ هذه الأنظمة تُصمّم بحيث تكون قادرة على استيعاب البيئة المحيطة بها وفهمها، ثمّ تتخذ قرارات أو تقوم بأفعال تشبه أفعال الإنسان في مواقف مشابهة. وبهذا، فإنّ مجال الذّكاء الاصطناعيّ يركّز على دراسة هذه الأنظمة وتصميمها بطريقة تجعلها تحاكي التّفكير البشريّ وأساليبه في التّصرّف، وكان مفهوم "الذّكاء الاصطناعيّ" أوّل ما ظهر منتصف القرن العشرين، إذا كان عمل المبرمج هو اختيار أحد أنشطة الإنسان المفتقرة إلى الذّكاء، ثمّ وضع بعض الفروض عمّا يستخدمه الإنسان عند قيامه بذلك النّشاط من معلومات وطرق استدلال وإدخالها في برنامج الحاسب الآليّ"²³⁰، يتضح من خلال هذا أنّ مفهوم الذّكاء الاصطناعيّ في بداياته كان بسيطاً نسبياً؛ حيث اقتصر دور المبرمج على تحديد نشاط بشريّ يُنظر إليه على أنّه لا يتطلب مستوى عال من الذّكاء، ثمّ محاولة تقليد هذا النّشاط من خلال صياغة فرضيّات حول المعارف وطرق الاستدلال التي يستخدمها الإنسان عند القيام به، وتحويل هذه الفرضيّات إلى تعليمات داخل برنامج حاسوبي. يعكس ذلك المرحلة الأولى من التّفكير في الذّكاء

228-حنان رزيق، الدّرس التّرجمي، نحو مقارنة منهجيّة لتعليم التّرجمة، ص 283.

229-عبد النّور بريبر، رؤية مقاصديّة في أخطار وآفاق الذّكاء الاصطناعيّ، سلسلة أبحاث النّدوات والمؤتمرات العلميّة (7)، ص 59.

230-عبد النّور بريبر، رؤية مقاصديّة في أخطار وآفاق الذّكاء الاصطناعيّ، ص 60.

الاصطناعي، والتي كانت تركز على المحاكاة الجزئية للسلوك البشري بدلا من السعي نحو ذكاء شامل أو مستقل.

لكن ما آل إليه الذكاء الاصطناعي في العقدين الأخيرين قد فاق المفهوم وتطور بعيدا؛ حيث تجاوز مرحلة إدخال الإنسان المعلومات والاحتمالات وطرق التحليل في الآلة، ليشمل التعلم الآلي (Machine Learning) وجمع البيانات الضخمة (Data mining) وتخزينها وترتيبها (Big data) ثم تحليلها آليا، ثم اتخاذ القرار المناسب²³¹، يعكس هذا القول التحول الجذري الذي شهده الذكاء الاصطناعي خلال العقدين الأخيرين؛ حيث لم يعد يقتصر على إدخال البيانات والقواعد يدويا من قبل المبرمج؛ بل أصبح يمتلك آليات متقدمة للتعلم الذاتي عبر خوارزميات التعلم الآلي، والاستفادة من كم هائل من المعلومات التي يتم جمعها وتنظيمها فيما يعرف بالبيانات الضخمة. كما تطورت قدرته على تحليل هذه البيانات بشكل آلي ودقيق، مما أتاح له اتخاذ قرارات مستقلة وملائمة للمواقف، وهو ما جعله أكثر قربا من الذكاء البشري في سرعة الاستجابة ودقة التنبؤ.

2- خصائص الذكاء الاصطناعي:

يتميز الذكاء الاصطناعي بمجموعة من الخصائص تتمثل في²³²:

- يعدّ الذكاء الاصطناعي محاولة لإكساب الحاسبات الآلية بعض القدرات البشرية، وبالتالي فإن استخدام كلمة الذكاء من الممكن أن تقودنا إلى استنتاجات غير دقيقة، فالمقصود بالذكاء في هذا السياق هو تلك القدرات التي يتمتع بها العنصر البشري؛
- يخلق آلية لحل المشاكل داخل المنظمات تعتمد على الحكم الموضوعي والتقدير الدقيق؛
- يمثل الذكاء الاصطناعي وفق المفاهيم السابقة محاولة العنصر البشري لدراسة قدراته العقلية والاستفادة منها، من خلال نماذج حسابية ويتم تطبيقها باستخدام الحاسبات الآلية؛
- يحسن من المستوى المعرفي لمسؤولي المنظمة من خلال تقديمه حلولاً للعديد من المشاكل التي يصعب تحليلها بواسطة العنصر البشري خلال فترة قصيرة؛
- لا يهتم كثيرا الذكاء الاصطناعي بمكونات الذكاء البشري، ولكنه معني بالمفاهيم والأساليب والتقنيات المرتبطة بهذا المجال، وكيفية استخدامها لتطوير وظائف الحاسبات الآلية بحيث تحاكي القدرات البشرية؛
- يركز الذكاء الاصطناعي على حل المشاكل التي يمكن علاجها بالعقل البشري ولكن لا توجد وسيلة نمطية مناسبة لحلها؛

²³¹-المرجع نفسه، ص 60.

²³²-فاطمة غاي، عزيزة خلفاوي، الذكاء الاصطناعي وتطوير برمجيات الترجمة الآلية دراسة تحليلية، ص 130.

- يتضمّن الذكاء الاصطناعيّ دراسة عمليّات التّفكير المنطقيّ للعنصر البشريّ ثمّ محاولة تنفيذ ذلك من خلال الحاسبات الآليّة، وبالتالي فإنّ ما يميّز الذكاء الاصطناعيّ ثباته النّسبيّ؛ حيث لا يتعرض لما يتعرض له العنصر البشريّ من عوامل مؤثرة على قدراته كالنّسيان؛

- يمكن رصد وتتبع مراحل عمل الذكاء الاصطناعيّ وهو ما يصعب تطبيقه بالنّسبة للذكاء البشريّ؛

- يعتمد الذكاء الاصطناعيّ على المدخلات التي قدّمت له، ويؤدي طبقا لما هو مبرمج عليه، في حين يميّز الذكاء البشريّ بالإبداع والابتكار، كما يمكنه التّعلم من خلال الممارسة والخبرات التي يتعرض لها.

3- أنواع الذكاء الاصطناعيّ:

يمكن تحديد أنواع الذكاء الاصطناعيّ على النّحو الآتي²³³:

أ- الذكاء الاصطناعيّ الضيّق أو المحدود: يشير إلى أنظمة الذكاء الاصطناعيّ التي تستطيع فقط أداء مهام محدّدة بشكل مستقل وبواسطة إمكانيات تحاكي القدرات البشريّة، ويعني ذلك أنّ هذه الأنظمة محدودة القدرات ولا تتخطى قدرتها المهام المصمّمة لأجلها.

ب- الذكاء الاصطناعيّ العام: يعني قدرة الذكاء الاصطناعيّ على التّعلم والإدراك والفهم والعمل تماما مثل الإنسان من خلال محاكاة القدرات البشريّة وسيصير بمقدور هذه الأنظمة بناء قدرات متنوّعة والتّوصل إلى روابط وتعميمات عبر عدة مجالات وهو أمر من شأنه أن يقلل كثيرا من الوقت اللازم لتدريب هذه الأنظمة إلّا أنّه لا يوجد أيّة أمثلة عمليّة على هذا النّوع، فكلّ ما يوجد حتّى الآن مجرد دراسات بحثيّة تحتاج للكثير من الجهد لتطويرها وتحويلها إلى واقع.

ت- الذكاء الاصطناعيّ الفائق: يمثّل تطوير الذكاء الاصطناعيّ الفائق ذروة الأبحاث في هذا المجال وانطلاقا من اعتباره عند تطويره سيكون أكثر أشكال الذكاء قدرة على الأرض، فإنّ الذكاء الاصطناعيّ الفائق سيميّز على جميع المستويّات بفضل تفوّقه من حيث الذاكرة وسرعة معالجة البيانات وتحليلها وقدرات اتخاذ القرارات، بحيث يستطيع القيام بالمهام بشكل أفضل ممّا به الإنسان المتخصّص وذو المعرفة.

4- إيجابيّات وسلبيّات الذكاء الاصطناعيّ:

1-4 إيجابيّات الذكاء الاصطناعيّ:

يمكن تلخيص إيجابيّات الذكاء الاصطناعيّ في النّقاط الآتيّة²³⁴:

²³³-العبد بلالي، تقنيّات الذكاء الاصطناعيّ بين النّدوات البشريّة والمسؤوليّة الأخلاقيّة، سلسلة أبحاث النّدوات والمؤتمرات العلميّة (7)، ص 40.

²³⁴-السعيد هراوة، توظيف الذكاء الاصطناعيّ وتطبيقاته في خدمة القرآن الكريم والحديث النّبويّ، سلسلة أبحاث النّدوات والمؤتمرات العلميّة (7)، ص 174.

- توفير التكاليف: يمكن للذكاء الاصطناعي تقليل تكاليف العمالة، وزيادة الكفاءة التشغيلية؛
- ابتكار أسرع: وهذا من خلال تحليل البيانات بسرعة، وتحديد الأنماط والاتجاهات التي قد يغفل عنها الإنسان؛
- تحسين عملية صنع القرار: وهذا من خلال تحليل كميات هائلة من البيانات، وتقديم رؤى لدعم اتخاذ القرار؛
- التحليلات التنبؤية: وهذا بتحليل كميات هائلة من البيانات لتقديم تنبؤات ورؤى.

2-4 سلبيات الذكاء الاصطناعي:

يمكن تلخيص سلبيات الذكاء الاصطناعي في النقاط الآتية²³⁵:

- إزاحة الوظائف: يمكن للذكاء الاصطناعي أن يحل محل الوظائف البشرية؛ وهذا يؤدي إلى فقدان الوظائف وانتشار أزمة البطالة؛
- المخاطر الأمنية: وهذا عندما يتعرض الذكاء الاصطناعي للهجمات الإلكترونية والقرصنة؛
- عدم التعاطف: يفتقر الذكاء الاصطناعي إلى القدرة على التعاطف مع الإنسان؛
- الاعتمادية: يمكن أن يؤدي الاعتماد المفرط على أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى فقدان التفكير النقدي، ومهارات اتخاذ القرار.

ثالثاً: مسارات وملامح تجديد تعليمية الترجمة في ظل الذكاء الاصطناعي:

- 1- مسارات تحول تعليمية الترجمة في ظل الذكاء الاصطناعي: (كيف تغيرت طريقة التعليم؟):
- إدماج أدوات وتقنيات الذكاء الاصطناعي في بيئة التعلم، بحيث تشمل الترجمة الآلية، وأدوات الترجمة بمساعدة الحاسوب، والنماذج اللغوية الكبيرة، مع تدريب المتعلمين على كيفية التعامل مع هذه التقنيات وتوظيفها بفاعلية في مهام الترجمة المختلفة؛
- تعزيز القدرة النقدية لدى المتعلمين لفهم وتحليل مخرجات الترجمة الآلية، من خلال تدريبهم على اكتشاف الأخطاء، ورصد التحيزات اللغوية أو الثقافية، وتطوير مهارات التحرير اللاحق لتحسين جودة النصوص المترجمة؛
- إعادة هيكلة المناهج التعليمية لتتوافق مع متطلبات سوق العمل الرقمي، عبر إدراج مهام عملية تحاكي بيئات العمل الحقيقية، مثل إدارة مشاريع الترجمة، والتعامل مع العملاء، والعمل ضمن فرق متعددة التخصصات؛

²³⁵-المرجع السابق، ص 174.

- اعتماد أساليب تعلّم مخصّصة مدعومة بتقنيّات الذكاء الاصطناعيّ، بحيث تتيح المنصّات التّعليميّة الذكيّة تتبّع مستوى كلّ طالب، وتقديم تمارين وتغذية راجعة تتناسب مع قدراته واحتياجاته الخاصّة؛

- تطوير معايير تقييم جديدة تراعي طبيعة بيئة العمل المشتركة بين الإنسان والآلة، وتشمل جودة التّحرير اللاحق، ودقة المصطلحات، وسلامة الأسلوب، إضافة إلى الكفاءة التّقنيّة في استخدام أدوات التّرجمة الذكيّة؛

- تضمين مبادئ الأخلاقيّات والحقوق القانونيّة في التّدريب، من خلال التّوعيّة بقضايا الخصوصية، وحماية البيانات، وحقوق الملكية الفكرية، والمسؤوليّة المهنيّة عند استخدام الذكاء الاصطناعيّ في التّرجمة؛

- إقامة شراكات مع مؤسّسات مهنيّة وشركات متخصصة في التّرجمة وتقنيّات الذكاء الاصطناعيّ، بهدف إتاحة فرص تدريب ميداني، وتبادل الخبرات، والحصول على شهادات اعتماد مهنيّة تعزّز جاهزيّة المتعلّمين لسوق العمل.

2- ملامح تجديد تعليميّة التّرجمة في ظلّ الذكاء الاصطناعيّ: (ما الذي نراه الآن):

- توافر بيانات تعليميّة رقميّة متكاملة تحاكي سير العمل المهنيّ، وتتيح للمتعلّمين خوض تجربة ترجمة شاملة باستخدام واجهات وأدوات ذكيّة؛

- انتشار أنماط تعلم تفاعليّة تعتمد على التّخصيص الآليّ للمحتوى، بحيث يتلقّى كلّ متعلم تمارين وأنشطة تتناسب مع مستواه وأهدافه؛

- وجود منصّات تعليميّة قادرة على تقديم تغذية راجعة فوريّة ودقيقة، مع اقتراح بدائل وتحسينات للنّصوص المترجمة؛

- دمج الموارد اللّغويّة الضخمة وقواعد البيانات المتخصّصة في العمليّة التّعليميّة، ممّا يتيح الوصول السّريع إلى المعلومة والمصطلح؛

- بروز صيغة تعليميّة تجمع بين التّدريب اللّغويّ والتّقنيّ، بحيث يصبح الطّالب قادرا على استخدام الأدوات الرّقميّة بكفاءة موازيّة لكفاءته اللّغويّة؛

- اعتماد أساليب تقييم آليّة قادرة على قياس جودة التّرجمة من حيث الدّقة والأسلوب والتّوافق الثّقافيّ، إضافة إلى رصد الأخطاء وتصنيفها؛

- انفتاح العمليّة التّعليميّة على الشّراكات الرّقميّة العالميّة، ما يتيح للمتعلّمين التّواصل مع خبراء ومؤسّسات خارج حدود القاعة الدّراسيّة.

كما تتمثّل ملامح التّجديد التي فرضها الذكاء الاصطناعيّ على مستوى الكفاءات والمضامين والممارسات التّكوينيّة فيما يأتي:

- تطوير الكفاءات الرقمية للمتعلّمين والمكوّنين، بحيث أصبح من الضروري امتلاك مهارات التّعامل مع البرمجيات الذّكيّة وأدوات التّرجمة الآليّة المعزّزة بالذكاء الاصطناعيّ، إضافة إلى القدرة على تقييم مخرجاتها وتصحيحها بدقة؛
- توسيع نطاق الكفاءات البحثيّة والتحليليّة؛ إذ بات المترجم مطالبا بفهم آليات عمل الأنظمة الذّكيّة ومصادر البيانات التي تعتمد عليها، ما يعزّز من قدرته على اتخاذ قرارات ترجميّة مدعومة بالمعرفة التقنيّة؛
- تحديث المضامين التّعليميّة لتشمل موضوعات جديدة مثل أخلاقيّات الذّكاء الاصطناعيّ، وأساليب دمج الأدوات الذّكيّة في مشاريع التّرجمة، إلى جانب التّدريب على التّرجمة التّفاعليّة والهجينة (البشريّة-الآليّة)؛
- إدخال موارد تعليميّة رقميّة متعدّدة الوسائط كالمحاكيّات التّفاعليّة، ومنصّات التّدريب عبر الإنترنت، وقواعد البيانات المتخصّصة، بما يتيح بيئة تعلّم أكثر انفتاحا ومرونة؛
- تنويع الممارسات التّكوينيّة بالانتقال من النّماذج التّقليديّة إلى نماذج تدريبيّة قائمة على المشروعات الحقيقيّة والتّعاون عن بُعد، وحل المشكلات باستخدام أدوات الذّكاء الاصطناعيّ؛
- تعزيز التّعلّم الذاتي والمستمرّ من خلال تشجيع المتعلّمين على استكشاف أحدث الأدوات والموارد الرقمية ومواكبة التّطوّرات السّريعة في المجال.

الخاتمة:

- لم يعد الذّكاء الاصطناعيّ مجرد أداة مساعدة؛ بل أصبح عنصرا فاعلا في صياغة مضامين تعليم التّرجمة وتوجيه الممارسات التّكوينيّة؛
- تجاوز الاعتماد على الكفاءة اللّغويّة وحدها، مع إضافة كفاءات تحليليّة وتقنيّة تشمل فهم آليات الخوارزميّات وتقييم مخرجاتها نقديّا؛
- تكييف نتائج الذّكاء الاصطناعيّ مع متطلبات النّص والسيّاق أصبح مهارة أساسيّة لدى المترجم المتعلّم.
- إدماج وحدات تدريبيّة متخصّصة في أنظمة التّرجمة الآليّة، مع التّركيز على إمكانيّاتها وحدودها؛
- تعزيز التّفكير النقديّ لضمان جودة المنتج التّرجمي في ظلّ الاعتماد على أدوات الذّكاء الاصطناعيّ؛
- الانتقال من أسلوب التّلقين التّقليديّ إلى بيئات تعليميّة تفاعليّة تعتمد على المحاكاة والعمل الجماعي عبر المنصّات الرقمية؛
- إدماج مشاريع تطبيقيّة تمزج بين الإبداع البشريّ والدّعم الآليّ ضمن العمليّة التّكوينيّة؛
- إعادة تشكيل العمليّة التّعليميّة في التّرجمة بما يحقق توازنا بين الفعاليّة التقنيّة والحضور الإنسانيّ، ويسهم في إعداد مترجمين ذوي وعي مهني وتقني متكامل.

قائمة المراجع:

- 1- حنان رزيق، الدرس الترجمي، نحو مقارنة منهجية لتعليم الترجمة، مجلة دفاتر الترجمة، المجلد 26، العدد 1، 2022.
- 2- عبد الرحمان مرواني، مقياس تعليمية الترجمة ودوره في البحث العلمي لدى طلبة قسم اللغة العربية جامعة تبسة أنموذجا، الأثر، العدد 31، جوان 2019.
- 3- السعيد هراوة، توظيف الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي، ضمن أعمال الملتقى العلمي الدولي: الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية-جامعة الوادي-الجزائر، سلسلة أبحاث الندوات والمؤتمرات العلمية (7)، 29-30 نوفمبر 2023.
- 4- العيد بلالي، تقنيات الذكاء الاصطناعي بين الندوات البشرية والمسؤولية الأخلاقية، ضمن أعمال الملتقى العلمي الدولي: الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية-جامعة الوادي-الجزائر، سلسلة أبحاث الندوات والمؤتمرات العلمية (7)، 29-30 نوفمبر 2023.
- 5- فاطمة غاي، عزيزة خلفاوي، الذكاء الاصطناعي وتطوير برمجيات الترجمة الآلية دراسة تحليلية، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي: الترجمة الآلية العصبية وتحديات الذكاء الاصطناعي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا-برلين، 16 ماي 2021.
- 6- عبد النور بريبر، رؤية مقاصدية في أخطار وأفاق الذكاء الاصطناعي، ضمن أعمال الملتقى العلمي الدولي: الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في العلوم الإسلامية، جامعة الوادي-الجزائر، سلسلة أبحاث الندوات والمؤتمرات العلمية (7)، 29-30 نوفمبر 2023.
- 7- اليزيد بوعروري، تعليمية الترجمة: مقاربات وانتقادات، الممارسات اللغوية، المجلد 15، العدد 01، 2024.